مناجاة راع

تأليف

نيافة الأنبا غبريال

اسقف دير الأنبا انطونيوس ومركز بوش



طبع فى عهد الأنبا يوساب الثانى

١٩٥٥ م - ١٦٧١ ق



المطبعة العالمية ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة



القديس الأنبا أنطونيوس

القديس الأنبا بولا



غبطة البابا المعظم الأنبا يوساب الثاني
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

٥ - ٢ - ١١٥

ⲡⲓⲁⲣⲭⲏⲉⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲡⲁⲧⲣⲓⲁⲣⲭⲏⲥ ⲛⲣⲉⲙⲛⲭⲏⲙⲓ
ⲛⲟⲣⲑⲟⲇⲟⲝⲟⲥ
بطريركية الأقباط الأرثوذكس
القاهرة

القصر البطريركي

القاهرة في { ١٢ برمهات سنة ١٦٧١
موافق ٢١ مارس سنة ١٩٥٥

حضـــرة صاحب النيافة اخينا الحبيب الروحي الانبا غبريال اسقف دير
القديس العظيم الانبا انطونيوس والبلاد التابعة له
دامت سلامته

بعد القبلة الرسوليه والمصافحة الاخويه نعشم ان تكونوا نيافتكم بخـــير ـ لقد كان لكتابكم " مناجاة راع " الذى وضعتموه نيافتكم في سلسلة مواضيع تعليميه وابواب ثقافية لارشاد ابناء الكنيسة الغيورين اكبر الاثر في نفسنا ما هو الا استعراض لتاريخ امة كريمة وكنيسة مقدسة من جميع النواحي الروحية والاجتماعيه والوطنيه

واننا اذ نثني على الروح الطيبه التي املت عليكم ما سطرتموه في كتابكم هذا من مثل عليا فاننا ندعو الله ان يبارك لكم فيما كتبتم وان يجعله نبراسا عليا لنفعة تارئيه ونعمة الرب تشمل جميعنا ولعظمته تعالى الشكر دائما ء

بابا الاسكندريه
وبطريرك الكرازة
المرقسيه

صورة المؤلف



حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا غبريال
أسقف دير الأنبا أنطونيوس ومركز بوش

مقدمة

كلمة الحق

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

حضرة صاحب الغبطة قداسة البابا المعظم الأنبا يوساب الثانى بابا وبطريرك الكرازة المرقسية واثيوبيا والنوبة والخمس المدن الغربية — حفظه الله .

حضرات أصحاب النيافة الآباء المطارنة والأساقفة .

حضرات أبنائى الكهنة والشمامسة والرهبان .

حضرات أبنائى المباركين أفراد الشعب القبطى أجمعين المشمولين بنعمة ربنا وفادينا يسوع فى شتى جمهورية مصر المباركة وفى بلاد أثيوبيا الحبيبة .

أتقدم بكتابى هذا راجياً من الله أن يجعله فاتحة خير للكنيسة المحبوبة والشعب القبطى المبارك . فالضجيج ملأ الوادى ، والصراخ بلغ عنان السماء ، والدوىّ أصمّ الآذان ، وقيل وقال فى كل مكان ، كأن حرباً تدور رحاها ، تطحن الأجسام ، وتزهق الأرواح ، والناس يتلهفون على معرفة أخبارها ، وتتبع حوادثها .

ما هذا ؟ وما وراء الضجة ، ولم قامت الدنيا وقعدت ؟

أيوم القيام قام ؟ أم الناس يتصايحون من هول العذاب ؟

تساءلت كثيراً ، عسانى أظفر بالمجيب فقال الهاتف :

هذا صراع الناس ، وحرب الشيطان ، حرب باسم الدين ، والدين منها براء . حرب قامت بين أصيل ودخيل . الأصيل يدافع عن الدين ، ويحمى

شعائره ، ويحترم طقوسه . والمخيل ، قيل إنه سيقوم بتدبير أموال الطائفة ، وجمعها من المحسنين والبارين ، وإنفاقها على شئون الكنيسة ، وما سينشئه من مؤسسات ، ويقوم به من مشروعات ترفع من شأن الكنيسة ...

ولكن يا للعجب لم يرض الدين عن ذلك ، ولم يبارك تلك الفعال . فقربان الطائفتين مردود ، وعملها مذموم غير مشكور ، لأن كلا خرجت عن الحد المرسوم والطريق المنظوم .

فتخاصم الإثنان ، وتقاتل الجمعان ، وارتكبا العصيان ، فلم يتقبل من أحدهما القربان ، وإليك القصة :

منذ أن وطأت المسيحية أرض مصر ، والكنيسة تقوم ببث تعاليمها في ربوع وادي النيل ، وتدعو أبناءها إلى اتباع ما أمرنا به فادينا الحبيب يسوع المسيح من ممارسة الخير والصلاح على لسان رعاتها المكرمين ، من بطاركة ، ومطارنة وأساقفة ، وقسوس وشمامسة ، هدفهم الأسمى هو خلاص النفوس ، فراع النفوس حكيم .

جمعوا بحكمتهم ، بين شئون رعيتهم الروحية والجسدية ، فنمت بفضلهم ، وترعرعت بحكمتهم وحسن تدبيرهم ، وأضحت للكنيسة أموالها وأوقافها ، التى تنفق منها على شتى مرافقها ، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية ، أو روحية . تقديمها إلى المعوزين فى حسن تدبير وأمانة ورعاية وإخلاص . مبدؤها فى ذلك ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

ولكن ، والأسف يملأ جوانحى ، لم يلبث الاحتلال البغيض يدب فى مصر ، ويعمل على هدم هذا البنيان الشامخ ، ويسرى شره إلى أمنا الحبيبة الكنيسة — التى بنيت على دماء الشهداء الأطهار ، بما يدعى المجلس الملى .

ومن ذلك الحين ، لعبت الأهواء السياسية دورها فى الكنيسة ، ففرقت

بين أبنائها — مال المجلس الملى إلى حب الدنيا ، وتقديم أغراضهم الشخصية على الأغراض العامة ، لأبناء الطائفة ، ثم انصرفوا إلى الملذات والشهوات فأغراهم الشيطان بالمال ، فنسوا الله فأنساهم أنفسهم .

وهنا هبَّ رجال الاكليروس يدافعون عن حقوق الكنيسة تارة ، وعن أموال الأوقاف والأديرة تارة أخرى ، مستعملين فى سبيل ذلك كل وسيلة من وسائل التشهير والكيد والإيقاع . وبذلك تعطلت الرسالة الكهنوتية ، وتركزت جهرة الاكليروس فى الخصام والنزاع منصرفين إلى الدنيا عن أمر الدين .

أما المجلس الملىّ فمضى يجد السير فى انحرافه عن الغرض الذى من أجله قام . وسار فى طريقه معوجاً لا يرعوى ، ولا يضع نصب عينيه الغرض الذى أنشىء من أجله ، محاولا اغتصاب ما ليس له ، ومتدخلا فى شؤون الكنيسة تدخلا سافراً .

والنتيجة من كل هذا ، أن ذهبت هيبة الدين من القلوب ، كما ضاع احترام رجاله من النفوس .

وكيف يبقى لهؤلاء أو لهؤلاء احترام وتبجيل ، وهم يتبادلون الشتائم ، ويكيل بعضهم لبعض أقذع السباب وأشنع الاتهام ، على رؤوس الأشهاد ؟

وهل بعد هذا يطلبون من الناس أن يطأطئوا لهم الرؤوس إكباراً ، أو يحنو الظهور تقديساً وإعظاماً ، وهم الذين ينزعون تيجانهم بأيديهم ، ويهدمون أنفسهم بأنفسهم ؟

فاذا ما غض الناس أبصارهم عنهم ، واستصغروهم فى أعينهم ، فانهم لا يلومون إلا أنفسهم .

إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها هواناً بها كانت على الناس أهونا

وبعد :

فيا حماة الدين ، يا رجال الاكليروس ، ويا أعضاء المجلس الملى ، ويا أبناء هذا الشعب المبارك ، الكنيسة تدعوكم إلى حظيرتها ، فتجردوا من أخطائكم ، وعودوا إليها أحباباً متضامنين ، واخوانا متآلفين . فأنتم أبناؤها ورعاتها .

واعلموا أنه إذا رجعتم إلى الصواب وعدتم إلى الحق ، رجع لكم احترام الناس وحب القلوب ، واستطعتم أن تحققوا هذا المجد الذى أضحى على وشك الضياع والذى به أنتم مطالبون .

المؤلف

غبريال

أسقف دير الأنبا أنطونيوس ومركز بوش

كلمة حضرة صاحب النيافة الأنبا كيرلس

مطران كرسى قنا وقوص ونقاده ومحافظة البحر الأحمر

قرأت صفحات كتاب « مناجاة راع » لمؤلفه حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا غبريال أسقف دير أنبا أنطونيوس ومركز بوش فألفيته يحض على الفضيلة والكفاح نحو الهدف الأسمى والمثل العليا التى يتطلع إليها كل شاب وشابة من أبناء الكنيسة .

حقاً إنه تحفة رائعة فى عالم التأليف والتصنيف فأوصى بمطالعته مرة ومرات لما حواه من غالى القول وشتى الموضوعات التى تهم المبتدىء والمتعلم وتدفع بهم جميعاً دفعاً إلى ما فيه خير أنفسهم ولما فيه الصلاح والإصلاح .

ومفاد القول أن هذا الكتاب فريد فى نوعه ، عظيم فى مقالته ، بليغ فى معانيه ومراميه ، نرجو لنيافة المؤلف الثواب ولكتابه الانتشار والرواج .

كلمة حضرة صاحب النيافة الأنبا لوكاس

مطران كرسى منفلوط وأبنوب

حضرة صاحب النيافة أخينا الحبيب الروحى الحبر الجليل الأنبا غبريال
أسقف دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب الرهبان دامت سلامته

بعد المصافحة الأخوية والقبلة الروحية نرجو لنيافتكم صحة وسلامة روحياً وجسدياً فى المسيح يسوع ربنا .

لقد قيل فى الأمثال ، القلم ترجمان الفكر ، . وإذا نظرنا إلى الشعب القبطى الكريم كشخص معنوى حىّ له نظره وسمعه وتفكيره ، شعرنا بضرورة وجود الأقلام الحرة النبيلة التى تترجم عن إحساساته ومشاعره وأفكاره .

وإننا عقب إطلاعنا على سلسلة رؤوس المواضيع الطائفية التى عزمتم على وضعها وتنسيقها فى كتاب خاص تقومون بطبعه لهذا الغرض ، أيقنا حالا بأن قلمكم جدير بأن يتولى حقاً ، عن جدارة واستحقاق ، الترجمة عن الفكر الطائفى السليم المتحمس ، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا .

وإن يقيننا هذا إنما أساسه ماعهدناه دائماً فى غيرة نيافتكم الصادقة وخبرتكم الأكيدة ، التى تخول لكم بحق أن تتحدثوا فى الشؤون الطائفية بصراحتكم المعهودة المقرونة بالعطف الرعوىّ الذى لا يلقى القول على عواهنه ولا يسترسل فى الحديث بلا قيد ولا شرط ، فلا يحمّل الغير أحمالا ثقيلة عسرة الحمل وهو لا يشاء أن يحركها باحدى أصابعه ؟ بل إنما يزن كلامه بميزان الحق والإنصاف ، فى نطاق إمكانيات الظروف وملابسات العوامل والأهداف الاجتماعية الشاملة للمحيط الطائفى بكنيستنا القبطية الأرثوذكسية المحبوبة ، عامود الحق وقاعدته ، (اتى ٣ ع ١٥) معلمة الكنائس فى جميع أجيالها .

والقلم الرعوىّ الصريح العطوف ضرورىّ جداً للتعبير عن إحساسات ومشاعر وتفكير شعب كنسىّ عريقٍ (ابط ٢ ع ٩ و ١٠) فى قبطيته ، أصيلٍ فى وطنيته ، مخلصٍ لبلاده ، مفتدٍ وطنَه وكنيستَه بكل مرتخص وغال .

والواقع أنه متى تحققت الأغراض السامية التى يهدف إليها كتابكم القيم — وهى مُحققة بمشيئة الرب — سعدت الطائفة .

١ — بأبنائها المثقفين فى مخافة الرب (مز ١١١ ع ١٠) الفخورين بمصريتهم منار الحضارة منذ اقدم العصور الاجتماعية (تك ١٣ ع ١٠) ، وبكنيستهم منار الإيمان الأرثوذكسى ، القويم منذ العصر الرسولى ، بوصفها كرازة مارمرقس الإنجيلى كاروز الديار المصرية ومدى جميع أجيالها .

٢ — بأقلامها المتزنة مع قلمكم المترجمة عن أعماق الفكر الكنسى الاجتماعى ، النزيهة فى آرائها ، المخلصة فى توجيهاتها ، عميقة الأثر بعيدة المدى فى تغلغلها وتأثيرها ، الرزينة الأكيدة فى فعلها وإنتاجها .

٣ — بكثرة مشيريها المخلصين ، حيث لا تدبير يسقط الشعب أما الخلاص فبكثرة المشيرين . ومقاصد بغير مشورة تبطل وبكثرة المشيرين تقوم ، (ام ١١ ع ١٤ و ١٥ ع ٢٣) الاخصائيين فى شتى الشؤون الكنسية والاجتماعية الذين شعارهم الإيمان القوىّ بالكنيسة (اتى ٣ ع ١٥) لتهيئة البيت الأصيل ، وتنشئة المواطن الصالح وإعداده لحياة فاضلة هنا لإسعاد الوطن ، ولمستقبل أبدىّ حظ سعيد خالد هناك للحياة الأفضل .

ومتى سعدت الطائفة بذلك ، تمت لها بنعمة الفادى أمانيها ، وازدهرت فضائلها ، ولمعت كمالاتها ، بركة للوطن ، وفخراً ورفعة لشأن الكنيسة ، لمجد اسم إلهنا الأقدس .

بارك الرب فى مجهوداتكم الطائفية ، وإنتاجاتكم الكنسية ، وأدام سلامتكم نموذجاً للرعاية الساهرة ، والرهبنة الأمينة المجاهدة الظافرة ، ونعمة الفادى تشملنا ولعظمته تعالى الشكر دائماً .

كلمة السيد ناظر مدرسة الأقباط
الإعدادية ببوش

ليس هناك ما يحيا عليه المرء فى هذه الدنيا غير الأمل والرجاء ، وليس هناك من هذا الأمل وذاك الرجاء ، سوى أن يلج أبواب الإصلاح بذلك التقليد الجديد الفريد ، الذى ابتكره هذا الأب الساهر على مصلحة أبنائه ، يخرج عليهم بصوته الدافىء الحنون ، ذلك الصوت الذى يحمله الأثير إلى القلب ، فيتغلغل فى سويدائه ، ويشترك معه فى سرائه وضرائه ، ثم يتصاعد الصوت ، أن استيقظ أيها المسيحى المتردد المتباعد عن كنيستك ، أن انهض من سباتك العميق لتودع العهد القديم ، وتستقبل العهد الجديد فى صراحة وقوة وإيمان ، حينئذ يدق ناقوس الكنيسة عالياً مدوياً فى سماء المجد يجذبك إلى الخلق القويم والطريق المستقيم .

وإذا بى أرى الراعى الأمين وهو يكتب ، فأشتم رائحة الدمع ينسكب فيما يكتب ، ثم تتأجج فى ضلوعه نار الغيرة ، فلا يجد بين جنبيه إلا نفسه الحائرة الملتاعة ، تريد أن تتخلص من نير الاستعباد والرجعية البغيضة ، فتندفع كالسيل الجارف ، تكتسح الأباطيل وتنير السبيل لأبناء هذا الجيل . وهو فى ذلك رقيق النفس مرهف الحس ، صادق التعبير حريص فى النقل والتفسير ، ذلك أن المصلحة العليا فى عقيدته هى أن يعرف هذا الشعب الكريم ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وهو بدوره كراع كبير مسئول لا يطلب حساباً هو عنه بنجوة ، أو مأخذاً يريد الإفلات منه ، ولكنه يؤمن أن الرجال بالأعمال ، وما يتركونه تراثاً ناطقاً للأجيال .

« عملك معادك فاعمل حياً تحيا ميتاً »

يعقوب صبحى
ناظر مدرسة بوش الإعدادية

رسالة إصلاح

وكتب الأستاذ عياد بشاى الصحفى هذه الكلمة تحت هذا العنوان :

تمتاز الرسائل والكتب التى ينشرها صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا غبريال أسقف بوش ورئيس دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالغيرة على مجد الكنيسة وعزة أبنائها ، وتشعر قارئها بصدق الجهاد فى سبيلها ، وهو يعبر بتلك الرسائل والكتب عما يخالج النفوس الطيبة من الآمال فى مستقبل زاهر ، وتقدم مرتقب .

وآخر ما أصدره هذا الكتاب « مناجاة راع » قرأ منه بعض الموضوعات أمامى لكى يرى رأيى فيما كتب ، فأرجأت إبداء الرأى حتى ينتهى من الكتاب .

أما الآن والكتاب فى أيدى القراء فالرأى فيه أنه مناجاة بين القلوب العامرة بالإيمان ، والنفوس التواقة للرحمة والرضوان ، والمشاعر الصادقة بالحاجة إلى نهضة شاملة مباركة تعيد المجد القديم للأقباط أبناء الشهداء والقديسين ، وتضعهم فى مكانهم الذى يستحقونه .

ونحن أحوج ما نكون إلى إيقاظ الضمائر ، وتطهير القلوب ، وتوحيد الجهود للسير فى طريق واحد وفى موكب واحد .

وكلما جاء الإيقاظ من القادة الدينيين ، كان له أكبر الأثر فى نفوس المتدينين . فكلمة الراعى الأمين والناصح الصادق لهى الكلمة التى تصدر من القلب إلى القلب ... ومن النفس إلى النفس ... ومن الضمير إلى الضمير .

نسأل الله تعالى أن يبصرنا بعيوبنا لنصلحها ، وبأخطائنا لنتجنبها ، وبالطريق السوى لنسلكه ، لنعرف الحق والحياة ، ونبلغ ميناء النجاة .

عياد بشاى

قوة الارادة

أكتب إليك أيها القارىء ، مناجياً إياك ، أن تخطو خطوة نحو الهدف الأسمى ، الذى أنت منه وإليه تعود ، لتلتق بسر الحياة العلوية التى تريد منك العمل على تنقية قلبك ، واتحاد حواسك ومعرفة الصدق والبعد عن الخصومات ، والخلافات والمنازعات ، بالوسائل العملية ، ليحل السلام بين روحك الطاهرة ، وجسدك المثقَّل بالخطية ، التى من شأنها زعزعة أركان اتحاد مشاعرك الداخلية والخارجية . لكى تكون لك مبادىء سامية ، تسير بمقتضاها وسط مجتمعك الذى يطلب منك الترفع عن الدنايا ، والسير على نمط واحد دون أن تتأرجح لتستطيع أن تعمل عملا يعود على المجتمع الذى أنت فيه بالفائدة المطلوبة .

والواقع أن كل ما مضى من تاريخ حياتك ، لهو عبث ، لأن النتيجة ظاهرة ، والرائحة غير عاطرة ، إذ أن سلسلة الحوادث ما زالت ترسم لنا صورة حقيقية عن ماضيك الذى ذهب دون أن تقدم عملا يبرهن أنك كنت بجانب المثل العليا والمبادىء الصحيحة والتعاليم السامية . والزمن خير حليف لإظهار ما أنت عليه ، لأنى دائب التفتيش فى صفحات تاريخ حياتك التى تحمل قائمة ربح أعمالك .

ولما كان ضميرك لم تفته عيوبك ، وغلطاتك ، وانحرافاتك الخلقية ، قام ليطالعك بها ، لتبذل جهدك فى تدبير أعمالك العامة والخاصة ، لأن كل من تتبع خطوات سيرك لا يعترف بجهادك للخير والإنسانية ، ولا يصدِّق أنك بين صفوف الذين يتألمون مع المتألمين ، بينما باب الجهاد لا يزال مفتوحاً لإنقاذ البشرية من عذاب الفقر والجهل بالعقيدة ، والمرض بالخطية .

وليس عجباً فى ذلك ، لأن موقفك فى أزمة روحية ، لأنك تعرف الحقيقة ولا تقولها وتقول الحقيقة ولا تعرفها ، وتمضى الأيام ولا شىء فى

حياتك غير الانتظار الذى ليس له آخر ، وكل مافيه قلق ، وعجز ، ويأس ، وأمل حائر لا يريد أن ينطفىء ، ويأبى إلا أن يعيش .

ولقد يمكنك أن تتغلب على الإنتظار وتنتصر على السكون ، وأن تقضى على اليأس ، إذا ، استطعت أن تؤمن بالفارق الشاسع بين ما تريده وبين ما تتمناه .

فإذا كنت تريد أن تعرف ، ما تريد ، فاعمل ، لما تريد من سعادة سماوية وملك لا يضمحل ، ولا تضيع عمرك فى الإنتظار . فكل فضيلة تعمل فيها ، تجعلك أوفر قوة ، وأنضر أملا ، وأمضى عزيمة ، وأشد إيماناً ، وأكثر قرباً من الله ، وأكثر اتصالا بما تريد . فلا تتردد حتى لا يطول انتظارك ، لأن الانتظار يكون شلل ، أما الأمل فهو إرادة ، وحركة دائبة . ومن العجب أن يثور الأمل لحقه فى الحياة ويزداد تشبثاً بها ، وإصراراً على أن يبقى . وأن يكون ، وأن يصبح كل شىء مهما كانت العقبات ، ومهما بَعد الزمن .

وبسبب هذه الرغبات التى تدفعك ، والواقع الذى يقيدك ويقعدك ، تحيا حياتك معلقاً بين الأرض والسماء ، بين الخيال والحقيقة ، بين الاشتهاء والحرمان ، فلا يمكنك أن تهرب من أمانيك ، فتقتلها ، أو تتناساها . ولا تستطيع كذلك أن تحقق الواقع الذى أنت فيه فتتخلص من الوسائل التى قلما تتحقق بأمنياتها وأهدافها غير الواضحة . لأنها تريد تعاوناً بينك وبين أحاسيسك الروحية ، إذ أنه لا سابقة لك ولا لاحقة فى مضمار الجهاد ضد العوامل الفتاكة للشعور ، والإحساس ، والتعاون ، والوجدان .

وواضح كل الوضوح ، أنه لايوجد تعاون ولا وفاق بينك وبين نفسك ، هذى الجوهرة الثمينة التى تحتاج إلى برنامج مقدس تسير عليه دون أن تلتفت يمنة ولا يسرة . وبهذا لا ينفتح باب مباحثات خاصة لا يشتم منها أنك أفرطت فى عمل الإثم الذى به حصل تبدل لا يستهان به ، فى مجرى سيرك الجسدى نحو الفضيلة التى اصطدمت بعقبات سيكون لها أثر على جانب من الأهمية ،

لأن عجلة سيرك نحو عزة النفس ، وكرامة الخلق ، وعلو الهمة ، قد توقفت .

ولست أعلم ما الذى دعا إلى هذا التبدل والوقوف ؟! أنه لا يوجد أحد يستطيع أن يعرف هذا التبدل العكسى ، والوقوف الجامد ، إلا نفسك بالذات ، التى يمكنها أن تعرف مواطن الضعف فيك ، وتشعر بخطورة موقفك أمام الله ، والملائكة ، ومجمع القديسين ، ومصاف الشهداء ، بل إنها تعرف تلك النتيجة التى سيجعلها التاريخ خالدة للأجيال القادمة .

فعلى ضوء هذا الموقف الرهيب ، أناجيك أن ترنو بنظرك إلى مستقبلك الأعلى ، الذى تملكه ، بنية سليمة ، وقلب طاهر ، وكلمة صادقة ، وحياة روحية ، كما أنه يجب عليك أن تتباعد عن ضعف النفس الذى يجعلك هزيلا فى كل تصرفاتك ، لا رأى لك ، ولا تقدم فى أى سبيل . وطبيعى أن الشيطان يواصل أعنف الحملات عليك ، لكى يمنع سعيك نحو عالم أفضل . فأساليبه قوية وخداعة ، ويريد بذلك أن يكون سير أمورك ، وفق إرادته المسلوبة ، التى لا تقيم وزناً للشعور ، والإحساس ، ولا للقيم السامية والأخلاق الحميدة .

أما أنت فاعمل على أن تكون حياتك سائرة على قدم وساق جنباً إلى جنب : الإخوة ، والمحبة ، والسلام ، والقيم الروحية ، وعلو الهمة ، وصدق الطوية ، وصفاء الروح ، ونبل المقاصد ، وعزة النفس .

هذه صفات حسنة ، وجواهر كريمة ، فابذل جهدك . وأظهر حكمتك لاقتنائها ، لتقيم صرح الإنسانية الحقة الذى تضعف أمامه أحلام الأنانية ، وتمحى الحدود الضعيفة ... فجاهد واعمل على استعادة قوتك ومواهبك . والحكيم يقول : « يد المجتهدين تسود أما الرخوة فتكون تحت الجزية ، الرخاوة لا تمسك صيداً أما ثروة الإنسان الكريمة فهى الاجتهاد » (أم ١٢ : ٢٤-٢٧)

طريق الخلاص

منذ أن خُلق الإنسان ، وهو لم يدخر وسعاً فى سبيل تثبيت حقوقه ، وإيجاد الأسباب التى تدعمها وتثبتها ، حتى تكون غير مقيدة ، وتمتد إلى جميع ميادين النشاط والكفاح ، نحو العمل على تحقيق المبادىء التى تجعل اسمه يلمع بين أهل جيله ، والاسترشاد بالذين لازمهم هذا التوفيق فى كل زمان ومكان .

ولكن بالرغم مما يبذله الإنسان من جهد وجهاد فى هذا الميدان ، فإن الشيطان يضع قيوده الاستبدادية الصارمة فى وسط طريق الكفاح المقدس ، إلا أنه لم ينقطع عن كفاحه ونضاله فى معمعة الحرب الأخلاقية خلال مراحل حياته المتعاقبة ، ليتمكن من مغالبة الأهواء الشريرة ، ويتخلص من طغيان الشهوات الجسدية . والتقدم فى هذا السبيل يشيع فى النفس الأمل . إذ هو من العوامل الحية التى يسترشد بها الإنسان ، ويرجع بها إلى جنسيته الأولى قبل المخالفة ، ويجعلها بمنحى من القيود الشيطانية المهلكة .

وقد استطاع الإنسان أن يصل إلى أهدافه السنية المقدسة حيناً بعد حين . إلا أن النجاح لم يكن حليفه فى أغلب الأحيان والأزمان ، لعجزه عما لديه من أسباب قوية تمكنه من النجاح ومغالبة العسف الشيطانى ، والتخلص من جوف الحوت الشهوانى ، ويبلغ إلى المستوى الرفيع الذى يعبر عن حقيقة ما وصل إليه فى سبيل هذا .

هكذا ظل الإنسان ، يعمل جاهداً فى حلبة النضال عن حقوقه المشروعة العادلة المقدسة . فمرة يخطو خطوة إلى الأمام ، ولايلبث أن يلقى نفسه مكرهاً على الإرتداد خطوات ، إلى أن جاء السيد المسيح ، وأعلنها حرباً مدمرة لمملكة الشيطان ، وأماط اللثام عما تنطوى عليه أعماله الرديئة ، ومبادئه الحقيرة الدنسة ، التى أهدرت من الإنسانية القيم الروحية ، والمبادىء السامية ،

والأخلاق الكريمة ، التى لا يستطيع أحد أن يحيا بدونها ، وإلا كان كالآلة الصماء ، يفتقر إلى الدوافع المعنوية التى تشجعه على أن يحيا حياة عاملة فى صميم الحياة ، لا على هامشها .

فلا تهاون بهذه القضية الإنسانية التى من أجلها تجسد ربنا يسوع المسيح ، وأعلن رسالة السلام ، التى تكفل لكل منا حقوقاً ، وتدفعه قدماً ، إلى الأمام ، حيث الطاقة الروحية التى تعينك على النهوض بنفسك ، والسمو بها نحو عالم أفضل . فالتقدم فى هذا السبيل يقتضى المثابرة ، والصبر فى الجهاد الدائب ، الذى يوصل إلى حد الكمال ، والكرامة ، والإيمان ، والعمل الذى يكفل لك مستقبلا مشرقا ، زاهراً ، تتوافر فيه العوامل الراقية الطاهرة ، التى تؤكد الصلة الوثيقة بين السلام ، والسير نحو المثل العليا التى ترد للإنسان حقوقه وحرياته التى كانت مهضومة ، وغير مبعوثة .

ولكن بميلاد الرب يسوع ، تحققت هذه الأمنية ، وتنفس الإنسان الصعداء ، وتجلت مظاهر نشاطه ، واشتد ساعده على مر الزمن ، وأيقن أن كفاحه الطويل لم يذهب سدًى ، بالرغم من المحاربات الشيطانية التى كانت تستهدف قلبه للسيطرة على حيويته داخلا ، وخارجاً . هذه صورة حية ، لمعركة كبرى ، عنيدة ، لا تعرف لليأس معنى . وقد أخذت آثارها تظهر فى شتى ميادين الحياة الروحية . لتطيح بفضيلة واستقامة البشر .

ومما لا شك فيه ، أن البشرية لم يتم لها الخروج من هذا المأزق الذى وقعت فيه ، بسبب انحرافها عن الطريق السوى ، حتى صارت قرباناً لتحقيق غايات الشيطان ، إلا بعد أن تحمل السيد المسيح مسؤولية هذا الإنحراف وشرَّع تشريعات ، وسنَّ قوانيناً ، أقرها بدمه المقدس الكريم ، لمصلحة البشرية عامة .

بعد هذا كله ، نرى الكتلة الآدمية الخائنة ، قد أبت أن تسير على ما ارتضته لها العناية الإلهية ، من روح معنوية ، تتضمن نبراساً تستضىء به

الإنسانية جمعاء ، وشعلة قوية يشمل وهجها الجميع بلا استثناء . كما أنه تتجلى لنا الناحية الروحية التى يجب علينا أن نرقاها ، ونقوم على تغذيتها بالأساليب المستمدة من الدين ، وروح المحبة المنبعثة عنه ، لنستطيع أن نفتخر بما قدمه لنا يسوع المسيح من تعاليم ذات مبادىء سامية ، قامت عليها حضارة جديدة ، وتألفت على أهدافها رسالة اجتماعية ، لها من الأثر والحيوية ، ما يجعلنا نطالب شبّان هذا العصر ، باتباعها ليكون لهم الخير الأعظم ، والمثوبة الكبرى فى الدنيا والآخرة .

صراع

أناجيك مناجاة مخلص ، أن تكون متحداً مع الله ، لتزداد نمواً روحياً ، تبعاً لازدياد الوعى الباطنى المدعم على عزيمة قوية ، وعزة نفس شريفة ، تأبى المكوث بين مزابل النزهات العالمية . إذ أنه لا أحد من الناس ، ينكر أن الاتحاد مع الله ضمان نهضة روحية ، وثقة بالمستقبل ، وحزم على العمل الجدى المتواصل ، أو الكفاح العظيم ، الذى يوصل إلى الأهداف القريبة التى ترفع شأنك فى هذا الوجود ، وإلى الأهداف البعيدة السمائية ، التى تتطلب تضامناً وتعاوناً ، ونشر الحق ، وبسط السلام ، وثقافة عقلية ، شاملة لكل حواسك الداخلية والخارجية .

فبالاختبار تعلم ، أن الاتحاد مع الله ، يكسبك قوة صادقة ، وكرامة شريفة ، ورجولة حاسمة ، وإيمان قوى ، ينطلق بصيحة من قلبك ، يريد أن تكون لك رسالة فياضة ، للبناء لا للهدم ، تعبر على أن لك شعوراً حساساً نحو بنى وطنك ، تعمل لهم الخير كما لنفسك ، لأنه مات من عاش لنفسه ، وعاش من عاش لغيره .

كما وأن الاختبار أيضاً ، يثبت على أن الإنسان فى استطاعته ، أن يلفت إليه جميع أنظار العالم ، بالمساهمة فى بناء صرح الفضائل بعمل إيجابى ، يحقق مبدأ توطيد السلام الذى يتجه إليه العالم الآن .

فاحرص كل الحرص ، على أن يكون الاتحاد مع الله هو رائدك ، ولوج كل سبيل لتحقيق أمانيك الروحية ، وساير روح المجتمع الذى أنت منه ، وهو منك ، وتبوأ مركزك اللائق بماضى خلقتك الأولى ، لئلاّ يقال عن الاجتماعات الروحية ، أنها حركات لا يربطها عزم ، ولا تصميم ، ولا تضامن ، ولا تآزر ، لماذا ؟! — لأن صراعاً شديداً قائماً ، يستتر بين

الألفاظ المعسولة ، والمنازعات البارعة بين ضميرك ، ورغبات نفسك .

هذا الصراع القائم بينك ، وبين عدوك اللدود « الشيطان » لن ينتهى إلا بأحد أمرين ، إما بصدام عنيف فى ساحة المعارك الظاهرة ، أو باستنكار شخصيتك ، وتعود بعد ذلك إلى الصفوف الخلفية ، راضياً أو كارهاً ، وهذه هزيمة لا تباريها هزيمة فى أيامنا هذه ، وفى سبيل المستقبل .

هذا الصراع لابد منه ، وهو ظاهر بقوة لا تضارعها قوة ، إذ أن الشيطان أسد زائر ، يريد الابتلاع ، ولاسيما ، يشتد هذا الصراع على كل من يؤمن بالمبادىء السامية ، والأغراض المقدسة ، والديانة الطاهرة النقية ، والحقائق الإيمانية التى تحقق استقلالك الشخصى ، فيكون معناه ، فشل لسياسة الشيطان ، التى تهدف إلى تشتيت أفكارك ، وتمرد أعضاء جسمك عليك .

لأنه أهم ما يلاحظ فى هذه العجالة ، أن الشيطان منذ ظَفَرْتَ باستقلالك ، وَرُفِعَ علم الحرية المقدسة عليكَ ، وهو دائب السعى لإحداث تطورات تقلّل من شأن شروط معاهدة الاتحاد الإلهى ، القائمة على الصلاة النقية . وهذا أمرٌ له أهميته ومغزاه ، ما فى ذلك شك .

والصلاة فضيلة ، يجب أن تنفرد بها عن باقى أعضاء الهيئة الاجتماعية التى لا تزال مفككة ، لا روابط دينية بينك وبينهم . وحيث أن الصلاة هى الأساس الذى ترتكز عليه علاقتك بالله ، لذلك لم يعد أمامك ، إلا اتخاذ الخطوات السريعة ، لتنسيق برنامج هذا السبيل الذى تنتهى عنده كل المحاولات ، وتقف أمامه التيارات ، التى لم تنجح فى تحويل الذين لهم طابع خاص ، فى هذا المضمار المقدس ، ألا وهم أبناؤنا القديسون ، الذين شجّعهم الأمل ، فأعلنوا عزمهم ، على مواجهة الحقائق بالصراحة التى تهدف إلى تعزيز الروابط الإلهية . وهم فى هذا العالم ، جمعتهم آلام الوحدة ، وآمال الأخوة ، والأهداف المقدسة التى تتصل بالعالم الروحانى ، لا بل هى طريقه .

فأنت الآن مزيج الروح المثالية ، والروح الواقعية . فاظهر دوراً فى

تاريخ الجهاد المقدس ، يدل على مبلغ ما وصلت إليه من فهم الحقائق ، طبقا لأغراض ومبادىء الميثاق الذى بينك وبين الله ، الذى يثير فيك روح الاهتمام ، والتفكير الروحى الجدى لحل مشكلاتك الخلقية ، والعمل على التغلب عليها .

فلهذا أنصحك بسرعة الاتحاد مع الله ، والعمل على قمع جماح الجسد المتمرد ، والإيمان بالعمل فى سبيل إنهاض المميزات الجسمية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والخلقية ، والروحية ، التى تميزك عن سائر المخلوقات ، التى تستمد نسمة حياتها من الخالق الأعلى الذى أنت تنتسب إليه .

وانظر إلى عظمة انتسابك ، وكن عظيما بأعمالك ، التى تزيدك شرفاً واستقلالا ، لأن قائدك هو « الألف والياء » إله الكل ، وخالق الجميع .

المثل العليا

من المنهج ، أن تجمع شتات أفكارك ، وتحاول تركيزها نحو هدف معين . وهو فصل الغايات عن الوسائل . يضاف إلى ذلك ، العمل على تقوية الروح المعنوية فيك ، وتعزيز الشعور بالمسئولية الموضوعة على عاتقك ، ومضاعفة الجهد ، والبذل فى خدمة الآخرين ، ورفع مستواهم الروحى بكافة الطرق والعمل على تحقيقها بكافة الوسائل . فتكون بذلك قد فتحت باباً جديداً ، أمام من يقصد المعرفة ، وهيأت مستقبلا تحوطه العزة والرفعة لمن يتقدم إليك .

وما من شك ، أن أخطر سلاح يهدم الإيمان والعقيدة ، هو الغدر والخيانة ، وعدم احترام العقل ، والتمسك بالحكمة ، والموعظة الحسنة . ولعل السبب فى نجاح الذين خلعوا عنهم ثوب دناءة الخلق ، هو الاخلاص المنبعث من القلب ، ونقاء الضمير ، والإخاء ، والمحبة . هذه الصفات الحميدة ، هى وحدها تجعلك مستمراً ، دون هوادة ، نحو ما تصبوا إليه نفسك من أهداف مقدسة .

ولأجل هذه الأهداف بالذات ، يجب أن يكون شعورك بواجب العمل على تحقيقها ، قوياً حساساً ، لأنه من الواضح ، أن الله يريد منك أن تقرر مصيرك بنفسك ، وأنت على قيد الحياة قبل أن تغادرها ، فتعجز عن التقرير الذى يرجى منه الخير السماوى . وقد أصبح معروفاً لدى الدوائر الشيطانية ، أن مشكلة خلاصك من هذا العالم تثير اهتمام الرأى السماوى . وهذا الاهتمام يتجلى عندما تريد أن تعيش حراً طليقاً ، غير مقيد بقيود العبودية الشيطانية التى ظللت خاضعاً تحت نيرها ، لا سلطة لك على نفسك ، لأنك بادى ذى بدء ، رفضت احترام حقوقك التى ردها الله لك ، وخولك فى اختيارك لها ،

حرية تامة . ذلك استناداً على القرار الذى اتخذه ، وأعلنه على رؤوس الملأ ، قائلا « لقد حرركم الإبن » . فبهذا القرار ، صارت لك حقوقاً مشروعة ، مقدسة ، تنعم بها على النحو المنشود ، بسلامة الخطى ، واستقامة السير فى فلك هذه الدنيا .

إذاً ، فلا تلتفت إلى عوامل الفساد ، ومظاهر الأساليب الشيطانية ، وابتعد عن أسباب الضعف ، والخذلان ، والانحراف عن سلامة التفكير ، والتقدير . حتى تكون كفؤاً على تقديم الأغراض العامة على أغراضك الشخصية . بذلك فقط ، يكون لك سياج ضمانى لآرائك ، وحرية تفكيرك ، وسلامة تقديرك لجسام الأمور ، التى تحتاج إلى جد واجتهاد ، وبحوث ودراسات ، تشخص الداء ، وتوصف الدواء ، الذى من ورائه الأداة القادرة على تنفيذ ما فى قلبك من إستقامة صحيحة ، تريك أن بينك وبين الدوائر السمائية ، روابط تاريخية مقدسة ، ومواثيق الهية ، لا ريب فيها ، ولا تدليس .

ولتعلم ، أن هذه الروابط والمواثيق ، تعد فرضاً من الله ، للإنسانية التى رزحت تحت ديون غير مشروعة ، لدى من سلك طريق الهدى ، وتشبع بروح المعرفة الحقيقية المبنية على الواقع ، والمؤسسة على المبادىء المشتركة ، بين سكان السماء ، وسكان الأرض .

صيانة العقيدة

ممّا يبعث سرورى ، أن أراك مهتما ، بما يجعلك فى ركب الحياة الروحية ، الغير معروفة عندك من قبل . الأمر الذى يجعلنا أن نعتقد ، أنه لن يمضى وقت طويل ، حتى تصبح ذا كفاءة وقوة ، تقوم بعمل الجندى فى حروب الرب ، وذلك لما عرف عنك من شغف نحو هذه الدعوة الربانية ، وإقبالك عليها ، وعلى دراسة مبادئها السامية ، إقبالا يدعو إلى التفاؤل والإعجاب بك ، بالرغم من محاولة بعض النهـازين للفرص ، من طعنك بسهام الإشاعات والأقاويل .

إلا أن هذه الإشاعات ، أظهرت جدية سيرك فى الطريق الضيّق ، وقدرتك على قيادتك نفسك ، وتدريبها على محاربة جيش الأبالسة ، الذين يخجلون من مواقفهم القديمة ضد اتجاهك نحو عالم النور ، الذى لا تطغى عليه المادة المظلمة ، لأن مبادئه روحانية . ومن حق أى إنسان أن يتحدث عنه ، لإيجاد جو من الثقة ، ليحمل الرسالة المقدسة ، ويؤدى الأمانة كما هى بالعلم ، والعمل ، والخلق الرفيع . فيصل بذلك حاضره بماضيه ، وتستقر به الحياة على صيانة عزته ، والسهر على حريته ، وكرامته .

فعلى ضوء ما تقدم ، أريد منك أن تكون ، شاباً قوياً فتياً ، لا يخاف ، ولا يخشى ، ولا يهاب الموت ، فى سبيل محبة الله ، والتضحية لأجل الفضيلة ، والذود عن الأخلاق الحميدة ، وتطهير القلب تطهيراً كاملا ، لتكون السريرة حميدة ، والمبادىء جميلة .

وليكن اتجاهك نحو القيادة العليا التى مركزها السماء ، ليريك الرب يسوع المسيح ، كيف تكون متيقظاً ، لصد هجمات العدو اللدود ، الذى يريد السيطرة

على المنطقة الشمالية من جسمك حيث يوجد فيها القلب ، الذى وُضِعت من أجله استحكامات ، وأوامر مشددة : « فوق كل تحفظ ، إحفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة » التى لها رسالة تشرق عليك ، وتقوم على التجاوب مع فطرتك ، وتصون توازن غرائزك ، وتضبط نزعاتك فلا تطغى بذلك عوامل الشر على الجانب الروحى ، الذى منه تشرق الآمال إلى صالح الأعمال التى هى عنوان الحياة الناهضة ، التى تجرى فى شتى ألوان الأهداف الحيوية ، بما فيها من أحاسيس ، ومشاعر ، ومدارك ، وحرية ، وحق .

فمن أجل هذه الأسس السليمة ، التى يقوم عليها التعاون لتحقيق أغراضك المقدسة ، يجب عليك أن تعقد النية باتفاق الكلمة لتكون النتيجة طيبة . إذاً ، فتمتعك بكل مقومات العظمة ، وامتلاكك روحاً نبيلة سامية ، كانت رداً ، حاسما على محاربيك الشياطين الذين توهموا ، أن طبيعة الإنحراف عن جادة الصواب ، ما زالت فيك ، وأن الفساد ينتشر بين جنبيك أكثر من ذى قبل ، فى صور الإنحلال الخلقى الذى حل فيك أولا ، وفى صور تعدد المذاهب الهدّامة التى تريد أن تقضى على الفضيلة وأساليبها الكريمة .

فكن على حذر من هذه الطفيليات ، التى استفحل داؤها ، واستشرى بين العائلات فأوجدت هزّات نفسية عنيفة بين أفرادها ، وأضعفت روح الدين فيهم ، وزعزعت العقيدة من قلوبهم . ولست أشك فى أن هذه الجراثيم الفتاكة بالمجتمع ، لن تخف حدتها ، ولن تتلاشى قوتها ، إلا فى رحاب الكفاح ضدها ، فيذهب بذلك بريقها الخلاب ، وينطفىء طلاؤها الجذاب ، إلى غير رجعة .

ولا تكن مباءة لتوافه الآراء ، ولا تجعل دائرة جسمك مأوى لجوارح الطيور ، فإن مدارك العقل لا تتسع ، وآفاقه تضيق ، ويعجز بذلك عن كشف أسرار الطبيعة ، ومعرفة أغوارها . فبالعقل وحده تعرف مبدعها وعظمته ، وما أودع فيها من أسرار غامضة ، وفوائد نافعة لك . فهى خطوات انسانيتك

فى عمران الحياة ، التى تظهر فيها بين آونة وأخرى ، نزعات هدامة لسعادتك الروحية ، والجسدية دون ان ترى فى وجودها ضرراً .

فكن ذا صولة ضد هذا الشذوذ ، وقابلها بروح وثابة نحو المجد الأعلى ، وعالجها بإيمان قوى ، وصد أمواجها المتلاحقة بإرشاد عقلك ، وقلبك المستنير كى تسيطر عليك نوازع الخير المحض ، وإنك على ذلك قدير .

معركة الفكر

منذ أن دب الوعى الروحى فيك ، وأنت تتعرض لموجات متتابعة من حب الفضيلة ، ومن غزو الشر المنـظَّم ، تحت إشراف هيئة ، ليست هى من دم البشر ، ولا هى من صفوف الملائكة الأطهار ، بل هى أهواء شر ، تذيع فى العالم ، رسالة معينة ، وسيلتها نشر مبادىء هادمة ، وأفكار معطلة مغلقة .

ولما كنت أعرف أن ميدان المعركة الفكرية خطر ، ولما فيه من تصارع فى الآراء ، وتطاحن فى المذاهب ، وتدافع فى الأقوال ، حتى ليتشابه الأمر عليك ، فلا تعلم هل أنت مع الحق سائر ، أم مع الباطل خائر ؟

قررت ، ألا أتخلى عن هذا الميدان ، لأشاركك الكفاح فى معركة تحرير الفكر . وقد أعددت العدة لذلك ، وأرهفت قلبى لتهيئة أفكار صالحة تغذى صدور من أرهقتهم الحيرة أمام غزو ثقافى واسع النطاق ، تتنازع فيه الأهداف العقائدية . فهى بضاعة أجنبية ، ظهرت فى ثوب معين ، لظروف تدَّعى الانتفاع بها . ولاريب ، أنه سبق ظهورها وقت طويل ، وجهد معاً ، وعمل دائب ، بحيث استطاع الجهد المبذول ، أن يؤتى هـذه الأثمار الطيبة التى هى طرح أشجارنا ، ونسج أيدينا .

فابذل أقصى ما تملك من جهد فى سبيل تحطيم الأسوار والحواجز التى أقامتها هذه الهيئات لظروف خارجة عن إرادتنا ، وقد طالت مدة انتفاعهم فى هـذه المعركة الفكرية ، التى استيقظ لها الوعى الدينى ، وأصبح من اليسير علينا ، أن نبيِّن الأهداف الرئيسية ، التى يمكن تلخيصها ، فى ضرورة معرفة نفوسنا أولا ، ثم عقيدتنا ، وما تنطوى عليه كل منها من أسرار ، فى عالم الأمس وعالم اليوم .

ولما كانت هذه الأهداف ، تعيننا على دراسة مراحل الكفاح ضد الخطر الذى يهدد كيان مجتمعنا القبطى ، لهذا :

يلزمنا أن نسير خطوة واسعة النطاق ، نحو ثقافة علمية ، روحية ، تكشف لنا عن أسرار المستعمرين لعائلاتنا . متبعين فى ذلك أساليباً خبيثة فى اجتذاب قلوبهم ، ببريق التبشير ، الذى ينطوى على السم الزعاف ، القاتل للمبادىء السامية ، التى دافع عنها جمهرة الآباء البارزين فى تاريخ الكنيسة . تلك المبادىء التى تضفى بروح عقيدتها الراسخة على أبنائها ليتتبعوا ، ما نشر قديماً ، وما ينشر حديثاً ، من كتب تتعرض لسلامة الحقائق الإيمانية ، وتنهك أعز ما نملك من مبادىء جوهرية ، لها خطوط كبرى فى مجال ما ظهر من عبث فى الآراء ، وخطل فى التفكير السليم ، الذى نسج خيوط وشائجه العريقة ، ووطد صلات وثيقة ، ربطت آباء الكنيسة الرسولية شرقاً وغرباً ، شمالا وجنوباً ، الذين اختاروا لنا ، ما يقرأ لاستكشاف نفوسنا لكى نعرف من نحن ؟

وما دورنا فى تاريخ الكنيسة المجيد المتصل الحلقات ؟ ذلك التاريخ ، الذى يكسف عن الفرق بين حاضرنا وماضينا . فنعرف فى أى طريق نحن ؟ كما نستطيع أن نحدد أهدافنا المقدسة ، والطاقة التى يجب أن نملأها أفكاراً تحقق هذه الأهداف ، التى يبهر نورها العالم الذى نعيش فيه .

ولا شك أن الظروف المحيطة بنا ، حريصة على يقظتنا ، حتى لا نجهل شئوننا ، التى يعنينا أمرها فى كثير أو قليل منها . وإننى أعجب لقادة الرأى فينا ، كيف يتخلون عن هذا الميدان ، كأنهم بهذا يعيشون فى زاوية من زوايا الأرض التى تعزلها المياه من جميع الجهات ، يجهلون ما عليهم من حقوق للمجموعة ، كما للفرد . فهذه أعظم الأهداف الكبرى ، التى يجب العمل بكل الوسائل الممكنة للحفظ عليها ، والذود عنها ، بالنواحى الإنشائية ، والتعميرية ، والثقافية ، وتوثيق العلاقات الاجتماعية والروحية بين شبان

وشابات ، رجال ونساء المحيط القبطى . فيحملوا بذلك الرسالة ، ويؤدوا الأمانة للعلم والعمل ، والخلق الطيب الكريم . وليس ثمة شك ، فى أن قادة الرأى ، لن يغفلوا عن أية وسيلة توصلهم إلى أهدافهم التى تحفظ سلامة العقائد فى الوقت الذى يتمتع فيه كل منّا بحقوقه ، وسلطته ، وكرامته . فجميع الأمم تسعى لتعليم هذا الميثاق بكل الوسائل المستطاعة ، وتوسيع نطاق الإلمام بأهدافه ومراميه ، لثقتهم بالمثل العليا التى ينطوى عليها ، وما نتج عنها من نهضة فى المستوى الروحى بالنسبة لقلة من الناس ، وليس للجميع .

رجولة

ما أسعد الكنيسة بك ، وما أسعدك بالكنيسة التى طالما قدمت لك وسائل الرعاية والعناية ، التى تؤدى إلى تهيئة الأسباب لتحقيق ما تحتاجه من شعور جديد ، ورغبة صادقة ، وتربية خلقية كريمة ، وعقيدة راسخة ، ستقوم على سواعدها ، مسؤولية كبرى ، تنبض لها الحياة فى مستقبل الأيام ، وتدعوك إلى الجد والكمال ، لتدعو الناس إلى الحق ، وإلى المثل العليا ، وإلى الأهداف التى تتوقف عليها رفاهية كل فرد ، وحصوله على حق الحياة ، التى تقوم على الإيمان بالله وروح المودة والتعاون ، والثقة بالنفس .

ولا شك أن هذه الاعتمادات ، تكسبك حماسة نفسية ، تنبعث فيها شرارة مشتعلة ، تدفع فيها روحك ثمناً فى سبيل محبتك للكنيسة ، التى حملت نور العدل والحرية قديماً ، وسعت لخيرك وتجديد عزيمتك ، لتجعل منك حركة سماوية ، ليس فى استطاعة كائن من كان ، مقاومتها ، أو هزيمتها .

فانت ، أنت الحركة المقدسة ، التى اختارتك القدرة العلوية لتحقيق رسالة طيبة ، تكفل الخير لبنى جنسك ، دون أى مؤثر خارج ، يريد الخروج على المبادىء القويمة التى نصت عليها المواثيق الكنسية ، التى حطمت كل المؤامرات التى قامت للقضاء عليها ، لأنها مواثيق لها حرمتها ، وقدسيتها ، نطقت بها المجامع المقدسة التى صممت على تحرير أبناء الكنيسة ، من تجار المبادىء والغفرانات ، التى يتحصن وراءها ، الشر ، والطمع ، والفساد ، والغيرة ، والحسد ، وغير هذه الصفات التى أوجدت العداوة ، والانقسام ، والخصام . وهذه حوادث خطرة مزقت جسم الكنيسة ، التى من أجلها ، ثار الآباء

الصالحون الذين آثروا النفس ، وأحبوا الموت فى سبيل حريتها المقدسة ، وعدم مساس رسالتها بأدنى ضرر .

ولما كانت الكنيسة ، تدرك أنك غير معصوب العينين ، فإنها تتجه أنظارها إليك ، لتثب وثبة كبرى فى خدمتها ، بعدم خضوعك ، للضلال ، والفساد ، والدجل ، والانحلال ، بل إنها تستدعيك أن تأتيها بعطف ، وحنو ، وتقدير كريم ، لأنها محتاجة إلى شباب قوته : خلق وفضيلة ، وقوامه : التفوق بالمجد والخلود ، والعلم والعمل ، ليعرف أن يومه ليس كغيره بالأمس .

فالحالة الراهنة تعدك ، لمستقبل بعيد ، عن المجون والخلاعة ، يحتاج إلى جهود جبارة ، تطيح بالخنوع والاستكانة ، وترفع لواء الرجولة والفضيلة فى شتى ميادين الحياة القويمة ، التى من أجلها ، تتحرك طليعة الشباب الحر الثائر ، الذى آلى على نفسه أن يكون للكنيسة عدتها الفتية ، ورعيلها الأول ، المضطلع بالتبعية والمسؤولية فى شتى مناحى الإصلاح ، بضمير نقى ، وبقلب ملؤه الإيمان بالله ، الذى عينه ساهرة على الكنيسة من أول السنة إلى آخرها .

ولابد أن تدرك ، أن ميدان العمل واسع يستوعب منك جهداً كبيراً ، تتفتح له أذهان الناس الذين غايتهم أن يروك ، نموذجاً حياً ، وعنواناً رائعاً ، تصنع المعجزات ، وتقوم على أكتافك الحضارات . تتمثل فيها قوتك المثالية ، التى تسخر لك الطبيعة . فتشيد ما عجز عن إشادته من سبقوك ، من كبريات الأعمال : صرحها الأخلاق ، ودعائم بناءها المعرفة . سيخلدها لك الزمن على صفحات الدهر بمداد الفضيلة ، والحق ، والإخلاص ، والوطنية الصادقة ، التى تريد منك ، أن تسحق تحت أقدام أمانتك ، الشعوذة الدينية ، والدجل ، والظلم الطائفى ، والاستبداد الفكرى ، المعطل للدعوة السليمة ، التى قوامها : الإرشاد إلى أهداف تسمو بالأخلاق ، وتكوين جو مثالى ،

غايته التقدم ، والنهوض بالمستوى العلى الوافى ، وبث روح الفضيلة ، وتنمية
الوعى الأدبى ، ووضع دستور ، لتكوين الشخصية التى ترفع بين يديها برنامج
الإصلاح ، الذى سيسير بالشباب ، نحو العمل المنتج ، وإلى الأهداف ، التى
هى سلم للكرامة ، ومكارم الأخلاق ، التى تربط ماضى الكنيسة بحاضرها ،
ومستقبلها ، والتى تتطلع إليها اليوم أنظار العالم كله ، بتلهف . فكن حاراً ،
واعمل لهذا المستقبل ، لكيلا يلفظك المجتمع ، وتصير منبوذاً .

المستقبل

أناشدك باسم الإنسانية ، أن تراعى الصعاب التى تواجهك فى جميع مراحل
حياتك الروحية والجسدية ، وتتعهد فى الوقت نفسه ، بأن تراعى مبدأ الغيرة
والفضيلة ، لكونهما منافسة شريفة . ولتعلم ، أن جميع القرائن تدل على أنه
لا بد من فترة ، مظهرها قلق فى الفكر ، ووهنات فى العزيمة ، تمهيداً
لتطورات هامة ، ينتظر أن تطرأ على العلاقات الروحية التى بينك وبين
الدوائر السمائية .

كما إنى ، أراك منتهجاً سياسة المحافظة على أحاسيسك الداخلية لئلا
يتسرب إليها شىء من الأفكار المقلقة . بجانب إنتهاجك سياسة خارجية
قوامها التعاون الوثيق مع العالم ، والتفاهم التام مع ملذاته ، ونزواته وهذه
سياسة لاتشكر عليها ؛ لأنها سياسة التأرجح بين مبدأين : الباطن ، والظاهر .

لهذا ، اجعل سياسة الداخل تظهر آثارها إذ أن من فضلة القلب يتكلم
الفم ، فالموقف دقيق ، والحساب عسير . وقد بات واضحاً أنه لن يكون
من اليسير انتهاج سياسة واضحة المعالم بعد الآن ، لعدم وجود وقت كاف
تستأنف فيه العلاقات الطيبة بينك وبين من بيده حياتك : والزمن ليس فى
يدك ، وغير مضمون ، بل كثيراً ما يكون مشحوناً بعوامل القلق ، التى
يتعذر معها الجهاد والتعاون اللذان يكفلان عدم التبدل فى هذا السبيل الذى
كثيراً ، ما يكلل بالنجاح .

إذاً ، فلا تقف متردداً بين معسكرى ، الروح ، والجسد . فتضيع
حقوقك ، غير المنكورة ، كما لا تستطيع أن تنمى شعورك المتبادل ، بالتفاهم ،
والعطف ، مع شر ظاهر ، مصدره أولئك الذين يقفون ضدك فى كل عمل صالح .

لهذا ، أنصحك ، أن تتخذ حيالهم موقفاً حاسماً ، كله صبر ، وبحث دائب عن كل وسيلة ، تكسبك شجاعة ، وقوة تزيدانك صموداً وثباتاً على التجارب التى قاسى منها الجسد ، والعقل . صوّرها ، حرمان من المعرفة ، واضطهادات وآلامات . قام بها أناس متوحشون ، وملوك جبابرة ، مازالت تنغص عيش البشر .

ولتعلم ، أن إيمانك الراسخ بكرامة الإنسانية ، وبرعاية الله ، يجعلانك تنسى كل الجرائم ، التى ترتكب ضد العدالة والرحمة ، والاستهتار بالكرامة بل يجعلك تتمتع بأعظم النعم ، التى يزدهر فيها ذلك الأمل ، الذى من ورائه قوة تزداد إشراقاً ونوراً ، وهدى ، بالسلام القلبى . غير أن الأمل دون العمل ، قد يكون فاتحة خداع ، تجعل الدنيا مسرحا للخلافات ، والمنازعات التى لاتنتهى .

هذا كلام ، له أهميته ومغزاه . فيه البرهان الكافى على أنه يجب عليك أن تقوم بنصيب كبير فى تعزيز السلام والتعاون مع أصدقائك ، لتستطيع أن تنعم فى أيام النور ، بثمار عصر يسوده الأمن والاستقرار وفهم الحياة الروحية والاجتماعية ، وما مر بهما من صعاب ، وما اجتزناه من عقبات بهذا تستطيع أن تكون ملماً إلماماً كافياً بخصائصهما السامية ، اللتان تعلوان بالقلب ، وتزهوان بالفكر . إذاً ، فلا تسير وراء ركبهما ، لأن وضعك يقتضى أن تكون رائدهما . وألا تتخلف عن منزلتك ، لهاتين الحياتين اللتين بذلت لأجلهما من الجهد والصبر ، الشىء الكثير .

انكار الذات

أعلم ، أيها الابن الحبيب أن المحب يريد أن يكون محبوبه فى أعلى مراتب الحياة . فسنّة الإنسانية الحقة ، أن تنكر ذاتك ، لظهور غيرك ، ليكون الخير مشتركا ، فتهون الحياة المملة ، وتندثر نوازع الأثرة وحب الذات وتعظم المعيشة ، ويصبح لها مجرى خاص ، فى فلك هذه الدوائر الأرضية ، التى تنقصها شوامخ الأعمال التى تنطق بشخصية القائمين بها . فالأعمال ترجمان الرجال ، الذين عملوا بتواضع ، دون أن يشعر أحد ببرنامج أهدافهم ، والتى خلدّت شخصياتهم فى السماء ، وجعلت لهم حياة ثانية ، وذكرى عاطرة على الأرض .

ولا يفوتك ، أن الرجل المثالى ، يكون شديد الإيمان بمبادئه ، وعقيدته السليمة القويمة . يضحى بمصالحه الشخصية فى سبيل إسعاد بنى جنسه ، ويكافح ليل نهار ، بلا غرض ، ولا طنطنة . خشية أن يصيبه الزهو والخيلاء . فينجذب إلى الإثم والطغيان ، ويختل بذلك نظام عمله . ورذيلة هذا شأنها ، لا يمكن لإنسان عاقل أن يتجاهلها أو يغض عنها طرفاً . بل يقتضيه مثل هذا أن يعمل جاهداً ، بتفكير عميق فى تركيز عمله ، وبيان أثره ، له شخصياً ، ثم للناس بعد ذلك . وعلى أية حال ، فإنه سيجنى ثمار ما فعل فى الحياة خيراً كان أم شراً سنحاسبه خلالها بمقدار ما جنى على غيره من ألم أو عذاب ، أو كسل ، أو تجاهل ، أو بغضة أو ظلم ، أو كذب ، أو نميمة ، أو وقيعة .

هذه الرذائل التى استعرضتها لك ، يمكنك أن تتغلب عليها ، بمقوّمات إنسانية ، تبعث إلى وجودك ، وتنفث فيك عزيمة قوية ، فتدأب للكشف عن المجهول والكامن ، من أسرار الطبيعة والوجود . فبذلك تقوى وتسعد ، وتكون رجلا ، يحيا حياة أساسها ، رعاية البشرية ، والعمل على سعادتها ،

التى لا شك أنها تقوم على ركنين : الأخلاق ، والصفاء الروحى إلى جانب المقومات الإنسانية ، التى تقرر مصير الإنسان الأخير ، حيث الحياة النورانية البعيدة عن عبث الناس .

فتجنب كل ما يمنعك من التزود الحقيقى من المعارف ، ولا يشجعك على البحث والإنتاج . حتى لا تبدو فى صورة من الضعف ، والهزل من ناحية ، وبالتالى ، لا تتجرأ على ارتكاب أسوأ الرذائل ، إلى جانب ، الغش ، والخداع ، والتملق والرياء ، والتواكل ، والتنصل من المسؤولية ، والمنافسة الخسيسة .

استعن بإمكانياتك فى علاج هذه الأمراض الاجتماعية ، والخلقية التى أخذت تتفشى بسرعة مفزعة ، فى وسط مجتمعنا القبطى . فتعطلت الأهداف ، وصارت فى طريق الغموض ، وعدم التحديد ، مما أثار الشكوى ، وأدى إلى كثرة المنازعات ، وتعطيل أعمال البحث والاستغلال ، فى مختلف المسائل الحيوية التى تحتاج إلى نشاط ملحوظ وكلمة موحدة . واستغلال جميع هذه الإمكانيات ، يقتضى الاعتماد على قيادة حكيمة ، موحدة ، تواجه الصعاب ، بعد فترة من الركود الطويل .

ويقينى ، أنك بعد قراءة هذه الكلمة الصادرة من قلبى إلى قلبك ، ستأخذك الغيرة على تراث أجدادك وآبائك ، وتقوم بعمل تتحقق معه الآمال وتتجدد به العهود النظيفة ، التى لا تسمح لكائن من كان ، أن يعبث بمستقبل ، يقوم على حقيقة راسخة ، ومبادىء شريفة ، تحوى تعبيراً إيجابياً عن واقع الحياة الجديدة التى تعبئها جهود جبارة ، تعبر عن تكامل الشكل ، وإذاعة الحقيقة ، المضمون لها النجاح .

نزاع القلب والضمير

بنى ! كثيراً ما تمنيت لك التوفيق ، على اجتياز مرحلتك الحاضرة الدقيقة دون أن تتعرض إلى شر أو أذى ودون أن تسمع للوساوس التى تعكر صفو حياتك ، التى لا تصان ، بغير الإدراك العميق ، والخضوع للإرادة الصالحة ، والابتعاد عن كل عمل ينطوى على المساس بدستور الحياة ، أو تعريضه للعبث .

لأن المرحلة ، لا تزال أمامك طويلة شاقة ، تتطلب ضبط النفس ، والابتعاد عن الشهوات ، مهما كان إغراؤها ، ومهما كان بريقها ، وعموماً فنجاحك فى هذه الأمور ، مقيد بحسن تصرفك من جانب إخوانك ، وبحسن تفهمك لجوهره وغايته . تلك الغاية التى تبطش بما عاداها من غايات أخرى ، بل تصحيحاً لأوضاع خاطئة ، وإشاعة حقوق كانت مهدرة ، وإقامة عدل به ترفع الحواجز التى قلما تتحقق فى الحال ، إلا ريثما تنتهى التيارات المختلفة ، وتظهر معالم الطريق ، بقلب سليم ، وفكر واع ، واتحاد مكين ، يكفل كل أسباب الطمأنينة والبهجة ، على أسس جديدة سليمة ، تشيع الارتياح والغبطة فى النفوس .

بهذا وحده يغلق فى وجه العناصر الهدامة آخر باب تحاول أن تنفذ منه وتصل إلى النفوس الضعيفة التى أرهقتها إجراءات تعسفية ، طويلة الأمد ، تعطل بها التقدم نحو العروة الوثقى ، التى تجمع بين الروح والجسد ، والضمير والقلب ، وسلامة النفس من عبث ألاعيب العناصر المعادية لأهدافنا السماوية المقدسة . وقد عرف الناس فى مشارق الارض ومغاربها بالإرشادات الروحية ، ما كانت تبيته الهيئة الشيطانية ، من حركات التجسس على أفكارنا

والوقيعة بين الجسد والروح ، ووضع قنابل الشهوات عند باب القلب . لتقوم بعملية التخريب والتدمير فى ديار إنساننا الداخلى ، وإفساد العلاقات السليمة التى بيننا وبين الله .

إلا أن ، السيد حاكم مملكة انساننا الداخلى أى الضمير ، متيقظ دائماً ستيما فى الكشف عماهو وراء الستار ولكن بأسلوب هادىء عميق ، متزن ، عن سر شبكة الجاسوسية الرابضة على حدود المنطقة الشمالية ، من المملكة ، حيث مكان السيد ضابط الأمن أعنى به القلب ، الذى ذهبت إليه رسل هذه الشبكة الخائنة ، وأقامت حول مملكته أسوار الزهو والخيلاء ثم جاءت فى أرضه ، إخلالا بالنظام ، واعتدت على منظماته العليا ، بأعمال التخريب ، حتى لم يعد ثمة مجال للمقاومة .

لان القلب ، استسلم لكلام الغادرين « ام ٢٢ : ١٣ » وارتبط بعهود الجهالة وألقى سلاحه ارضاً ، لأن جهاز الأفكار الرديئة رشقه بقنابله السبعة المحرقة « ام ٦ : ١٦ » ، والأعداء أحاطوه بأسلاك الشر الشائكة ، واعتقلوه فى بيت غريب ووضعوا عليه حراساً ستة « ام ٦ : ١٣ » لئلا يخرج ويصير طليقاً إلا أنه «أى القلب» لحسن مافى البيت من فراش وثيرة ذو رائحة عطرة نام وغط فى نومة عميقة لم يستيقظ منها إلا بعد أن أتاه الضمير ومعه دواء اليقظة منادياً له بصوت ملؤه الحزن والأسى ، إلى متى تنام أيها الكسلان .

متى تنهض من نومك ؟ قم أيها الشاب لأن « عند الباب ، خطية رابضة » تحت ستار الفروق بين الطبقات وتضامن الأعداء الذى فصل بين اللفظ والتحقيق ، وبين التفكير والعمل ، وفصل الإرادة إلى إرادتين متناقضتين بعد أن كانت إرادة واحدة ، تمكن الانسان ، الدائب ، المجد إلى الوصول إلى أهدافه دون شريك له .

لان الأرادة الغير المشتركة ، لها رباط وثيق بالقلب المبصر بنور المعرفة

والهدى الذى يدفع النفس بالنفس ، لتكون بعيدة عن دنيا المتناقضات حيث المطامع والمغانم .

فكل ما كتبته لك ، فهو كاف ليقظتك ، بعد أن ضحيت بمستقبلك ، وشبابك على مذبح أنانية قلب أحمق متأرجح ، بين الرأى والحق ، فذهب عنه جوهر القوة الدافعة ، للتقدم نحو موجة التأمل والتدبير ، وفقد القوة الدافعة إلى اكتمال العقل فى التفكير ، إلى الحركة والعمل لمعالجة أمور الانسانية بالحكمة ، والنصيحة الطيبة .

نهوض واستيقاظ

حباً فى المحافظة على مقدساتك المكتسبة ، يجب أن تلبى نداء الضمير بلا تأخير أو إبطاء ، وتخطو خطوات واسعة ، نحو ما يرشدك إليه هذا السيد اليقظ ، الضمير ، . فهو الحارس الأمين ، الساهر بالليل ، العامل بالنهار على تحسين أحوالك الاجتماعية ، عن طريق الاشتراك الاختيارى القائم على تبادل المعونة بينه وبين العقل ، لكونه مدبر المملكة الذاتية للإنسان الداخلى الذى يريد أن يعلن عن تقدمه فى الروحانيات ورقى حواسه الداخلية والخارجية ، بالتفكير فى ما يسهل الانتقال من دائرة الظلمة إلى دائرة النور ، التى فيها ينصع بياض الثوب ، وعظمة الفضيلة ، والسجايا الكريمة ، ونقاء القلب ، وقوة العزيمة فى إطارها المزخرف الجميل ، الجسد ، .

ومما لا شك فيه أنك بعد قراءتك الحديث السابق ، لهذا الحديث ، ستنهض من سباتك العميق ، على صوت ناقوس الضمير بمشاركة وجدان العقل الذى سيهز مشاعر مملكتك الداخلية ، ويشع فيها نوراً ساطعاً ، مستمداً من مملكة الله العليا ، التى مازالت بعض مظاهرها ، سراً غامضاً تعجز تفهمها مدنية العالم حتى يومنا هذا .

ومن ثم فالوعى العقلى ، أيقظك وجعلك تعيش حراً صحيحاً ، وبلا قيود تنتقل فى سهولة ، من رأى لا يعجبك إلى غيره تقتنع به ، كل هذا فى أمان واطمئنان ، فتساير بذلك ركب الحضارة التى قامت على قلوب مؤمنة ، ورجال مخلصين ، كانوا على يقين من النجاح ، ففكروا وعملوا وواصلوا الليل بالنهار ، دون أن يشعروا بتعب ، ودون أن يعبأوا بمن حاولوا تثبيط همتهم ، ويقفزون فوق كل مانع ، ويتغلبون على كل عقبة تعترض طريقهم ، فإذا

صعب عليهم اجتيازها ، حطموها بمعاول من قلوبهم وعقولهم ، متخذين فى سبيل هذا كل ما أمكنهم اتخاذه من وسائل عملية كفيلة بتحقيق أغراضهم .

فعليك أن تسير على هدى عملهم المشرف ، وتؤدى وظيفتك فى مأمن من العبث الذى كانت الضحية الأولى لعدوانه ، أنت ، الذى ربطت عجلة نفسك ، بعجلة عدم الثبات على المبادىء العملية الإيجابية فى حل المعضلات المعلقة ، وتضليل فرص الخصام والاشاعات الكاذبة ، التى من شأنها إتساع شقة التوتر ، وتوسيع مجال التفكك . من هذا ، أسس المساواة والصداقة التى بدونها لا يخرج فى حيز الوجود ، عمل من الأعمال المشروعة التى يمكن أن تتأصل بمرور الوقت فى النفوس ، فتصبح المحبة والتعاون والترابط والتسامح عوامل قوية تساعد على الاستمرار نحو مستقبل ، تسود فيه روح الغلبة التى لا يمكن إذلالها فى يوم من الأيام .

فانظر إلى اتجاهك الطبيعى ، وتحرَّ عما يجعل لك السيادة ، واتجه بكل إمكانياتك ، ونشاطك ، وحماستك ، وعليك إلى ميدان العمل لتحصل ما فاتك من استقلال الرأى ، وكمال الشخصية ، وقوة التأثير ، وعمق الإيمان .

ومن المؤكد ، أن المجال متسع ، لك أن تتصور ، وتعرف ، ما هو المطلوب منك ؟ حتى تعمل لرفع مستواك ، الأدبى والدينى والاجتماعى وتعمل على إنقاذ نفسك من وهدة الجهالة ، التى بها انحل المجتمع ، وتمزقت الروابط واضطربت القيم الكريمة . إذاً ، ليست لنا وسيلة لإعادة بناء هذا الصرح الاجتماعى ، غير مضاعفة العمل لزيادة الكسب والتقدم فى ميادين الفضيلة . والشجاعة الأدبية ، والذود عن المبادىء الوطنية ، فتصبح فى الصف الأول من بناة الأمم الذين استطاعوا أن يكسبوا ثقة شعب كامل ، وأن يجمعوا على فكرة واحدة وأن يرجوا إليه بالعمل ، وتوطيد العلاقات بين الهيئات الاجتماعية ، وأن يجنبوه روح الأنانية والسأم من الحياة ، والحقد على الآخرين ، والخوف من المجهول ، والحرص على أتفه الأشياء ، والطمع فى المزيد ،

والاحساس أن ما حققه الإنسان فى الحياة لا يكفيه ، وأن يعرّفوه ، أنه
لا بد من جديد يثير فى هذا الركود الغاشم ، الحياة ، التى تطهّر المجتمع من
هذه الجراثيم الفتاكة ، وتعيد له ينابيع نور الإحساس وبهجته ، ونبض
الشعور بالواجب الذى يعمر الإنسانية بالأمل المشرق من وراء الأحزان
لأنه ما أعجز الإنسـان الذى لم يستطع أن يرفع من قيمة نفسه ، وما أتفه
العقل إذا قصر فى وظيفته متمسكا بآراء تنقصها الحقائق الساطعة .

بذل وتضحية

إن الكنيسة تضاعف نداءها لك ، لكى تأتيها فتعطيك شيئاً من الاستقرار ،
وأنت فى حالة الملابسات القائمة فى هذا العصر ، وما يحيط بحياتك من
الخوف والانكماش ، لأنها تعرف كيف تقيس الشىء بظروفه ، وتقدر ما أنت
عليه قادم ، والجهد الذى ذلته فى غير منفعتها ، ومع ذلك فهى كفيلة على
جناح الأمل ، أن تيقظ شعورك القائم ، وتخلق من ضعفك قوةً ومن تفكك
اتحاداً ، ومن إبطائك تقدماً إلى تحقيق غايتها المقدسة التى تكفل لك حياة إنسانية
كريمة ، إلى جانب عوامل الرقى ، والقوة ، والوعى الروحى ، فيصبح الطريق
بذلك واضحاً لبناء مجتمع ، لا ثغرة فيه ولا تنافس ، شعاره المحبة والتضحية ،
وإنكار الذات ، ووسيلته ، تنمية روح البذل بأفضل الطرق وتنظيم استغلالها
فيكون لكل فرد من الهيئة الاجتماعية الحق على التعلق بأسباب التقدم بنفسه
وأمته . وبذلك تقوم النهضة الحديثة على قواعد متينة ، مبنية على الاستقرار
الاجتماعى وصفاء الروح . وعلى هذا يستطيع المتطلع إلى المستقبل القريب
الذى تصبح فيه الغالبية لليد العاملة .

وليس ثمة شك أن هناك من بين هواة رفعة النفس ومحبى الكرامة ،
من يسأل نفسه ذات يوم ، أو يستفسر ممن يؤمن بخبرتهم عن أقوى المبادىء
وأعظمها شأناً فى التقدم الاجتماعى الذى ترتاح إليه النفوس ، لأن الدراسة
والمشاهدة لها أثرهما الكبير فى صحة الحكم على مثل هـذه الأمور ، وخاصة
عند أولئك الذين لم تتح لهم الفرصة بمعالجة الشئون الحيوية ، والتخلص من
جمود الموقف فى الوقت الذى نرى فيه إيقاظ الوعى يشق طريقه نحو جمع
الكلمة ، ووحدة الصفوف لتمهيد السبيل لحياة بذل وتضحية وإصلاح ، وبر

واحسان ، وثقافة تحقق حرية شخصية تزداد فى النفوس يوماً بعد يوم بجانب عجلة الزمن التى لا تتوقف عن السير نحو الحيوية الكامنة ، التى تنفث بروحها على الخيال فتجعله حقيقة واضحة تدعو إلى البعد عن تيارات النزعة الشخصية أو نزعة التسلط الذى من أجله دفعت البشرية ، دم القلب وبذلت أعز ما تملك من فكر وقلب وروح ، وغير ذلك من العوامل التى تهدف إلى توسيع المدارك ، وبث الصفات الحميدة ، والأخلاق القويمة ، التى هى سلاحنا الذى نفهم به ما يدور حولنا ، فلا ننخدع ولا يُضلَّل بنا ، مهما بلغ التضليل والخداع .

وليعلم أهل هذه الصفات المجونية ، أن فى يدنا إنقاذ شعبنا من كل الاضطرابات ، وأن نجنبه موقفاً يسوده جو ، يؤذن بطمس معالم الحقيقه التى تؤدى إلى ما يساور النفوس من أمل فى الوصول إلى قواعد الإنصاف ، التى كادت تندثر فى خضم أمور المطامع ، التى صرفت بعض الشخصيات عن الأمور الجوهرية وأتلفت أمامهم المعنويات وشجعتهم على التهريج ، ودفعتهم إلى الفوضى والعمل فى مزرعة الجشع ، يُفلحها المغرضون ، الذين لا وطنية لهم ، وليس للكنيسة أى أثر من حب فى قلوبهم ، ويبدو نشاطهم ملحوظاً نحو اتجاهات خاصة ، وأهداف بعيدة عن الطاقة الروحية ، والذخيرة الفكرية وتربطهم روابط مذهبية ، وعوامل تعصبية ، وأهواء فتاكة بالمجتمع والعقيدة .

ولكن مهما تكاثفت سحب الضلال ، فلا بد من اضمحلالها ، أمام وهج الحقيقة ، ومهما خيم ضباب الغش فانه منقشع تحت حرارة الإيمان ، ومهما علت أمواج البهتان ، فلا شك أنها تتحطم أمام صخرة اليقين . وكثيراً ما مرت أحداث مروعة على الكنيسة ، القصد منها تضليل أبنائها وخدعتهم وبلبلة أفكارهم بالأباطيل الغاشمة ، وزهو الأفك ، إلا أن الانتصارات الخلقية ، ظلت راسخة القدم فوق مستوى هذه الأحداث المنكرة ، التى قام بها ملوك وساسة ، جُلّ همّهم استئصال جذوة الدين من القلوب ، وإخضاع الناس

تحت مبادئهم المغايرة لسنة العلى القدير الذى أبقى له جيشاً عرمرماً ، سلاحه الإيمان ، وسيفه الحق ، وخوذته الأمانة التى تحمل مسئوليتها أمام التاريخ ، وهى مسئولية ضخمة جسيمة من غير شك . لأنها رسالة دينية إنسانية تؤلف بين النفوس والقلوب ، وإنها دعوة إلى الرحمة والمحبة والآخاء ، والمساواة . وهى الحياة التى قام لأجلها هذا الجيش الذى سفك دمه وصار جيش شهداء . الفضيلة والطمأنينة والتغلب على المشاكل والصعاب .

هذه هى أسلحة رجال الله ، التى وقفت أمام تضليل ، وخيانة ، وبغض ، وغدر ، ومؤامرات الوثنية التى انهزمت بمبادئها أمام نور الحقائق المسيحية . فتسلح بها وتشبَّه بهم لأنك أنت فى عصر يحتاج إلى كل هذا .

ثورة على الباطل

كل من يتأمل بعين بصيرة فى جميع مرافقنا الحيوية ، يجد أن كلا منها يحتاج إلى تجديد شامل بل لهو فى حاجة ماسة إلى إعادة البناء ، سواء كان ذلك فى الإشراف والتنفيذ ، أو فى القوانين الكلية التى اندست فيها قوانين دخيلة ، بعيدة عن روح المجامع الثلاثة المقدسة ، أو فى لائحة المجلس الملى ، التى خلقت مشاكل داخلية ليس من السهل حلها ، إلا بتبديلها ، لأنها لم تساير الزمن فى تقدمه ، بل إنها أوقفت سريان روح النشاط والتقدم فى مختلف برامجنا الإصلاحية ، التى شاء الحظ أن ترى خطوط الإصلاح مرسومة ، ومعالم الإنشاء والتعمير واضحة ، والمشروعات مدروسة دراسة وافية ومعدة للتنفيذ ، ولا ينقصها إلا الهمة القوية ، واليد الداعية والفكر المنظم .

ولست أنكر ، أن الجهد المطلوب ضخم إذ أن البرنامج متشعب ومائع ، وإمكانيات المال ليست فى متناول اليد ، والقدرة على القيام بها محدودة ، والنية غير سليمة ، والوسيلة غير مستقيمة ، والأسباب غير متيسرة ، فلا بد إذن من توجيه الأداة العاملة على قاعدة التصرف فى كل شأن من شؤوننا ، بخطى متناسقة ، لأن شرط الإصلاح الناجح ، هو أن يكون شاملا لكل ضواحى المجتمع فى أشواط متقاربة إلى جانب الروح اليقظة السريعة ، التى بها تشعر الكنيسة باغتباط شديد ، إذ عندما ترى مستقبلها مزدهراً مفعماً بأسباب الرخاء والتقدم ، وما بنا من حاجة إلى ذكر الأمثلة على ذلك فتاريخ الكنيسة يرينا أعظم وأقوى الأعمال الخالدة التى قام بها رجال احتفظوا للوقت بقوتهم ، وتشهد بذلك النتائج التاريخية التى سجلت لهم اطاراً من نور ، جزاء ما بذلوه من مروءة وجسم ، وروح ، ودم ، وعمل متواصل ، بروح

حثيثة تمثلت فيها الإنسانية الكاملة ، الغير محدودة بحدود ، والغير مقيدة بقيود ، ولا بعهود سياسية . لم تحاول يوماً الافتئات على حقوق الشعب او وقف مشروعاته ، سيما فيما يتعلق ببعض المسائل الكبرى التى تدعو إلى التفكير وبذل الجهود لتحقيقها .

وخير برهان على ما قام به المسئولون فى الكنيسة ، نذكر البابا كيرلس الرابع أب الإصلاح ومن سبقوه من البابوات الذين لهم اليد الطولى فى توطيد العلاقات على أسس المساواة ، والمصلحة المتبادلة ، وإنشاء صلات ثقافية ، كفيلة ببذل الجهود فى سبيل تحرير الفكر من الأغراض الغير سليمة ، ومن تيارات الكبرياء وشذوذها والإستيلاء والتسلط على مختلف شؤوننا الداخلية والخارجية حتى لم يكن لأحد قدرة الإدلاء برأيه خوفاً من تعرض المخاطرة بنفسه ، لكثرة ما كان يبذل من قوة عاصفة ضد الكنيسة ومقدساتها تلك القوة التى وقفت سداً فى طريق كل مسيحى يريد الإعراب عن رأيه ، ليحيا حياة كريمة ، جليلة نبيلة ، صادقة الوطنية ، بالنسبة لبلاده وعقيدته التى لأجلها ، سُفكت دماء ، وشُلّت أجساد ، وقُطعت رقاب ، وصُودرت أملاك ، وتشتت عائلات ، تقدست بهؤلاء جميعاً شقوق الأرض ، وتعطّرت رائحة قداستهم مغاور الجبال التى آوتهم ، واستأنست الوحوش بهم .

فبهذه الثورة التى استشهد فيها رجال فضلاء ، ونساء عفيفات ، وبنات طاهرات ونفى بسببها باباوات منهم من لقى حتفه فى السجون ، ومنهم من مات حرقا بالنار ، ومنهم من صار طعاماً للوحوش الكاسرة ، ومنهم من أهرقت دماؤه فى الشوارع ، ومنهم من مات من آلام الغلى بالزيت . بهذه الحملة الشعواء ، والثورة الدموية الحمراء ، انتعشت الآمال ، وزالت المشكلات العنصرية ، ورفعت راية الصليب ، وانطلقت حرية الرأى ، فى المسائل السياسية والمذهبية الكفيلة بحفظ حقوق الإنسان . لايمكن لعاقل إنكارها ، لأنها ذات صبغة بعيدة عن الأطماع ، والشهوات والغايات .

ولا شك أن الوعى البعيد عن الأنانية ، يدين لهذه الجهود المدعمة على مبادىء الحق والفضيلة ، والتضحية والتعاون فى خدمة الانسانية بالعلم ، وغير ذلك من الأهداف التى تكفل ، صيانة السلام بين الناس جميعاً ، والمحافظة على الأوضاع الأساسية السامية التى تترجم بكل مافى الكلمة من معنى ، أن الناس جميعاً أخوة ، فهم هدف واحد يكمن وراءه أساس النهضة فى كافة أرجاء البلاد ، والتغلب على جاذبية الجهل ، والازدراء بالضعف ، وعدم الكفاءة بأعمال حاسمة تواجه أى موقف يترتب عليه إيقاف عجلة التقدم نحو ما تصبو إليه الآمال من منشآت تاقت أنظار العالم إليها .

ومن الطبيعى أن آباء الكنيسة وملوك المسيحية فى العصور الأولى ، أوضحوا بما لا يدع مجالا للشك أن جهادهم عزز مركزهم بين شعبهم وجعل كلمتهم نافذة المفعول ، بعثت آمالا عجيبة فى قلوب أهل عصرهم الذين انطبع عليهم الأمن والاستقرار إلى أن وصلوا إلى الوحدة التى طابعها ، السماحة التى تنطوى عليها ضمائرهم بتقديس معانيها ، وبذلوا الجهود فى سبيل القضاء على كل فرصة لاتدعو إلى إيقاظ الشعور القومى الحساس الذى يصاحبه فوق دعاة الثروة ، والاعتزاز بتفاوت الطبقات واختلاف الجنسيات التى من شأنها إفساد المجتمع ، والجنسية .

فلا تجعل أيها القارىء ، صراع الحياة ، ينتهى بك ، قبل أن ترتفع بعقلك فوق النوازع البشرية والميول الشهوانية .

النفس العالية

إعلم — إنه ما من شىء يدخل البهجة فى قلبى ، إلا نهضتك نحو مستقبل مشرق مجيد ، لأن كل أمانى هى أن أراك مواصلا العمل بالليل والنهار فى عزيمة وقوة ، لبناء نفسك وتسليحها بكل ما يؤهلها لمستقبل زاهر تتحقق فيه آمالك ، وآمال كنيستك فيك ، وقد لاح لى ، أنك على أهبة القيام بوسائل عملية تحقق وحدة أمتك بنواح ثقافية واجتماعية ، تكون خاتمة لخطة تسعى اليها حتما .

هذا كلام مسلم به ، لأنه لا فائدة من كثرة الكلام عن الوحدة دون القيام بعمل حاسم تتم به هذه الوحدة فى شتى الميادين التى تحقق الأمل المنشود من جهد أو سعى ، بل وحتى من غير دعوة ولا تحريض لأنها حينئذ ستكون واضحة قائمة على استفسارات مستمرة ، وتوجيهات أمينة مبدؤها التخلص من كل نفوذ ، وتحقيق نجاح الجهود السائرة بمناهج وأساليب غير مغرضة .

كل هذا يمهد للدعوة بالوحدة الكاملة المنشودة بخطوات كبرى فى سبيل تقريبها إذا ظهر الميل إلى التعديل وازدادت النعرة للوحدة واتخذت مظهراً عملياً بالتفكير السليم وتبادل الآراء وعقد مؤتمرات بتنفيذ قراراتها بتوحيد نشاطها كما لو كانت صادرة بالأغلبية .

ولكن يؤسفنى ، أن الشعب منقسم على ذاته ، وهذه بوادر عدم التقدم فيما نصبو اليه من نتائج ضخمة ، تراها العين وتلمسها اليد ، فالسياسة الإصلاحية التى هى عنصر من عناصر الحياة تحتاج إلى عناية قوية ، ولما كان نجاح الجهود التى نبذلها فيما نبغى اليه من اهتمام بنواحى الحياة الثقافية يتوقف إلى عهد كبير

على نجاح جهود مثالها تبذل فى هذه الناحية عينها ، لأن أهم ما يلزم للانتقال من مجال الفكرة والتوصية إلى مجال الإرتباط والتنفيذ ، هو إخراج مشروعاتنا من عالم الأمانى والخيال ، إلى عالم الحقيقة والواقع . وكل فائدة منها هى أصل لفوائد تتفرع منها بل قل ، إن كثيراً منها ، أو معظمها مرتهن بإنتاج الفكر والعلم ، وجميع ما يتاح لنا تحقيقه يبقى ناقصاً إذا تحقق بدونهما فهما الدعامتان الأساسيتان لهذا البنيان .

ولسنا فى صدد العرض المفصل لفوائد مشروعاتنا العظمى ، لأنه قد اتخذت قرارات فى هذا الصدد . قرارات تحتاج إلى جهود جبارة للنهوض بها بل ومن الضرورى أن توضع صور واضحة ومفصلة تحت أنظار المسئولين تظهر خلالها الصعوبات التى قد تقف حائلا فى تبادل المعاونة وتعمل على إخماد الشعلة التى تضىء أفكار قلوب الذين فى استطاعتهم تحويل الجهود إلى قوة خارقة للعادة تظهر بوادرها فى سرعة التنفيذ ودقة الانسجام ليس بعد عام فعام أو شهراً فشهر ولكن ساعة بعد ساعة .

وأنى أتمنى أن تكون مشاريع الشعب متبوئة ، المكان الأول ، تسودها الروح التى تعمل على التحرر من عجز الروتين وتترفع عن تقصيره ، تلك الروح التى تعرف ما تريد وتقضى بما تريد ، ما دامت قد اقتنعت بأن ذلك هو مصلحة الكنيسة التى تريد من أبناءها ، روحاً لا تعرف العقبات التى تؤدى إليها كثرة الملفات والاستشارات التى لاتقوم على أساس من الهمة الصادقة ، والعزيمة الماضية والإرادة الساحقة .

وليس ثمة ثناء أجل من أن نرى جواً جديداً تسوده روح لا تعرف كلمة مستحيل ، ليشعر الشعب أن هناك حياة تدب من حوله فى جميع مرافقه الحيوية كلها ، تتجلى فى تحقيق الخدمات وتنظيمها ، إلى تدريب أبناءنا تدريباً إجتماعياً ، علمياً ، وعملياً ، على خدمة نفسه بنفسه ، فتزدهر بذلك الروابط الاجتماعية وتنشط الخدمات الإنسانية وترتقى المنشآت الحيوية دون الحاجة

إلى عون أحد . إذ أن الرغبة فى التقدم نحو نهضة شاملة هى دافع طبيعى من دوافع البشرية التى تعتبر أسمى مركز وأكبر هدف لنهضتنا وهى بمثابة تراث نال له قيمته ، وحق من الحقوق المكتسبة التى لا توجد قوة على الأرض تستطيع نزع هذه الحقوق التى لها واجباتها ، والتزاماتها ، والسهر على المطالبة بها دون مهادنة من أى نوع كانت ولا يمكن أن تصيب نجاحاً إلا إذا نهجت خططاً مرسومة ، سارت بمقتضاها بصبر وعزم . ولتعلم أن الجهود فى هذا الميدان ، لا يؤتى ثمارها إلا بعد فترة قد تستغرق أياماً بل أعواماً .

ثمرة الجهاد

انني فى هذه المرة ، أكتب إليك حديثاً قد تعده تعكيراً لصفو حياتك ، وتكديراً لسعادتك وهنائك ، وحزناً لفرحك بشبابك وآمالك ... إلا أن حبي لك ، وغيرتى عليك تدفعانى أن أنبهك أن هناك عدو لئيم وخبيث يتربص لك ، ويتحين الفرص للوثوب عليك ، فيسلبك شبابك اليافع ، ويبدد آمالك وأحلامك فى هذه الحياة ويعيقك عن السير بخطى واسعة لبلوغ أهدافك وما تصبو إليه آمالك . لأنه عدو ماكر يعمل بكل ما أوتى من قوة للهجوم عليك وتكبيلك بقيود شره حتى لا تجاهد لخلاص نفسك ، وتتناسى ذلك الذى طالبك « أذكر خالقك فى أيام شبابك » .

فتيقظ لمستقبلك السماوى الذى يتطلب منك جهاداً مشرفاً ، لا يحتاج إلى إيضاح أو تحليل ، لأن البرنامج مرسوم لتذليل الصعوبات التى تعيق ما يلزم أن تفعله لاعطاء روحك ما يغنها لكى تحيا حياة روحية تحفظ لك الشىء الكثير من راحة الجسم الذى به تستطيع مغالبة الكسل ، والسعى إلى ما يجلب عليك الخير والهناء . ولتعلم جيداً أن انخفاض مقدرة الجسم على المقاومة ، دليل قاطع على أنك طائش وغير ملتفت إلى ما يبنى نفسك ومستقبلك ، وما تحفظ به قوتك وفتوتك ، وتجديد إحساس شبابك باتباعك القواعد الصحية السليمة فى نومك ، وغذائك ، وراحتك .

وانى واثق على أنك قادر على فهم معانى كتابتى لك فى هذه الآونة القصيرة ، فالباعث الذى حفزنى على كتابة هذه الكلمات ، هو معرفتى التامة باحتياج الكنيسة إلى أمثالك من الشباب الذين أتاح لهم العدو الغادر فرصاً ملائمة لأسلوبه ثم وثب عليهم لأنه رأى أن أجسامهم مجهدة ولذلك نفث فيهم

سمومه المهلكة إلى أن جعلهم عاجزين عن مقاومته أو الإفلات من حيله . فهو يقابل هذه المقاومة بعنف وفى غير شفقة حتى خيل لهم أنهم بلا معين ينظرون إلى بركة الضأن ولا من مجيب .

كما إنى لا أريد أن أذكر بالأرقام عدد الذين اقتنصهم هذا العدو الجبار وهم فى ربيع العمر انما أكتفى بالتذكير والتحذير من هذا العدو الذى يتربص انتظاراً لفرص جهادك لنفسك أو اعتمادك على شبابك دون أن تحفل كثيراً باتباع القواعد التى تستطيع بها أن تدفع غائلته وتتحصن ضده ، وتعمل دائماً على دفع شر هجماته ونكباته ، لأنه كم من شباب حصدهم هذا العدو اللدود ، وأقعدهم عن العمل فضاعت بذلك شخصياتهم واندمجت فى غيرها . يقطع فيها الوقت بملاذ الجسد الوقتية ، التى لا صلة لها بالحياة الروحية . ولا تحتاج إلى أى تمجيد ولكن تقتضى الابتعاد عن الشهوات والأنانية ، والشر الذى يملأ الرأس وامعاناً فى الغلبة والسلطان وحب الذات ، والتمسك بالإيمان الذى يشع على القلب نوراً سماوياً ممتلىء حباً للناس ، وتسامحاً للأعداء ، وخيراً للجميع دون استثناء . فلنعش فى هذه الحياة دون إحتكاك أو خوف ، أو قلق لأن كثيرين من الشباب يخلقون لأنفسهم متاعب كثيرة ، ويلوثون اتجاهاتهم بألوان دينية بعيدة كل البعد عن دعوة السلام ، والمحبة ، والتسامح ، التى يتركز عليها عدم امتهان العقل والروح والجسد ، بل أن هذه الدعوة ، تهذب الغرائز وتمس النزعات بجناح الإيمان الرقيق . الذى يُعجز القلوب ، ويفجر الصدور بالمحبة والتحمس بسمعتك ، فتسمو لديك الدوافع التى ترفع من نضالك وتعتد به حتى اللحظة الأخيرة من حياتك .

ولا جدال فى أن قلبك يفيض بالحماس ، عرفاناً بالمسئولية الملقاة على عاتقك التى تحتم عليك أن تنسى كل ما تبغيه ، فى سبيل تحقيق هذه المسئولية الكبرى ، التى لن يقف فى طريقها شىء مما يعتقده الكثيرون انه مستحيل لأنها فكرة معينة يستطيع كل واحد تحقيقها ، ما دام يهدف لخير

أمه ولصالح الجميع الذين لو آمنوا بهذه الفكرة المعينة لاستطاعوا أن يحققوا ما يسمونه مستحيلا . ويشهد على ذلك الكتاب المقدس الذى يعرفنا أنه فى كل زمان ومكان ، توجد رجال ذوى عزيمة وذوى رغبة صادقة فى العمل لتحقيق هذه المسئولية . أمثال (يوسف الصديق) الذى نُصبت له الشراك ولكنه تخطى هذه الحواجز وحقق ما يزعم البعض أنه مستحيل . كذلك دانيال الذى لم تبهره أطايب الملك ولم ينقاد وراء تيار الوعود البشرية بل انه فضّل أن يلق فى أتون النار البابلية لتكون صلته وثيقة بالله الذى صار رفيقاً له ولإخوانه فى هذه التجربة التى خرجوا منها بروح جديدة انبثقت فى بابل كلها تبشر بالخير وتنطق بمجد اسم الله .

هذه صورة واضحة لبعض شبان الكتاب المقدس الذين حققوا ما لم يتحقق من قبل وقد رسموا لنا خطة الغزو بسلاح الإيمان لمثل هذه الموانع الخلقية التى يجب علينا أن نجاهد فى سبيل التغلب عليها بشتى الوسائل وبروح التآنس وقوة الإيمان الذى به نستطيع أن ننقل الجبال ونعمل المعجزات ، وبه أيضاً نتطلع إلى آفاق المستقبل المشرقة التى بها نستأنف حياة طبيعية لها طابعها الروحى . إذاً فلننصرف بطابعنا إليها ، سيما فى الوقت الحاضر دون أن نتطلع إلى أى دافع فى مثل هذه الظروف .

كما أن واجبنا نحو أنفسنا يقتضينا أن ننقاد لهذا الشعور الداخلى « نداء القلب » فبذلك تخف الكارثة الخلقية التى أثقلت الكواهل ، وأتعبت الخواطر وأقعدت الهمم ، وأمرضت القلوب ، وأذبلت الأجسام النضرة ، وشتت الأفكار النيرة ، وعطلت جميع الميادين الإصلاحية والإنتاجية .

فبقلب متّقد بالغيرة الأبوية ، أطلب منك أن ترحم نفسك ، وتتعرف على مشكلاتك ، واشرع فى رسم الخطط العملية لحلها ، وتأكد جيداً أن المسئولية ضخمة ، فعالج ما استطعت معالجته ، بإشراك ذوى الرأى والمعرفة الذين يهمهم مصلحة المجتمع فوق كل مصلحة ، فتعقّل وامدد نظرك إلى الأمام ولا تكن فى ذلك متوانياً .

أمسنا وحاضرنا

إن النفس قد تستطيب ، تحية لذكرى الأحقاب الأولى ، التى عمت فروعها كل ظاهرة من ظواهر الحياة فى تاريخ الأمة القبطية ، منذ أن حلّت المسيحية بمبادئها السامية ، وأشرق نور روابطها الروحية والاجتماعية ، والسياسية ، وغير ذلك من أسباب البذل والتضحية ، وكل ما يضفى معنى جديداً يستكمل المعنى الذى به تكون اليقظة القومية قد نفضت عن نفسها واستطاعت أن تحيا بعيدة عن النزعات ، مسايرة النهضة بدافع النفوس المتوثبة لها . فالحياة الناهضة ، ما هى إلا تحرر من المجاملات الشخصية التى تتم على حساب المصلحة العامة . الأمر الذى يحتاج إلى ثورة فكرية خلقية ، بجانب ثورة فلسفية اجتماعية ، الغرض منها هو الوصول إلى السبيل الذى يؤدى بها إلى المثل العليا .

الأولى — تخدم المصالح الطائفية عامة ، والثانية تخدم المصالح الإنسانية ، دون الإلتفات إلى ما نسجته السبعون سنة الأخيرة ، التى ألزمتنا بأن نجثو على أقدامنا وندفع ثمن تفككنا ، ذُلاً ، وتعويضات ، عن مشاكل ظلت تثقل كواهلنا إلى يومنا هذا .

فوا أسفاه ... إن الحالة التى نحن عليها الآن أضحت مريرة وسيئة للغاية . فباسم الإنسانية أناشدك أيها القارىء العزيز أن تكون ذا جِدّ ، ونشاط ، وبذل ، وتضحية ، حتى تتمكن من مداواة جراح أمتنا القبطية ، ونستعيد نشاطها التى كانت تتمتع به فى العصور الأولى . كما نستطيع أن نفخر بأن يومنا أصبح خيراً من أمسنا ، وأن غدنا سيفوق يومنا قوة وعافية لأنه لا يخفاك يا « بنى » ، أن عجلة التقدم تسير على قدم وساق فى كل الطوائف ،

ولا داعى للمقارنة ، فروح الإنتعاش الشامل سائرة بخطى واسعة وكلها مليئة بالتفاؤل ، وقد تؤكد أنها أحرزت انتصارات لا يستهان بها ، ولها مغزاها وهى من أخطر الموضوعات المتعلقة بكياننا ، وحاضرنا ، ومستقبلنا جميعاً .

والآن ، لا يجرؤ أحد على نكران هذا النشاط ، الذى يبدو من الجانب الآخر .... فهل نقف مكتوفى الأيدى ؟ ... بينما ركب التقدم نحو الأهداف السامية قد إندفع فى موكب حافل ، يقوده رجال النزاهة الذين صُقلت عقولهم بمناح العلوم ، والمعرفة ، والأخلاق الكريمة النبيلة . رجالٌ يتطلعون إلى آفاق المستقبل المشرقة ، وكلهم أمل ، ورجاء ، وإيمان وعزم ... رجال سبقت أعمالهم أقوالهم ، فصغت لهم الأفراد فى فهم وإدراك واع بصير . رجال تعمل ، وتبنى ، وتشيد ، وتسبق ، وتسود . لأن نجاح الأعمال مشروط بشرطين :

أولها : سرعة التنفيذ بالعمل ، لأن الإبطاء فيها يؤدى إلى تقييد الحرية وتصغير النفس ، وتبخر الآراء .

وثانيهما : هو التحرر من قيود الجهل ، الذى كان السبب فى هذا الجمود ، وعدم الاعتداد به بل العمل على التخلص منه سائرين بذلك فى نفس الطريق الذى سلكه المصلحون الذين عرفوا ، كيف يلحقوا ركب الحضارة الذى أضحت الشقة بيننا وبينه بعيدة .

ومن ثمَّ ، فأساس وصول أمتنا إلى ذروة المجد الذى كان لها قديماً هو العلم للجميع ، والعمل من الجميع . لأن ميادين الإصلاح تحتاج إلى أناس مفكرين ومدبرين ، وفنيين ، بل إن السبيل الوحيد الذى يدفع هؤلاء إلى كل هذا هو روح وثّابة تدرك أن موضوع اليوم ، موضوع خطير يؤثر تأثيراً كبيراً وحيوياً على المستقبل الذى يحتاج إلى عقول نيرة ، وأيد ماهرة ، وروح قوية ، أساسها التربية والتعليم : التربية التى تبدأ مع الإنسان منذ طفولته ، والتعليم الذى يلازمه فى مختلف مراحل حياته .

فعلى هذين المبدأين تقوم حضارة اليوم .

فيجب علينا والحالة هذه أن نتحرك وأن نعمل فى ميادين الحياة متشبهين على الأقل بالطوائف التى سبقتنا فى هذا المضمار . بل يجب علينا أن نسعى سعياً حثيثاً نحو العوامل التى ترفع شأننا وتعزز وحدتنا ، وتحل الكثير من مشكلاتنا . ومن اللازم أيضاً أن نجاهد جهاداً مستميتاً ، حتى نكوّن لنا روابط روحية ، ومعنوية وثقافية ، تربطنا بروابط شاملة تعزّز من وحدتنا فى هذا السبيل بحماسة وجد ، وتفان فيما نعمل .

إلا أن مجموع هذه الخطوات ، لا يسد الحاجة التى تتلاءم مع آمالنا العريضة فى المستقبل ، وتتناسب مع التطور العظيم الذى ننتظره منذ أجيال تؤيده عصور مضت ، وكان التعاون فيها أمراً لا مفر منه ، لحفظ كيان الأمة بين الشعوب ذات المصالح الحيوية التى لابد منها لمواجهة الأخطار المحدقة بها .

وبهذا ، كان الوضع الراهن الذى نحن بصدده يحتم علينا بتكوين مؤتمرات ، يترتب عليها التزامات شخصية على أسس أهداف تتناول شؤوننا الثقافية ، والاجتماعية ، والروحية مع مراعاة تعزيز أسس العدالة بين الهيئة الكنسية ، والهيئة الملّية . فالجو مشحون بمشكلات وصعاب تقف حائلا فى طريق التقدم . والكل يعلم هذا جيداً . وقد ترتب على ذلك ، أن تمكن فينا العدو ، حتى أحرز هدف الفوز ، خلال الفترة التى قضيناها فى المشاحنات التى لعبت دوراً خطيراً أساسه المنافسة الغير المجدية التى ترتب عليها انهزامنا فى كل ميادين الإصلاح وأضحت بذلك عاملا من عوامل التأخر الذى لا تقدم بعده ، ما دامت هذه الخلافات قائمة على قدم وساق .

فبقلب يتقد بالحمية والغيرة ، أناشد المسئولين ان يلزموا الهدوء والسكينة لينالوا قسطاً من الراحة ، رحمة بالمسئولية الملقاة على عاتقهم ، تلك المسئولية التى تخلق الأفكار وتصقل الهمم . لتنفيذ ماتحتاج من نهضة ملحوظة يلمع فيها ذكاء العقلاء الذين ضحوا بكل شىء فى سبيلها .

الشباب عماد النهضة

ما من شيء، يملأ قلبي إيماناً، ويبعث في نفسي الثقة والاطمئنان، غير أن أرى كنيستي تجمع بين أرجائها، رجال ماضيها المجيد، وشباب حاضرها بكل ما فيهم من إخلاص، وهمة صادقة وعزيمة قوية، فتصل بهم إلى علاج شاف، لأزمتنا الاجتماعية التي نحن فيها الآن، بل أنني أجرأ وأقول، بأننا في محنة المحن، التي ليس لها مثيل في تاريخ جهادنا. ولما كانت الكنيسة والحمد لله لها في كل زمان ومكان، رجال من أرقى الطبقات، ودائماً في طليعة صفوف المجاهدين العاملين على مجدها، وعزتها، فما زلت واثقاً من وجود هداة هذا الإصلاح والتقدم الذي هو هدفنا. ولكن إبطاء هؤلاء المخلصين من الظهور هو الذي يزيدني ألماً على ألم وهمّاً على همّ.

هذا بعض من كل، إذ أن هناك جرائم فتاكة بالمصالح العامة، مما أدى بالكثيرين إلى إظهار شكواهم التي انتشرت في طول البلاد وعرضها من جراء سوء الحال الذي آل إليه. وقد سبق لي أن أشرت إلى ما يلفت النظر لهذه الحالة، وإلى الوسائل العديدة التي تبلغ بنا إلى درجة النجاح الذي نرجوه.

وما أظن أن هناك شيئاً يمكن أن يبعث فينا روح الأمل في النجاح غير هذا الشباب الناهض الذي يجاهد بمزيد من النشاط. فالأمر يحتاج إلى أن يضحي البعض من وقتهم، لأن الكنيسة شديدة الاهتمام بتحقيق هذا التعاون والترابط بين الماضي والحاضر، ذلك الماضي الذي يجب أن يكون قائماً بيننا للتشاور في المسائل الهامة التي دعت العالم إلى التطلع بدهشة إلى تحقيق نهضة شاملة تتفق وكرامة الأمة القبطية. فهذا الشعب القبطي

الكريم لا يرضى أن يعيش من غير هدف، أو غاية حتى يفوز بالثقة والاحترام من الجميع.

والواقع كما ذكرت، أن هذه النهضة هي بنيان يتطلب صبراً طويلا، واحتمالا أطول. وليعلم كل من يريد أن يكون عضواً عاملا في ميدان النهضة، أنه سيصدم في كل مكان بمن يتهمونه وهذا نتيجة حتمية لما يحتويه المجتمع من الصالحين والطالحين، وكل طائفة فيها الخير والشرير، والأمين وغير الأمين. إذاً، فتنبه لكل هذا. واعلم أن الواجب يقتضي منك الثبات أمام هذه الاتهامات دون أن تتضجر أو تنزعج فلا بد أن يظهر الحق، وما دمت واثقاً من نفسك إذاً فلا يعنيك ما يقوله الناس عنك. فمشاهير الرجال يلاقون أضعاف ماتلاقيه أنت، ومع ذلك فهم لا يثورون، ولا يغضبون. وثق أن المجتمع الفاضل او الطائفة الفاضلة والتي تكون في مجموعها سليمة تنفر من الشر والخيانة، وتنبذ كل عضو فاسد يحاول الخروج على مبادئها.

فالأمة التي تريد بلوغ أهدافها، علينا أن تحتفظ بقوتها الحيوية حتى تقنع المفسدين بصعوبة تحقيق أهدافهم المعطلة. كما تعمل في الوقت ذاته على مواصلة التقدم المشجِّع للأغراض السليمة، وسيكون هذا رداً عاجلا حاسما على أية قوة تريد منا، أن ندفع الشرف والإيمان ثمناً للاصلاح.

ولكي: نقي أمتنا القبطية: من كارثة عدم الاستقرار: علينا أن نبحث عن قيادة حكيمة، لثورة اجتماعية لا شائبة فيها، تعمل على خلاص الفرد وحماية مستقبله، وهذا لا يكون إلا عن طريق وحدة الرأي، ودعني أصرّح فأقول لك أن جميع الدلائل توحي بأن هناك يداً خفية تعمل للحيلولة دون تحقيق وحدة الشعب القبطي.

وها أنذا، أوجه كلمتي نحو شعب أمتي القبطية راجياً إياهم ألا يتصرفوا تصرُّف الخائف من قوة أهل الشر، المعطلة لكل تقدّم، لأن الواجب

يحتم علينا بألا يصدر عنا ما يؤيد خوفنا حتى يتسنى لنا أن نكشف لهم عن إيماننا بنجاح رسالتنا المدعمة على مبادىء سامية ، وأهداف قويمة تؤدى بنا إلى التقدم الذى له مغزاه وتنبىء عن الكثير الذى سيبهر العالم إن آجلا أم عاجلا .

فعلى ضوء هذا نكون قد خطونا خطوة ، تعتبر الأولى التى تؤدى إلى حفظ كياننا ، كما أنها سترفع من شأننا . وقد أثبتت التجارب كل هذا إذ أن التاريخ الكنسى يشهد للأمه القبطية أنها تؤمن بالطريق الذى تسير فيه ، ولا تقبل بحال من الأحوال ، أن تخضع عن طريق مباشر أو غير مباشر لتوجيه غريب مهما كان هذا التوجيه صائباً ، لأنها تريد بذلك أن تخلق لنفسها شخصية ذاتية كاملة قائمة على غرض واحد ، ورأى واحد ، ومبدأ واحد . وأن آباءنا البطاركة الأوائل كانوا لا يتأثرون ولا ينقادون وراء عاطفة أو سياسة أو مصلحة ذاتية .

وها نحن الآن : قد أدركنا الضرورة الملحة ، التى تقضى علينا أن نساير ركب الحضارة ونخطو نحو الإصلاح الشامل لكل مرافقنا ، فتعمر كنائسنا ويزهو مستقبلنا بشباب مستنير ، يدرك واجبه نحو أمته ، ويؤدى واجبه فى أمانة ، وهمة ، بلا تكاسل ولا تواكل . شباب يعرف أن الحياة الحقيقية ، لاتكن حياة إلا إذا سلطت عليها أضواء العقول الكبيرة التى تعمل على رفع مستوى الأمة ، وتساهم فى العمل الحقيقى الذى يمتاز بالروح العالية العاملة ويجرى نحو النهضة المباركة .

ولما كان قانون الحياة ينبه الغافلين إلى الوثوب نحو توطيد أسباب الود والصداقة ، والتعاون ، وإلى تدعيم عوامل التعاون الحالية والمستقبلة ، فى مجرى حياتنا الاجتماعية من جهة ، وفى مؤسساتنا العلمية والصناعية من جهة أخرى فأننا بهذا نكون قد أقمنا الركن الذى تستند اليه نهضتنا التى لايجوز

أن تكون محصورة فى حدود . وغير واضحة السبل والتى من أهمها تحسن علاقة الفرد بالمجتمع .

فالنهضة كفاح يملأ القلوب حنيناً وحناناً ، وليس أصلح ممن انطوت نفسه على شعور بالمسئولية وعلى روح عالية ، وفكر برىء ، وعاطفة طاهرة ، تدل على رقى الوجدان ، وترفع عن الأنانية ، التى إن دلت على شىء فانما تدل على تغيير كريم فى الإدراك والمشاعر ، أساسه المودة ، والمحبة ، اعتمدت عليهما شعوب أخرى تدعى أنها سبقتنا مدنية ورقياً .

ولا شك أن كل واحد منا يدرك أن الأمة القبطية ، أحوج ما تكون إلى وحدة الرأى ، والكلمة ولن يتحقق ذلك إلا بالتأمل والمقارنة ، والحكم . والاختبار ، علماً بأن التأمل فى حاجة إلى العقل ، والحكم فى حاجة الى الضمير ، والعقل والضمير كلاهما سندا النهضة الصحيحة التى نبتغى تحقيقها فى القريب العاجل .

صوت صارخ

قياساً على هذا التعبير الروحى ، والإنذار السماوى ، والقول الذهبى «فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية » . يعتبر من الجبن ووهن العزيمة أن يبتعد الإنسان عن العمل المجدى لأمته ، ارتكاناً على وجود من هو أوسع منه ذكاء وأعظم منه علماً وجاهاً فى الهيئة الاجتماعية ، غير عالم أن قيام الصغير بتأدية الواجب الملقى على عاتقه نحو أمته لهو أكبر مثير ومحفز لهمم قواد الأمة وكبار رجالها .

والذى أثارنى على كتابة هذه الكلمة هو ما أراه بيننا فى هذه الأيام من ركود فى ميدان الجهاد وتفكك لوحدتنا وخمول نحو نهضتنا .

فالمجلس الملى فى واد والمجمع المقدس فى واد آخر ، وقد علمنا الإنجيل المقدس أن الأمة المنقسمة على ذاتها لا تنجح ولا تعلو كلمتها ، بل مصيرها الخراب والاضمحلال ، فمن يأتينا بيوحنا المعمدان ليرد قلوب الأبناء إلى الآباء . فتتقوى العزائم الخائرة ، وتتجمع الكلمة المشتتة ونعمل برأى واحد . فيد الله مع الجماعة .

وقد قرر علماء الاجتماع أن رقى الأمم ، لا يأتى اعتباطاً دون أن تظهر له مقدمات كما لا يتم بغتة دون أن تسفرعنه الدلائل ، ولكنه يأتى نتيجة جهاد متواصل تفوز به الأمة المتمسكة بالدين والعلم كليهما ثم بهداية النفوس إلى مخافة الله تعالى وإرشادها إلى الفضائل والآداب الصحيحة وترغيبها فى ما يؤول إلى مجد الله وحفظ نظام الهيئة الاجتماعية . ومن المصدق أن صلاح طائفة الأقباط ورغدها إنما يقومان بصدق العقيدة وتعزيز الآداب وتمكين الألفة العائلية التى هى أساس الألفة العامة . فكثرة المدارس لا تنفع إذا كان

الدين فى ضعف . وانتشار العلم لا يجدى إذا لم يقترن بالأخلاق العالية ، ووفرة المال لا تفيد إذا لم يستخدم هذا المال فى بناء المعابد وتأسيس الملاجىء الخيرية ومساعدة المحتاجين ... وتشييد المدارس الدينية والغرض منها نشر العلوم الدينية وبالأخص اللغة القبطية وتثقيف العقول وإنارة البصائر . لأنه مما لا يختلف فيه اثنان هو أن نشر المعارف الحقيقية وتعزيزها إنما هو نور للعقول ومصدر للفلاح . كما أن المشاريع المالية من تجارية ، وزراعية ، وصناعية لهى من أفضل الأعمال التى يجب أن تعبأ لها الجهود حتى يرتقى بها الفقير ويتمكن من كسب معاشه بطرق محللة . هذه الأمانى كان يمكن أن تحصل عليها الأمة ، إذا صفت النيات واتحدت القلوب فبصفاء النيات واتحاد القلوب ، وتضامن المجمع المقدس والمجلس الملى العام ، لن تنقضى فترة من الزمن إلا وترى المدارس زاهرة والكنائس عامرة والمجلات منتشرة ، ورجال العلم والخير والصلاح منتشرين فى أرجاء البلاد تدوى أصواتهم فى كل ناد وواد ، ينيرون العقول ، ويهذبون الأخلاق ، ويبددون دجى الجهل والظلام والفساد ، ويعيدون إلى حظيرة الحق من ضل من بنى إسرائيل وحرم من أرض الميعاد .

بهذا فقط تستطيع الطائفة القبطية أن تعود إلى ما كانت عليه قديماً . ينتشر فيها أريج الدين والأدب وتعم بين أبنائها المعارف الحقيقية ، وتنتشر المبادىء القويمة وترقى الأخلاق إلى مستوى الكمال ، ويرفع منار العقيدة الأرثوذكسية لأن الشعب لا يخطو خطوة دون إمارات ظاهرة تدل على التقدم والتبريز ويسير دون أن تظهر له أى أمارة من أمارات التقدم والرقى .

ولما كانت وسائل إحياء اللغة والدين فى مقدمة تلك المميزات ، فإننا على يقين من أن القبط الذين قاموا من سباتهم العميق ستحتم عليهم يقظتهم إلى إتقان لغتهم والمحافظة على عقيدة كنيستهم المحبوبة . هذه المبادىء تدور عليها عظمة الأمة . وكلما تأصلت هذه المبادىء بين أفراد الأمة ساروا نحو

الارتقاء ، ووصلوا إلى أعلى مراتب النجاح ، وعرفوا حقوقاً لهم ، فحافظوا عليها وواجبات عليهم فقاموا بوفائها ، وجنحوا بهذا الوازع القويم إلى ما يكسبهم الحمد والفخار ويحول بينهم وبين الخراب والدمار . وكلما وُجد فى هذه الأمة دعاة نصبوا نفوسهم لنشر مبادىء الإصلاح وضحّوا بثمين وقتهم فى غرس بذور الفضائل الإنسانية حيث أنها مبادىء ضرورية ولازمة لرفع شأن الأمة فلا شك أن هذا سيؤدى حتما إلى ما نبغى إليه من مجد وعزة وكرامة .

عتاب الكنيسة لابنائها

اعلم أنه لا نهضة لأفراد شعب من الشعوب أو أمة من الأمم إلا إذا انطبعت فيهم الغرائز الكريمة وهربوا من الكسل وسعوا فى الإصلاح . لكن لا إصلاح بلا صلاح لأن الصلاح أساس الإصلاح .

ولما كان صلاح الأمم إنما يكون بالتربية العالية ، وتهذيب النفوس ، وتنشئتها على الميل إلى الخير ، وتدريبها على ممارسة الفضائل الإنسانية فتنمو فيها بذلك ملكات وغرائز لا تؤخذ بالعنف أو تقاد بالشدة .

لهذا أصبح من العسير أن توجه أمة من الأمم إلى الوجهة المثلى ، أو إلى وجهة الفلاح بدون هذا السبيل . ولنهضة الأمة علامات أخرى منها : تسابق أبنائها فى ميادين الأعمال الصالحة دون الإعلان عن أشخاصهم فلا يزيدهم الثناء نشاطاً ولا يكسبهم الذم سآمة بل يجعلهم فى ثبات مع العمل مظهره الصبر على المكاره ومغالبة الأيام التى إن حالت بين طائفة من الناس وبين آمالهم فهى لا تقوى على الوقوف فى وجه جميع الذين يسيرون على آثار هؤلاء الأفراد ، بل يترتب عليها أن تقوى الرابطة بين الخاصة والعامة وتصبح وحدة مقدسة .

وإذا اتفق أبناء الأمة على ملاقاة الخير والشر معاً ، عمت المبادىء النافعة ، وتولدت روح التضامن ورسخت أقدام الأمة وأصبح من العسير زعزعتها .

هذه سوانح ضاق بها الصدر ، فنسخها القلم على صفحات هذا الكتاب عسى أن يصل صداها إلى آذان من يهمهم أمر الأقباط ورفع شأنهم ، فيهبوا من رقادهم ويسارعوا إلى أداء ما عليهم من واجبات نحو أمتهم وكنيستهم التى تناديهم بلسان حالها العذب قائلة :

أبنائى الأعزاء اسمعوا لصوتى ، أنا أمكم الرؤوم وتعالوا لأعاتبكم عتاب الأم لبنيها .

فالمرء منكم يا أبناء شهدائى إذا مضى عليه يوم دون عمل فهو إما محسن أو مسىء ولا يمتلك قوة لارجاعه فيمحو منه سيئاته كما أنه يعجز عن إعادته ليستزيد من حسناته فهو إما بحميد على ما قدم لى من الاكرام ، قرير العين على ما صنع لى من جميل الأفعال ، وإما عاص يمتلىء بنار الندم على ما فعل وفرط . إلا أنى أقول إن بيده زمام أمره ، فان شاء عمل فأحسن أو قصر فأساء . وإن كان بنو البشر ميالين بطبعهم وفكرهم لأن يعملوا فيحسنوا ليكون لهم ماض يسرهم منظره ويبتهجون لذكره وما ماضى الإنسان بالنسبة لحاضره إلا مستودع لأسراره وتجاربه . فهو المرآة التى تتجلى فيها صورة أعماله كما هى مجرّدة من كل تزويق أو تنسيق . وبين مستقبل يعلل النفس فيه نيل الآمال ويمنيها باحراز الأمانى . لا يدرى هل يدركه فيحظى بأمانيه أم يفوته فتنقطع أمنيته ويخيب رجاءه ، وما مستقبله إلا ماض انقضى لا يرى أثره وحاضره يتجاذبه وبيده مشيئته والمطلوب هو عمله وإظهار أثره . وأن ما يعمله قد يؤدى إلى سعادته أو إلى شقائه . فنحن الآن بين ماض نشاهد خلاله ما أسلفنا فيه من عمل ، وحاضر يجب أن نعمل فيه حتى إذا ما سرينا والتفتنا وراءنا حمدنا السرى ، ورأينا ما يبهج خواطرنا ويسر نواظرنا ويثلج صدورنا فيكون لنا من مستقبلنا برهاناً على تحقيق الآمال وتحسن الأحوال ، ولذا يحق لنا أن نقول « اخلعى يا أورشليم حلة النوح والمذلة والبسى بهاء المجد من عند الله إلى الأبد » (باروخ ص ٥ : ١) .

نعم إننا نناجى الكنيسة بألسنتنا « تسربلى ثوب البر الذى من الله واجعلى على رأسك تاج مجده الأزلى » (باروخ ٥ : ٢) ولكنها تناجينا فى هذه الأيام بأناتها المريرة وبجراحتها المثخنة التى منيت بها فى شخصية قوادها من الذين لا ينامون إلا إذا فعلوا سوءاً وينزع نومهم إن لم يسقطوا أحداً .

بل إنها تناجينا بلسانها الذى ذاق مر التجارب من الذين يرضعون لبن تعاليمها وعلى حسابها أخذوا إسماً عالياً وشرفاً أسمى ومنزلة أعلى ومع كل هذا فلا ينظرون إليها نظرة من يريد أن يرد جميلا ، بل ينظرون إليها نظرة استهتار وعدم وفاء وانتقام لأنه هكذا أبت النفس الخبيثة ألا تسىء إلا لمن أحسن إليها .

ولما كانت الكنيسة هى البادئة باحسانها إلى من تقربوا إليها وتوجوا شخصياتهم برتب عالية ثم انقلبوا عليها بعد ذلك كالحيات السامة لهذا حق لها أن تقول بحسرة وألم : « سيروا يا بنى سيروا ، إنى بقيت مستوحشة وقد خلعت حلة السلام ولبست مسيح التضرع . أصرخ إلى الأزلى مدى أيامى » (باروخ ٤ : ١٩ — ٢٠) .

———

الدخلاء

سبق أن أثرنا الجديث فى هذا الموضوع ، المفعم بطرائف الحكم ، الزاخر بطرائف النعم ، لهذا أناشدكم الله ، يا معشر الأقباط ألا تسيروا فى تيار المدنية الكاذبة سير الأعمى ، بل راعوا لأجدادكم عهدهم واعلموا أنه لو أتيح لأولئك الأجداد أن يعيشوا الآن ، لقوّموا المعوج واستردوا المفقود من رفعة ومجد ، ونشّطوا قلوبنا بالنشاط الروحى الذى هو سبب ارتقائنا وتقدمنا .

نعم قد تؤثر المظالم والمجاعات ، والأوبئة ، على الأمم فتسقطها ولكنه سقوط عرضى لا يؤثر فيها متى كانت روحها حيّة نامية ، كما كان شأن أمتنا منذ القدم ، إذ لولا تمسكها بمبادئها وشخصيتها ، أو بعبارة أخرى لولا نشاطها الروحى ، لكانت قد أدرجت فى أكفانها كما أدرجت غيرها من الأمم المعاصرة لها . ومما لا جدال فيه أن طريق فناء الأمم ، هو أن تتفكك روابطها وأن ينحرف أفرادها عن المقاصد الاجتماعية التى تجمعهم كأمة واحدة .

لهذا ، فليعلم الأقباط أنهم إن لم يصونوا مبادئهم بالعمل قبل القول ، وإما أن يسمعوا للكنيسة إذا سألها سائل عن أبنائها : أن تجيب بأن أبناء اليوم .

يتفاخرون بأجداد لهم سلفوا فنعم الجدود ولكن بئس ما خلفوا

نعم بئس ما خلفوا ، لأن نظرة إلى الماضى ، ترينا أن رجاله كانوا ينفقون الأموال على جلائل المشروعات التى لأمتهم الأسيفة بطيب خاطر ، بينما نرى كبار القبط اليوم ينفقون الأموال فى سبيل الاصطياف فى البلاد الأجنبية ممسكين عن النذر اليسير من تلك الأموال فى تحقيق مشروعات

أمتهم التى تذرف عليهم الدمع ساخناً . باكية هذا التقليد الافرنجى الذى أودى بهم وبأمتهم .

عافاهم الله من هذا التقليد الذى ألحق بالأمة ضرراً بليغاً ، وسلبها أموالها ، ووصل بها إلى ما هى عليه الآن من تمزق فى الدين ، واختلاف فى الأهواء . وتقهقر بغير إنتظام حتى كادت تفقد شخصيتها وتصبح أثراً بعد عين .

فيا قوم هيا نخوض لجج الماضى ، لنعتبر بما كان ونقيس عليه ما سيكون ، ولا ننسى أن الأجيال القادمة ستطالبنا بما تقدمه أيدينا ، وتحكم علينا كما نحكم نحن اليوم على الأيام المنصرمة .

إذاً ، أليس من أقدس الواجبات علينا أن ننتهز هذا الوقت لنصلح شؤوننا الاجتماعية والاقتصادية والدينية . وإذا نحن مارسنا ذلك فى حاضرنا ، فسنجنى منه فى مستقبلنا ما يجنيه الفلاح بعد طول شقاء ، وسوف نقطف من غروسه أثمار الازدهار والانتعاش .

ولن يتحقق لنا ذلك ، إلا إذا طرحنا عنا سخائم القلوب ، ونقيناها من الأغراض الذاتية ، حينئذ يسهل كل مرغوب ومرتجى . ومتى اتحدت قلوبنا ، وصحت عزائمنا وتضافرت جهودنا كان من أيسر الأمور علينا أن نقوم بكل ما يطلب منا ، من إصلاحات وغيرها . وقد برهنت حوادث التاريخ على أنه ، ما من أمة وصلت إلى مدارج المدنية الصحيحة والحضارة المنتعشة ، وما استردت مجدها الباذخ الذى سلبه منها ناموس الدور الجائر إلا باحترام الدين ، واتحاد الكلمة . كما أن التاريخ يعلمنا ، بأن طائفة الأقباط لم تصل إلى ما هى عليه من اضمحلال وتأخير ، إلا حينما وجد الدخلاء من تفككها ، مجالا لبث تعاليمهم الشريرة ومبادئهم الغريبة عن القلوب .

قد تكون هذه القلوب فطرية ساذجة ، فنشب على التهالك فى تقليدهم ، والتشبه بهم فى جميع أحوالهم ، فيسرى الفساد بذلك إلى الأخلاق ، والطباع وتنعدم العواطف الوطنية الشرقية ، وينشأ جيل من الأمة أقرب إلى

الحيوانات العجم فى تصرفاته . سهل الانقياد ، سريع الخضوع إلى تنفيذ ما يوعز إليه من الأمور بدون روية ولا تأمل .

وهذا كل ما يبتغيه أولئك الدخلاء ، من استعباد الأمة وإذلالها . ولقد صدق داود النبى بقوله « صرنا عاراً عند جيراننا ، هزءاً وسخرة للذين حولنا » (مز ٧٩ : ٧) .

ما أشبه الحال بالماضى الذى تكلم عنه هذا النبى ، إذ أن مشروعاتنا مازالت مقيدة بسبب عجز المسئولين عن الوفاء بالتزاماتهم ، بالرغم من الإنذارات التى وجهت إليهم ، بينما قد تم التشكيل وانتهى وضع المبادىء ، بعد أن طال النقاش فيها ، واتسعت صدورنا لسماع كل رأى ومناقشة كل فكرة . ومع أسفى الشديد وحزنى العميق سيظل هـذا النقاش بين فئة من رجالات الأمة دأبها دائماً التخلف عن ركب الحضارة لثقل كواهلهم بأوضار السنين الماضية التى لا تريد أن تتخلى عنهم ولا يبغون هم التخلص من آثارها إلا أنه لا بد من السير نحو التقدم معتمدين على من حسنت نياتهم ، وطابت نفوسهم وصحت عزائمهم للحاق بالوثبة الجديدة والسير معها فى جهاد مرير ، لبناء طائفة الأقباط على أساس من العمل المثمر والحكم الصالح .

ثم إنه لا يسعنى إلا الأسف الشديد على المتخلفين عن مسايرة ركب النهضة ، وإننا نترك الباب لهم مفتوحاً ، بعد أن طاولناهم واصطنعنا معهم كل وسيلة إلا أنهم عجزوا أن يسايرونا لأن ولاءهم مبنى على نزواتهم . كما أن شرهم ومطامعهم ، قد أثقلت حركات عقولهم ، وتحركات أيديهم وأرجلهم بل كمت أفواههم وقيدت أقلامهم .

فلمثل هؤلاء ، نطلب من الله أن يرشدهم إلى ما هو أفضل وأجدى ، وأن يعطيهم تفكيراً نيّراً ، وعقلا كبيراً حتى يدركوا أنهم ليسوا ملك أنفسهم ، بل إنهم ملك لأمتهم فلتعمل أيها القارىء بنشاط فى أمور لها شأنها يشيد على دعائمها المستقبل القريب إن شاء الله .

الوحدة المقدسة

مبدأ أساسى لا يستطيع أى منا إنكاره ، هو أن الأقباط فى احتياج إلى تعاون إيجابى مستمر ، بين الاكليروس والمجلس الملىّ حتى يكتمل كيانها ويصبح قائماً على أسس حيوية شاملة تضع حداً حاسما لهذه الأحداث الجارية فى محيطنا الآن .

وإنى لمؤمن بأن هذا التعاون سيكون باعثاً قوياً لتحقيق الأهداف التى نوطد بها كياننا ومستقبلنا . كما أنه يخلق لنا شخصية معنوية تكون جديرة على تحقيق مجد الشعب ووحدته . هذا هو السبيل الوحيد لوضع حد لما انتابنا فى السنين الماضية ، من محن وكوارث وآلام ناتجة عن تفكك وحدتنا ، واختلاف اتجاهاتنا .

هذه حقيقة لا شك فيها ، فان الجروح التى تنتابنا من الخارج لا بد أن تلتئم وتشفى أما جروح الداخل فمن الصعب والعسير التئامها وشفائها .

حسما لهذه الخلافات وعلاجاً لهـذه الحالة ، يجب المبادرة بكل وسيلة مستطاعة ، بتنفيذ ما تحتاجه الأمة منا . على أساس واسع النطاق ، عاجل الثمرات ، مما سيكون له أثره الكبير فى مشروعاتنا الحيوية التى تتطلب الجهد الكبير والنفقات الطائلة لبعث الأقباط وبلوغ وحدتهم العزيزة على قلوب أبنائها كافة ، وإظهار المستقبل فى المحيط الرسولى ، كوحدة قوية متماسكة تنتهج سياسة خارجية حكيمة فى كرازة الأقطار الشقيقة وغيرها من البلاد التابعة لنا ، لتخلصها من السيطرة الأجنبية ونبنى كيانها ومستقبلها بعد أن لاقت الأمرين من صراع المبشرين الذى يؤيده النفوذ الأجنبى لغرض مادى لا يخفى علينا أمره .

ولا شك أن الكل يرحب بهذه الخطوة المباركة لأنهم يدركون أن

فى ذلك الجهاد ، انقاذاً ونجاحاً ، يجعل كل مسيحى يدرك أنه شريك فى معركة الكفاح والتضحية للجميع ، وهذا دون جدال هو طابع المسيحية الحقة التى يجب أن يستجيب لها كل من آمن بأن الأقباط هم شركة فاضلة عادلة ، فقط ، يشعر بمقدار حبه الصحيح ووطيد الصلة التى تربطه بها ، ويرى فرضاً عليه ، أن يقف حياته لصيانة بنائها ، وأن يبذل دمه تحت لوائها .

هـذه روح يجب أن يتحلى بها كل قبطى تجرى فيه دماء الرجولة الكاملة ، يؤمن بأن أسس التفانى فى الأمة ، لا يتم تحقيقها إلا بالتأمل والمقارنة والعمل فى كل شأن من شئون الحياة والتحلى بجميع الفضائل الدينية والأخلاقية ، لأن الفضائل يقود بعضها بعضاً إلى المثل العليا التى تسير عليها الأمة لخلق جيل يقوم بنشر سنة التعاون والانصاف والبر ... جيل يدرك تمام الإدراك هذا الجانب من حيث إنها فضيلة برئت من أمراض الشح والجشع والأثرة التى تخلق العداء نحو النظام القائم فى الأمة القبطية .

ولا يخفى أن الاصلاح الذى يريد الأقباط الإقدام عليه ، مفيد جداً فى علاج كافة المشكلات سواء كان ذلك من الناحية النفسية أو الناحية الاجتماعية بل الناحية الروحية أيضاً ، فهو يبطل المنازعات العادية ، ويقوّم الحضارات ، ويثبت العقائد ، ويوطد العزائم على سلطان الأديان والأوطان مما يترتب عليه أن تتم الأعمال التى نبغيها فى وضح النهار وتحت أنظار الجميع فإنها نتيجة وعى جديد ، وروح وثابة ، وشعور قوى بالمسئولية والواجب .

ومن المتفق ، أن الأقباط فى احتياج إلى نشاط خارق للعادة المألوفة لنا ، وهذا النشاط لن يتأتى عبثاً ، بل يأتى بعد درس وروية ، ليكون قائماً على أسس ثابتة ومبادىء سليمة ، فحالتنا الراهنة تقتضى منا أن نكون صفاً واحداً ، نجنى من ورائه ثمار جهادنا ونشاطنا ، بالسير فى طريق الهدى لنحيي مطالبنا التى ماتت فى بدء المطالبة بها بسبب ما يثار بيننا من مهاترات ومشاكسات ، حفزتنا على أن نلمس تأخرنا .

فكم من اجتماعات عقدت ، وقرارات أخذت ، كل هـذا حدث تحت سمع الرأى العام الذى له الحق فى إدانتنا ، لأنه منحنا الثقة التى تحتم علينا الا نعطى لأعيننا نعاساً ولا لأجسادنا راحة ، إلا بعد أن نكون قد أحرزنا نصراً مبيناً باظهار اعمالنا قبل أقوالنا ومن العجب أن نرى البعض أمواتاً أحياءاً ، وكأنهم عاهدوا التاريخ أن لا يذكرهم إلا بالجمود والمساوى التى تأصلت فى قلوبهم فطرحت بذور المخالفة والعناد والتهور على ذوى الأمجاد الذين قال عنهم ربهم الأعلى من « أكرمكم يكرمنى » .

هذه كلمة أسوقها إلى كل من يهمه الأمر حتى يمكن النهوض بمستقبل الجيل القادم الذى عاهدناه السهر على مصالحه وما يضمن له مستقبلا مدعماً على جهادنا وأعمالنا .

الدين والمدنية

سطرت الأقدار على صفحات الوجود بيد من نور ، أن من لايترك فى أمته عملا مجيداً أو أثراً محموداً ، يظل تحت أمواج الأطباق ، تكتنفه ظلمات من الخمود ، بعضها فوق بعض ويندثر اسمه من سجلات التاريخ ، بل يبقى مقبوراً بين الأحياء ، يستنشق الهواء ساكناً وهو متحرك ، راقداً وهو يقظاً ، لأنه كم توالت على هذه المعمورة من أمم ذات صولة وشأن لها من أعمالها ما لا يتفق مع أحوالها ، فلما جاء خلفهم لم يعيروا سلفهم جانباً من الفكرة ، التى يجب أن يتجنبوها فوقعوا فيما كان عليه ذلك السلف . ولو تدبروا الأسباب وروابطها مع المسببات لما ذهبوا فى طريقهم متخبطين لأنه ما من شىء فى العالم ، إلا وله قوام يحفظ به وجوده إلى أجل مسمى فى علم البارى عز وجل ، بحيث متى زال هذا « القوام » لطارىء من الطوارىء الطبيعية أو غير الطبيعية ، انقضت حصة ذلك الشىء من الوجود وضاع عليه نصيبه من البقاء .

فقوام الانسان هو الروح ، وقوام البناء هو الأساس ، أما قوام التمدن أى استمراره وارتقائه ، فهو تمسك أفراد الأمة بالدين وارتكانهم على قواعده الصحيحة ، وأركانه المنيعة مع العمل بما جاء فيه بذمة صادقة ونية خالصة من شوائب البدع وأدران المعتقدات والوساوس العاطلة .

ولا يوجد تمدن فى أمة من الأمم السالفة أو المعاصرة أكثر ارتباطا بدينها مثل الأقباط . لكن لما فرطنا فى الدين وأهملنا القيام باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، آلت حالتنا إلى ما يثير أشجاننا بسبب ما نحن عليه من انحطاط وذل وهوان وإلى ما صرنا نحن عليه من ضغط شديد .

ولو كنا ، كمن تبصر فاعتبر ، ورأى فتذكر ، لكان الدين لنا حصناً حصيناً

ومعصما لاتسمو اليه المطامح أو ترنو له عين المطامع ، ولما وصلنا إلى هذه الحال السيئة ، ومهدنا للغريب ، أقرب الطرق لمعاملتنا معاملة الذئب للحمل .

هذا — ولما كان سلوك ذلك الطريق لايتأتى إلا بعد الوقوف على أسباب ارتقاء التمدن القبطى السابق لنتخذها رائداً لنا ، وتحليل أسباب انحطاطه لنتعظ بها ، فنتجنبها . فقد رأيت أنه من المفروض أن أذكر هذه الأسباب بالتسلسل مقرونة بوصف عن حالة الدين فى العصر الحاضر لكى تقوى القلوب به بعد أن استولى عليها الوهن والجبن ، وتنشط عزائم الأقوياء . فنقول :

إن الله خلق فى الإنسان قوة عاقلة مفكرة بالنحو الذى خلقت لأجله وهو الانتقال من الأسباب إلى المسببات ، واجتناب أسباب المضار والأخذ بأسباب المنافع ، ولكل زمان حكمه الخاص . فما كان ضاراً فى زمان ربما كان نافعا فيما سبقه ، أو فيما يليه من الأزمان .

ولو نظرنا إلى العقوبات الدنيوية وأسبابها ، لوجدنا أنه إن لم يحصل من القوم شىء يتطلب تطبيقها ، لوجدنا أن حالتهم لا تستدعى الإصلاح ولا تكون مجلبة للعار ، كما أنها تمثل من يخلفهم بعدهم أو من يعمل بعدهم مع مضى الزمن خلال هذه الفترة التى بين الدورين يوجد من زل فيما زل فيه السابقون ، ولكن لو تدبروا وحاولوا الخروج من التمسك بعاداتهم لكانوا من الناجحين وكانوا فى هذه الحياة على أصلح حال وأنعم بال ، ولا يقتصر القول فى هذا المقام على الأولين من الناجحين ، بل يشمل أيضاً العظة والاعتبار بالمعاصرين والمجاورين ، إذ هم أولى بالتدبير فى أحوالهم والتأمل فى تقلبات الدهر بهم من حال الى ما يخالفها نقصا وكمالا ورفعة وانحطاطا وقوة وهزالا .

وكما يشمل الأمر أولئك المعاصرين كذلك يشمل النظر والاعتبار لمجموع

الأمة نفسها . فالأمة طبقات : الطبقة العالية وتعتبر الطبقة المستغلة وهذه الطبقة على صلة بالطبقة العاملة أو الطبقة الثالثة ، أما الطبقة المتوسطة فهى متصلة بالاثنتين والفرد خلال هذه الطبقات الثلاث فى اتصال مع سائر الأفراد الآخرين . ولاشك أن خلال هذا الاتصال تحدث حوادث تتخذ منها عظة وعبرة بعيدة المدى إذ أن هذا التيار لايمكن إيقافه لا من جهة الزمان ولا من جهة المكان .

لهذا نكرر الدعوة للجميع بالعودة الى الدين والتحلى بالإيمان حتى تكون نهضتنا لا خوف عليها ، ومطالب الشعب ، كل يعمل لها بشعور يملأ أعيننا نوراً . لننظر الى المستقبل ولنعمل إلى الوحدة والتضامن لسعادة المستقبل الذى سيثبت للعالم أننا شعب أصيل حر له إرادة متحدة ، وحرية مطلقة وسبيلها إلى العودة إلى الدين والتعمق فى الإيمان .

هلا من تجديد ... ؟

إنه مما يثير العجب حقاً ، إننا عند ما شعرنا بانخفاضنا وضعفنا ، ثارت فينا الرغبة إلى استرجاع شيء من مجدنا الباذخ القديم فتشبهنا بصبيان المكاتب فى توخى أبعد الطرق إلى الوصول لمكان الدراسة ، حيث أننا سلكنا مسلك التقليد للأفرنج الذين لا يزالون يدرسون فى كتب أجدادنا ، مترجمة إلى لغاتهم . فجاءت النتيجة على نقيض ما انصرفت إليه آمالنا ، وكان الأجدر بنا أن نقتفى آثارهم ونسلك مسلكهم ، لنوفر روابط القومية فيما بيننا وبينهم وهى الدين واللسان والمكان . على أنه ليس بالمتعذر علينا تحقيق الأمنية إذا اتحدنا وجمعنا شتات القلوب وصرفنا غاياتنا الصادقة ووجهنا عزيمتنا الماضية لذلك .

ولرب معترض يقول : هذى السطوح ولكن أين مرقاها ؟ فالجواب عليه أن المراقى كثيرة وعديدة منها : ناموس التبادل الدورى الذى قضى أن يكون لكل أمة سهم من الارتقاء ونصيب من التمدن . ولقد ذكر أحد علماء الاجتماع فى نظريته المعروفة بنظرية تارد «Tard» أن عوامل ارتقاء المجتمع عديدة ، منها عواطف أفراد المجتمع ، وميلهم إلى إصابة غرض مخصوص والاشتراك فى عمل لذلك ، حيث أن مجموع هذه العواطف هو المجتمع نفسه وصفاته التى يمتاز بها عن غيره من المجتمعات .

إذاً الواجب يقتضى المحافظة عليها لأنها تعتبر كميراث ساهم فى خلقه وتكوينه أسلاف هذه الأمة بنصيب كبير . ولابد أن يرثه من يأتى بعدهم من أبنائهم ، وهى وإن اختلفت باختلاف الأمم ، وتباين الشعوب ولكنها لا تختلف اختلافاً كثيراً فى أمة واحدة .

ويقال إن للتربية وللزمان والمكان دخل فى هذا الإختلاف . ولكن

بقاء هذا الأخير لا يمتد إلى أجل طويل . وأية أمة عاصرت غيرها ونفرت
من أسباب تمدنها بحجة أنها ليست من جنسها ولا من مشربها ، فهذه الأمة
تعتبر ضالة عن طريق العظة بغيرها ، والتدبر فى أحوالها وليس من القصد
ولا من الرشد النفور لمجرد تلك المخالفة ؛ بل الأقصد والأرشد والأقوم أن
توجد العظة والعبرة ثم تحصل ملكة التعديل والأخذ بالأحوط ، وتنتهى
باستبدال ما هو ملائم بما هو غير ملائم له من حيث شكله أو موضعه
أو مباين له .

فالغرض هو ألا تكون الأمة غافلة عما تعمل معاصرتها فتبقى فى خمولها
وتلك تظل سائرة نحو التقدم ، فنحن فى عصر زاخر بالآمال ، والمعارف
والعلوم والفنون ، والرقى ، والابتكار .

والأمم المختلفة تتسابق نحو إدراك أهدافها العليا إذ أنه فى إدراكها
تعظيم لشأنها حتى تصل إلى غايتها المنشودة لذلك لا يجب أن تقف أمة من
الأمم عند قدر من الرقى دون أن تتطلع إلى غيرها من الأمم التى سبقتها فى
مضمار الرقى العصرى .

هذه كلمة سقتها إلى أبناء أمتنا الأعزاء الذين يهمهم أن يصلوا بأمتهم إلى
ذروة المجد والرقى فى مضمار الحياة الروحية والدنيوية ، فعساها أن تبلغ
ما نرجو لها من تأثيرات فى نفوس شعبنا العزيز الذى نرجو له كل تقدم
ورقى ولا يسعنى إلا أن أردد قول الانجيل المقدس : « من له أذنان للسمع
فليسمع » .

على أنه لا يفوتنى أن ألفت النظر بوجه خاص إلى بعض أمور تتصل
بفروع نهضتنا المقدسة أوثق اتصال وفى تعهدنا إياها وإخلاصنا فى السير
بمقتضاها ضمان النجاح .

أولا — تعديل لائحة سنة ١٨٨٣ ، ومعروف أن هذه اللائحة قد اقتنع
الرأى العام منذ زمن طويل بمساوئها الإجتماعية والروحية والاصلاحية ،

ولا بد من إلغائها بغير قيد ولا شرط ولا توقيت . وإخضاعها فوراً فيما
يتصل بقانون الكنيسة منذ العصور الأولى .

ثانياً — قانون انتخاب البطريرك بما يحفظ للكنيسة قوانينها ، وقدسيتها
كما كانت عليه أولا إذ لا دخل للشعب فى انتخاب البطريرك بما أن المجمع
المقدس هو السلطة العليا للكنيسة وإليه مآل الجميع وأن يكون هذا
المجمع خاضعاً لشروط لائحة داخلية تنظم هذا العمل الذى يتوسطه روح
الله القدوس .

ثالثاً — النظر فى أحوال الرهبنة والرجوع بها إلى الحياة المسيحية
الحقة والعمل على رفع مستواها الروحى والثقافى والاجتماعى . وغير ذلك
مما يجعل للرهبنة اسما تحيطه هالة من النور ، نور التقوى والنسك . وأهم
ركن نرتكن إليه فى النهوض بالرهبنة هو إلغاء المرتب الشهرى الثابت الذى
يدفع للراهب ثم توجيهه توجيهاً علمياً روحياً ، كى يسعد العالم بدعاء الوحدة
الحقيقية التى تغيرت مبادئها وسلبت دساتيرها بقوة المادة التى أضعفت الصلة
الروحية ولا مناص من تعويض هذا النقص إلا عن طريق الرجوع إلى
المبادىء التى تأسست عليها الرهبنة وهى العفة ، الفقر الإختيارى ، الطاعة ،
المحبة للجميع ، والبذل ، والتضحية لإسم المسيح .

ولست أقصد بهذه الكلمة إلا يقظة المسئولين لوضع وسائل العلاج
وتحقيق ما هو جدير بإصلاح الحالة قبل أن تسوء أكثر مما عليه الآن قبل
أن تبدأ فى التحسن فيزداد الركود والكساد وتبدو آثار الخمول والاهمال ،
كما يتحول تيار الصعود إلى الهبوط الذى أخذت عوامله تتفاعل وتتكتل ،
ونسرع بنا الخطى فى انحدارها المخيف . هذه نقطة تحول يجب علينا أن
نقاومها بكل ما أوتينا من قوة وحماس ، ومثابرة ، ونجند لها ما لدينا من
وسائل معنوية .

وأقرب السبل إلى النهوض بالرهبنة ، هو : العودة إلى مبادىء مؤسسها

وهو القديس العظيم الأنبا أنطونيوس ، الذى رسم الطريق وأوضح معالمه ومراحله وأثبت للعالم أن إرادة الراهب الفردية قوة هائلة لاتقاوم إذا كانت متحدة مع إرادة الله ، وأن الارادة العامة للرهبنة هى مجموع الإرادات الفردية .

لهذا ، فإننا كلنا ثقة فى أن نعمل على صيانة الرهبنة ، وذلك بيقظة رؤسائها وما يبدون من توجيه سليم نحو المبادىء الجليلة والوسائل العملية التى لا مفر من تحملها والعمل على أن يشترك الجميع فى تحمل التضحية ، والقيام بالعمل والانتاج ، لأن منطق الحقيقة والواقع هو أن تصوب جهود الرؤساء نحو تقوية الطاقة الرهبانية على دعائم ثابتة قوية ، وأهداف سامية متعلقة بأهداف وطنية وبذلك تقوم النهضة على أساس من التشريعات فى شتى مناحى المشروعات والتصرفات الخاصة بجميع شئونها الحيوية دون استثناء .

ويجب أن تكون لهذه الأهداف والوسائل قواعد ، ترسخ فى الأذهان وتتمكن من العقول فتصبح عقيدة عامة تسمو على بريق المادة ، وزيادة موارد الدخل وتغير القائمين على مصالح الرهبان بحيث نضمن احترام المبادىء الروحية التى تتكون منها حياة الرهبنة الجديدة لبلوغ تلك الأهداف السامية التى تتحطم على صخرتها تجارة الإهمال والاستغلال والنفع الملموس .

ولست فى حاجة إلى إطالة الحديث فى هذا الموضوع ، إذ أن كل مسيحى يعرف أن الطريق ليس سهلا وممهداً وليس ثمة علاج لمشكلتنا الرهبانية وحالتها الاجتماعية ، بل وأغلب الظن أن الحالة سوف تسوء أكثر مما هى عليه الآن ، لأنه كم من وقت ضاع فى سبيل أهداف مبهمة أو خيالية وكم من جهد ومال بعثرا لأننا لم نوضح الطريق ولم نرسم الخطة ولم ندرس المسائل ولم نتابع التنفيذ .

فلنعمل متكاتفين متحدين فى سبيل رفعة الرهبانية بروح العلم والتحلى

بالإيمان والرجوع إلى تاريخها الأول . ولنوطد أقدامنا على الواقع الملموس والأهداف العملية التى نعرف سبيلها ونتمكن من وسائلها .

رابعاً — العمل على بناء جامعة قبطية نواجه بها الظروف الحاضرة ونرسم لأبناء أمتنا سبيل التقدم واضحاً أمامهم دون أن يذهبوا إلى الخارج ، حتى لا يتجهوا توجيهاً يضر بالمصلحة العامة والكنيسة ويتعلموا بجانب العلم الفنى تعليماً غريباً مما لا تطمئن إليه النفوس فيما بعد . ومن الانصاف أن تولد الطائفة القبطية ولادة جديدة ، وهذا لن يكون بحال من الأحوال ، إلا إذا كنا متكاتفين ومتحدين على متابعة العمل فى هدوء ونظام ، ووراء أهداف قيادة حكيمة حازمة ، نزيهة عادلة ، حريصة على الوقت من الضياع فى سبيل أهداف خيالية .

وقد ذكرت أنه كم من شعوب بلغت هدفها بروح التفاهم ، رغم قلة مواردها الطبيعية ، وقد تحقق لها ذلك بفضل العزيمة الصادقة المتأججة فى صدور قوادها ، التى لا تضللها وعود خلابة لا سبيل إلى تحقيقها ، بل تنتبه إلى المصاعب التى لابد أن تقابلهم فى وسط الطريق . وهذه الصعاب يلمسها كل واحد بل إنه يعرفها تمام المعرفة ويشكو منها مر الشكوى .

وللطائفة القبطية أوقافها واشتراكاتها الشهرية الواسعة ، يضاف إلى ذلك رجالها البارزين الذين هم مبعث الآمال ودعاة النهوض على وضع حجر أساس هذه الجامعة القبطية . كذلك يلزمنا مدرسة لإعداد جيل من المعلمين والمعلمات يتخصصون فى علوم اللاهوت والفلسفة المسيحية وهى علوم يتعذر تعليمها فى مدارس أخرى ، وأنه أصبح من الضرورى الإلمام بها سيما وأن الدين المسيحى أصبح مادة أساسية تدرس فى مدارس جمهوريتنا المصرية .

فلنعلم تمام العلم أنه على صخرة هاتين المؤسستين ترتطم كل محاولة وكل جهد يتفانى فى سبيل تقدمنا العلمى الذى هو عمادنا الوحيد الذى تتحقق عليه الأهداف الوطنية ، ولاشك أن الكل يؤمن بها إذ أنها أضحت جزءاً من وعينا القبطى .

وجدير بالمسئولين أن يعلموا أن تبرير تصرفاتهم ، وتوطيد مركزهم لن يكونا إلا بقدر اهتمامهم بالناحية الثقافية والإنشائية والاجتماعية ، ومقدار توفيقهم إلى معالجتها سيما فى الآونة الحاضرة . إذاً فلنسرع الخطى ما أمكن لتعويض الإهمال ، وكفى ما ضاع علينا من وقت ومال .

فيا أبناء الطائفة القبطية لاتتنازعوا فتفشلوا ويذهب تعبكم سدى ، ولا تنقادوا وراء دسائس المتطببين الدخلاء ، فما فيكم مرض قط ، ولكنهم يوهمونكم به ، فقوموا قومة واحدة إلى العمل حتى تدركوا بعض الطرق التى عميت عليكم من مخاتل الطبيب وهبوا إلى التضافر حتى لايوجد فيكم ضلال يدعوه طبيبكم أنه مرض . ولا تكونوا إزاء الأمم المتمدينة كأهل الكهف ، بل ثابروا على العمل والجد والاعتماد على الله ، حتى إذا رآكم مدعى سوء عاد فقال : « حقاً إن أمة الأقباط هى القطيع الصغير الذى عين الله ساهرة عليه من أول السنة إلى آخرها » .

هذا ومن المسلم به كما ذكر جون ستيوارت ميل أن نجاح الأمة يتطلب أموراً ثلاث :

أولا — أن يكون لها أساس أدبى متين ، وهذا متوقف على أخلاق أفرادها .

ثانياً — أن نقيم على هذا الأساس أصول التربية الصحيحة .

ثالثاً — أن نقيم على هذا كله حياة اقتصادية سليمة لا تعتريها أية شائبة .

ولما كان الأساس الأدبى هو الأخلاق ، وهذا ما أيده أرسطو أيضاً فى كتابه « السياسة » ، إذ ذكر أنه لايتحرر إلا كل شعب عظيم . إذاً فمن هو ذلك الشعب العظيم المستأهل الحرية ؟ إنه أنتم يا معشر الأقباط الذين اتسمتم بأخلاق رفيعة منذ نشأتكم التى وثق فيها كل من قمتم بخدمتهم من ولاة وملوك وحكام . وقد أيد هذا أيضاً ما ذكره أحد المؤرخين الألمان عندما تكلم عن عن سر قيام وسقوط الأمم : « تقوم الأمم بالأمانة الأدبية مع الجد والنشاط

ثم تصل إلى أوج مجدها وعزها ويعقب ذلك تضخم الثروة فانغماس فى اللذات فضعف ووهن فتدهور فسقوط . وربما تبدأ ثانية فى دائرة واسعة النطاق » .

لهذا فكل أمة تريد أن تحتفظ بتقدمها دون أن تتزحزح أو ترجع إلى الوراء يجب أن يكون لها أساس أدبى متين . وخير دليل على ذلك هو النظر إلى تاريخ الأمم الماضية التى كان لها النفوذ الأعلى مثل مملكة بابل التى بسطت يدها على العالم ثم سرعان ما انهارت ، وسوس الفساد أبلى جسمها ، ونار الملذات أحرقت قلبها ، وصارت أثراً بعد عين . والدليل الذى لا غش فيه ، هو الكتاب المقدس الذى يعرفك بكل شىء عن تاريخ هذه المملكة ، ثم أمة اليونانيين الذين تسلطوا على العالم أيضاً ، ولكنهم سقطوا عظاماً رميمة . وأخيراً دولة الفرس التى كانت لها صولاتها وجولاتها التى لم تدم ، بل إنها زالت واندثرت وأصبحت أثراً بعد عين . هذه أمثلة أسوقها إليكم يا معشر الأقباط لأثبت لكم ذاك المبدأ السامى .

فما هو إذن مستقبل هذه الطائفة القبطية التى تريد أن تكون فى مصاف الأمم الناهضة ؟

الجواب على ذلك فى الكلمة التالية ، فالتفت .

كن أميناً الى الموت

ذكرت فيما سبق أن الأمة التى تريد أن تكون فى المقدمة ، يجب أن يقوى أساسها الأدبى ويدعم على الأركان الأربعة الآتية :

الأساس الأول ، الأمانة : فهى حجر الزاوية المتين الذى تقوم عليه كل كل أركان البيت . أما الخيانة فهى رمل سهل الانهيار ، يؤدى بالأمة إلى الحضيض . وقد تكلم عن هذا أحد رجال الاجتماع مقرراً أن الأمانة هى التى تبعث الحركة والحياة فى قلب الأمة أو الفرد وهى « أول محك يسير به قلب الأمة أو الفرد ، هو الأمانة » .

وقد حثنا فادينا الحبيب بالتمسك بهذه الفضيلة « كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » . والضمير الانسانى نفسه يستشعرها ويقدرها ، لأنها منبثة فى أعماقه . كما أن العهد القديم أوضح الطريق أمام الذى يريد سبل الهداية بهذه الآية القائلة « شفاه الكذب مكرهة الرب » . هذه الفضيلة نجدها فى سائر الأديان الأخرى تنال منها الحظوة الأولى والمكانة السامية . ولو رجعنا إلى الديانة المصرية القديمة لوجدنا بين نصوصها ما يؤيد أن الانسان لا بد له من الوقوف أمام ديانه ، فى اليوم الأخير بحضور اثنين واربعين شاهداً ، ويحتم عليه الإجابة على الأسئلة الآتية :

هل كنت أميناً ؟ هل نطقت بالكذب ؟ هل تناولت رشوة من أحد ؟ هل سرقت أو ارتكبت خيانة فى عملك ؟ وحتى يتضح صدقه من كذبه كانت توضع نفسه فى ميزان يثبت منه إن كان أميناً أو خائناً . هذه تعاليم الديانة المصرية القديمة عن الأمانة قبل دخول المسيحية بآلاف السنين ، مما أدى إلى أن تكون مصر فى مقدمة الأمم .

الأساس الثانى ، الطهارة : التى تعتبر الركن الثانى للحياة الشخصية ، وقد أيدها الكثيرون . فيرى البعض أن أى تقدم أو فلاح بين البشر ، إنما عمدته الطهارة . وقال آخر « لا يمكن أن يكون النجس وطنياً صادقاً صميماً ، فالنجاسة ضربة قاضية ، ومصيبة كبرى ، تحل بالرجال والنساء والأولاد والبنات أى بالأمة بأسرها .

ولك أن تتخيل مقدار الآلام والويلات ، والاضطهادات ، التى تعانيها الأمة من عبث رجالها المفسدين ، كلاعبى الميسر مثلا والدنسين الذين يواصلون ليلهم بنهارهم ، لإشباع أغراضهم بملذات الجسد . وسرعان ما يصابون بأشنع الأمراض وأعصى العلل ، التى تنتاب نفوساً بريئة ، وتخرب بيوتاً عامرة سعيدة . إذاً يا أيها القارىء ، ضع نصب عينيك أن الآداب والدين هما دعامتا الأمة ، وأنه لا بد أن تتوفر لنا هذه الدعامة الثانية وهى الطهارة .

الأساس الثالث : هو التغلب على حب الأثرة والأنانية . وعن هذا نجد حكمة صينية تفيد أنه « لا يمكن أن تغلب أمة بأعدائها الغرباء ، لأن خصومها فى داخلها وأعداؤها هم أبناؤها الذين يسامونها غنيمة نتيجة لأثرتهم لذواتهم » .

فالخطر كل الخطر هو فى اهتمام الإنسان بأمر نفسه فقط ، ورشوته ، وثروته ، وأملاكه ، وعدم اهتمامه بالأمة التى ينتسب إليها . فالأثرة تهبط به تحت الأقدام ، وتهوى بالأمة التى تبتلى بها ، ولقد أيد الرئيس روزفلت ذلك حينما ذكر « إذا اقتصرت تربية الإنسان على الناحية العقلية فقد أضحى خطراً على بلاده ، بل الأجدر أن تهذب أخلاقه الأدبية ، وتبث فيه روح الخدمة والتضحية » .

الأساس الرابع والأخير : هو العدل والاصلاح . لقد أخطأ الكثيرون فى بدء تاريخهم ، وتلطخت صفحات الأديان بسبب قسوتهم ، وحدث

ما حدث من الاضطهادات والمذابح ، والجلد فى الأيام الغابرة . ولكن كفانا ما حدث فى تلك الأزمنة التى اتسمت بالجهل والوحشية والخرافات . والآن نحن فى عصر جديد يتسم بالإيمان والتمسك بالأخلاق ، ووضع أسس الحرية للحياة الشخصية والاجتماعية .

ولما كانت الشخصية الإنسانية واحدة ، فالإنسان الواحد لا يمكنه أن يعيش فى حياته حراً طليقاً كما لا يمكنه فى البعض الآخر أن يعيش أسيراً مقيداً وكما أنه يسأل بعزيمة وجرأة عما ينتابه من الشكوك فى شتى نواحى الحياة ، بكيف ، ولماذا ؟

لهذا فهو يسأل بنفس الحرية والجرأة عن الجهة الأخرى التى يعن له السؤال عنها . ولا يستطيع أحد منا أن ينكر أن كثيراً من الحقائق العلمية ، والقواعد الاجتماعية المعروفة الآن ، لم تكن فيما مضى بنفس هـذا السلطان التى هى عليه الآن . فبعد أن كانت فى نظر الأقدمين ضلالة ، أضحت اليوم حقيقة ، وما نراه اليوم وهماً وخطأ ، كانوا يرونه يقيناً وصواباً . ولعل الفضل فى إظهار هـذه الحقيقة هو تلك الحرية التى عاونت على التدقيق والتحرى .

والآن وقد أصبح الكون مكتظاً بأهله ، مثقلا بمن فيه ، متعثراً فى أذيال الحوادث ، متكئاً فوق فوهات الكوارث ، تثور فيه أعاصير العناصر وتتفاعل فيه مختلف الطبائع . كما أنه أصبح معتركا تشحذ فيه مواضى العزائم وتتفانى له قوى المجهودات وتتغالب عليه نوازع الحياة ، وتضطرم به الآراء ، وتضطرب فيه العقول . أضحى كبحر خضم تندفع أمواجه كالجبال ، ويلتطم بعجاجه السيال ، الناس فيه منهم من هو غائص إلى الأعماق مع الدفعات ومنهم من هو صاعد إلى الأوج مع الزبد ، والدهر عليهم رقيب عنيد ، ومهيمن شديد ، لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصيها ، يكافىء كلاً بما تقتضيه النتيجة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

لهذا ، يجب علينا أن نجعل طريق الاصلاح نصب أعيننا ، ولا يحق لنا أن نهمله أو نتركه فى زوايا النسيان ، لأننا لو نكرناه نكون قد أغفلنا الواجب وسهونا عن تحقيق الغرض المقدس المحتم على كل منا نحو أمته ونحو كنيسته .

وحرصاً على تحقيق ذلك ، فأنا أضع نفسى رهين إشارة ، لكى أبذل النفس والنفيس فى سبيل تقدم هـذه الأمة ، بل إنى أعتبر نفسى على أهبة الاستعداد للقيام بهذا الغرض خير قيام .

أهداف التربية

إن المرء مسوق بوجدانه، مقود بإحساسه. إذا رام تقويم أولاده وأتباعه، وجب عليه أن يبين لهم الضار من النافع. يوجههم إلى تمييز الحسن من القبيح، ويحثهم على فعل الخير، واجتناب ما هو ضار، مظهراً لهم حكمة هذا وضرر ذاك. ووراء ذلك يضع العقوبات والمكافآت لكي يصون طريق هدايته وسبيل إرشاده بالرغبات والزواجر.

هذا سر جلي يعلمه من استقرأ الشرائع السماوية واحدة فواحدة، ووقف على حوادثها التاريخية من مبدئها حتى منتهاها. فنشر الفضائل الأدبية بين أفراد الأمة وبث مكارم الأخلاق فيهم من حيث هى مبادىء دينية، هو الطريق الذى يؤدى إلى السعادة. كما أن النفوس ألفت المسارعة إلى الإذعان لتلك المبادىء والتصديق بها، والاستسلام لها دون أى بحث أو تنقيب عن أسرارها أو كنهها.

وإن كانت هذه الأسرار والحكم متأصلة فيك، فعليك أن تزدها قبولا وتمكيناً من نفوس الآخرين، وتتقبلها بلهفة، كما جاءت استئناساً لتلك الروح التى تتسم بها وهى أن الحكمة الإلهية لا تضع تشريعاً إلا وتبغى وراءه حكمة بالغة مهما غاب عنا كنهها، وغمض علينا إدراك المقصود منها.

والتربية التى أعنيها ليست هى تلك التربية الدنيوية المتبعة الآن من إلحاق الطفل فى إحدى المدارس وإغراقه بالعلوم الآلية. فهذا لا يجدى نفعاً، ولا يحقق لنا الأمل الذى نرجوه. إنما أقصد بالتربية صقل عقل الطفل بالمبادىء الفاضلة، وإشباع روحه بالأخلاق الطاهرة، وتعويد نفسه على العادات النافعة، وتهذيب فكره بالآداب السامية.

هذا هو المنهج التربوى الذى يجب أن نضعه نصب أعيننا. ولكن من أين لنا ذلك؟ وقد يدّعى البعض بوجود بعض الدروس اللاهوتية، بجانب علوم الآداب والأخلاق، فى جميع مدارس القطر. ولكنى أجيب عن ذلك فى صراحة تامة، أن هذا المقرر عقيم الفائدة ولن يؤدى بنا إلى نتيجة، لأسباب جوهرية، أهمها:

أولا — إن بعض من نيط بهم غرس هذه المبادىء فى أذهان الأطفال لم يصلوا بعد إلى درجة التهذيب لأنفسهم، حتى يمنحوها لغيرهم، وبديهى أن فاقد الشىء لا يعطيه.

ثانياً — إن هذه الدروس كما يجب أن تكون، لم تتقرر بعد. والواجب، سيما بعد أن أصبح تعليم الدين مادة أساسية فى شتى مراحل التعليم، أن نضع مناهجاً خاصة مركزة حول تعاليم ديانتنا الطاهرة، تفى بالغرض المطلوب وتحقق الغاية المقصودة.

ثالثاً — وهو السبب الأساسى، المعطل لهذه التربية الفاضلة، هو تراخى حضرات مدرسى الدين فى التشديد على الطلبة، ومراقبة سلوكهم، ومقدار تمسكهم بتعاليمهم. وإنى أكون صريحاً إذا قلت إنه وإن كان الدين مادة إجبارية حقاً، إلا أنه فى الواقع لا يعتنى بها العناية الكافية التى تبذل فى تعليم اللغات أو الرياضيات. فالدرجات توضع من وحى الأساتذة بل من الأساتذة الذين يتهربون من تدريسها، نظراً لعدم وجود جدول أساسى لها.

ولقد يتبادر إلى البعض فكرة أن الأمم الغربية التى وصلت إلى هذه الدرجة الكبيرة والتى نروم مجاراتها، ونحذو حذوها، ونرغب فى إدراك شأوها، لم ترع فى وضع أسسها التربوية التعاليم الدينية، بل اعتمدت كل الاعتماد على النظريات الفلسفية والمبادىء الاجتماعية التى تظهر فى المجتمع بين آونة وأخرى.

إلا أنى أجيب عن ذلك بأن هذا الزعم هو جهل بالحقائق ، وتيه عن الصواب ، وبعد عن الرشاد . فهذه بعض كتب تعليمهم الموضوعة للأطفال ، بين أيدينا ، نجدها مشحونة بالأمثال العالية ، مفعمة بالآداب التهذيبية ، مكتوبة بعبارات سهلة جذلة ، يفهمها الصغير ، ولا يسأم منها الكبير ، بل يتأدب بأمثالها ويتعظ من مبادئها .

هذه الأمثلة التى ذكرناها تختص بقواد عظام يندر ظهورهم ، مثل البابا كيرلس الرابع ، وهؤلاء القواد ، نرى أنه من السهل على التاريخ حصرهم ، فهم على رأس سلسلة تتدلى من أولئك القواد العظام ، وتصل إلى العامل الذى يقف فى مكان أطبق الدخان فى سمائه ، ويسترعى أسماع إخوانه ، بما يلوك من صياح لحفظها ، من دون أن يدرك معانيها ، ولكنه يؤكد أن فى العمل بها تحقيق لجميع الأمانى والآمال .

ولكن الإنسان لا يلبث أن يقع تحت حكم قائد يتبعه كلما خرج عن العزلة إلى الجماعة ، ذلك أمر واقع فى جميع الطبقات ، أرقاها وأدناها . أما أفراد العامة ، فإن الواحد منهم متى خرج عن مهنته ، لا نجد عنده فكراً واضحاً عن أى أمر من الأمور . بل نجد أن جلهم غير كفء لقيادة ذاته ، ومرشدهم هو القائد ، ولربما أمكن الاستعاضة عنه بتلك الصحف الدورية التى تضع لقرائها أفكاراً ، وفى جُمَلٍ مَصوغة تغنيهم عن التفكير . إلا أن البدل لا يقوم مقام الأصل تماماً .

فعمل قائد الجموع ، هو بث فكرة معينة فى نفوس الأفراد لا فرق بين أن تكون فكرة دينية أو سياسية أو اجتماعية ، وأن يكون مجال نشاطه هو عملا أو إنساناً أو رأياً . لهذا كان تأثيرهم عظيما جداً . فالإيمان أكبر قوة فى تصرف الإنسان ، وقد صدق فى قوله السيد المسيح عندما ذكر أنه يزحزح الجبال عن مواضعها . فمن كان مؤمناً زادت قوته عشرة أمثال ، والذى قام

بأكبر حوادث التاريخ هم أفراد ضعفاء لكنهم مؤمنون . لم يكن لهم من الحول إلا الإيمان . ولم يذكر قط أن المستبدين أو الفلاسفة ، أو أهل البأس هم الذين أقاموا الأديان التى سادت على الدنيا ، واختطفوا الممالك الشاسعة التى امتدت فوق السطحين . ولكنهم فقط رجال الإيمان الذين ساسوا الممالك وذاع صيتهم فى كل الأقطار .

لائحة دخيلة

تجسد السيد المسيح لخلاص الإنسانية وراحتها . فأسس كنيسته على تعاليم روحية سرمدية ، كما أسس الأسرة على دعامتين ، وحدة الزواج ودوامه ، وأعطى سلطان الحل والربط لرسله الأطهار أولا ، ثم لمن يخلفهم ثانياً .

وقد أيد هذا بقوله لهم . « أنتم نور العالم » . « اذهبوا وتلمذوا كل الأمم » . « من سمع منكم فقد سمع منى » .

ولقد احتفظت الكنيسة بهذا السلطان الدينى ، وسارت العصور والأجيال الطويلة على هدى هذا النظام السماوى المقدس .

وإذا كانت المسيحية قد ظلت قائمة فى مصر إلى اليوم ، فالفضل فى ذلك إنما يرجع إلى الشهداء من مسيحيى مصر ، وقدم الأقباط بلا منازع ، ثم إلى هذه الأديرة التى تخرج منها جهابذة الايمان الأرثوذكسى .

وقد ظل الأمر فى الكنيسة القبطية المقدسة على ما رسمه السيد المسيح فى انجيله الإلهى وتعاليم كنيسته الرسولية إلى أن جاء الاحتلال الانجليزى عام ١٨٨٢ م .

وفى السنة التالية (١٨٨٣) صدرت لائحة مدنية للإدارة الملية بدت فى ظاهرها أنها سليمة ، لكن حشرت فيها خلسة نصوصاً سلبت الرياسة الدينية سلطانها الروحى وسلطتها للكنيسة فيما يتعلق بقضايا صحة الزواج ، وبطلانه وفسخه والطلاق . وأعطت الاختصاص فيها للمجلس الملى وهو علمانى يختار أعضاؤه بالانتخاب وليس بينهم سوى رجل دين واحد .

ولما كان هؤلاء الأعضاء يستمدون سلطتهم من هذه اللائحة التى هى من وضع البشر والتى أدخلت خلسة على أولى الأمر يومئذ .

وهكذا نرى أنها فرضت على الأقباط فرضاً ، ليسيروا على النظام المتبع عند المحتلين تمهيداً لاحتلال دينى .

وقد وقع هذا الاحتلال فعلا خلال السبعين عاماً الماضية ، نقولها وملء جوانحنا الأسف ، إذ نرى عشرات الألوف من أبنائنا وقد تحولوا عن العقيدة الارثوذكية إلى غيرها من العقائد الغريبة عن بلادنا .

كما كان من جراء هذه اللائحة أن المثلث الطوبى : البطريرك الانبا كيرلس الخامس ، ندب وقتئذ حظ الكنيسة القبطية وبكى لخروجها على تاريخها المجيد العظيم ، واحتج احتجاجا شديداً على النظام الدخيل — ولا يزال صدى هذا الاحتجاج يرن فى آذان الأبناء والأحفاد — مما دعى أصحاب الشأن والنفوذ السياسى يومئذ إلى نفيه إلى ديره « وهذه مفخرة » ، وقطعوا عنه كل صلة بالعالم قصد إسكاته مرغماً .

إلا أن لعنته ظلت تلاحق هذه اللائحة النكداء ، فكانت تتعثر ، وتتعدل ، وتتعطل كما ظلت هذه الأمة القبطية العزيزة المجيدة ، فى فوضى منذ ذلك العهد البغيض ؛ وبقيت المجالس الملية وأحوالها ، قلقة مضطربة ، نظراً لخلوها من قدسيتها ، ومن عنصرها الدينى الذى هو بمثابة الروح للجسد ، وبالرغم من هذا ظلت تحتفظ بصبغتها العلمانية إلى يومنا هذا .

إلا أنه قد آن الأوان ، لتطهير البلاد من آثار الاحتلال الأجنبى البغيض فى شتى نواحيه ، وآن للمجالس الملية أن تتطهر من اللائحة الخادعة المدسوسة على كنيستنا القبطية المجيدة ، بحيث نلجأ فى حل مشكلات الزواج إلى العقيدة المسيحية وإلى الكنيسة المقدسة التى تستمد سلطانها من رئيسها الروحى ، وممثلها الأعظم ، البابا البطريرك .

ولا بأس أن تظل المجالس الملية الحالية مسئولة فى مناقشة المواد الأخرى من نفقة ، وحضانة ، وأمور مالية وادارية فى دائرة ضيقة وتحت إشراف الرئيس الأعلى ، والأب الروحى للكنيسة ، البابا البطريرك .

فيا أبناء القبط ، يا أبناء الشهداء ، أعيدوا الى الكنيسة حقوقها المقدسة ، وكونوا أمناء على عقيدتكم الأرثوذكسية ... إرجعوا إلى قواعدكم الأصلية الصحيحة التى كانت سائرة عليها قبل لائحة ١٨٨٣ ، فالرجوع الى الحق فضيلة ، وهو حق الكنيسة عليكم ، وحق أبنائكم من بعدكم . وبذلك فقط ، تعود النعمة إلى أسركم ، والبركة تشمل أولادكم والقداسة والكرامة ترفرف على زواجكم . . .

ثقوا أن عملكم هذا هو وحده ، الذى سيصون عقيدتكم الأرثوذكسية . وهو الذى سيحفظ ميراثكم الذى أؤتمنتم عليه من الأجيال الغابرة ، لتعهدوا به إلى الأجيال القادمة ، كاملا غير منقوص .

وأرجعوا إلى الانجيل الإلهى ، الذى خول لرجال الدين سلطان الحل والربط ، والتحليل والتحريم ، فهم الذين يعقدون الزواج المقدس ، وهم الذين يستطيعون حله بالأسباب التى تبرر الحل . وليس لأية هيئة أخرى غير دينية أن تحل أو تربط ولا أن تحلل أو تحرم ، ولا تزوج او تطلق .

إذاً ، فهذا هو حق الكنيسة وسلطانها ، لا حق الهيئات المدنية أو المحاكم الملية وكل خارج على هذا النظام يعتبر خارجاً على سر عظيم من صميم أسرار الكنيسة المقدسة التى يجب العمل على صيانتها .

حقيقة لايمكن نكرانها ، أنه قامت ومازالت قائمة بيننا بعض المشاكل ، بصدد مسائل معينة فى الماضى ، إلا أننا لم نفقد الأمل قط ، فى أن الهدف النهائى للكنيسة المقدسة ، الجامعة ، الرسولية ، هو إقرار السلام بين أبنائها وحل مشاكلها الداخلية ، والعمل على النهوض بها بما يبعث الطمأنينة إلى نفوسنا ويملأ بالرجاء قلوبنا .

فالكنيسة القبطية ، كنيسة وطنية ، ليس فى هذا شك ، ولكنها كنيسة محافظة على عقائدها وتقاليدها قبل كل شىء ، وقد سفك أبناؤها دماءهم فى سبيل الحرص على عقائدهم . لهذا يجدر بكل مسيحى أن لا يجهل عقائد

كنيسته وقوانينها وتقاليدها الراسخة فى أعماق النفوس ، بل يكون حريصاً وحذراً ، وأن يقف وقفة مشرفة أمام من يحاول معارضة أو نقد هذه التقاليد والقوانين . وقد حتم علينا أن نكون فى نظامنا جزءاً لا يتجزأ من نظام الدولة العام ، طالما أن كنيستنا كانت وما زالت وستستمر باذن الله كنيسة وطنية ، بعيدة عن الفوضى والاستهتار ، عاملة على صون كيانها ، وغير تاركة المجال لمن لا يعلم الحقائق الكنسية ، ويتكلم عنها دون أن يكون ملماً بها . فالمسألة إذاً ، أخطر من أن تكون كلاماً يرص ، أو مقالات تكتب ، أو آراء تنشر ، لأغراض تنطوى عليها .

وكم قرأت مقالات رنانة ، وآراء خالية ، كلها تحاول أن تعتبر أن الأمة القبطية مُنحت فيما مضى امتيازاً ، بسبب الظروف السياسية التى كانت تسود البلاد وقتذاك . إلا إننى إظهاراً للحقيقة ، وتنويراً للأذهان أقول ، إن العقائد الدينية ليست إمتيازات تمنح اليوم وتسحب غداً ، بل هى حقوق أصيلة أقرها الاسلام فى كل بلاد فتحها . وكذلك الأحوال الشخصية ولاسيما المتصل منها بالزواج والطلاق ما هى إلا من أصول الدين ، لا تتغير بتغير الزمن ، ولا يمكن لأية حكومة دستورية أن تتدخل فيها . إذ أن هذا التدخل معناه المخالفة الصريحة للدستور الذى كفل حرية العقائد التى احترمها الاسلام لا فى مصر وحدها فقط ، بل فى كل بلاد الشرق التى حكمها المسلمون منذ الفتح الاسلامى إلى اليوم .

ولما كنا ، نحن معشر المسيحيين بحسب أوامر انجيلنا ، وتعاليم كنيستنا ، نعتبر الزواج سراً من أسرار الكنيسة ، إذاً فهو من صميم عقائدنا الدينية الراسخة فى نفوسنا ، ولا نسمح مطلقاً لهيئات مدنية مهما يكن لونها ، أن تعقد الزواج أو تفسخه . إذ أن الفرق واضح بين العقائد المتأصلة فى الدين ، وبين الامتيازات الممنوحة ، كما يدعى أصحاب المقالات المغرضة ، التى تتلون حسب الظروف والأحوال .

فبروح المسيحية الحقة ، أناشدكم يا معشر الأقباط ، أن تتقوا الله فى كنيستكم ، وفى عقائدكم واعملوا فقط لمصلحة الكنيسة ولمصلحة الشعب ، ولا تبتغوا أى مصلحة أخرى . لا تخلطوا بين الامتيازات والعقائد ، ولا بين الحقوق التاريخية القائمة منذ فجر التاريخ ، وبين ما تسمونه منحاً وامتيازات جاد الزمن بها علينا .

وكذا ، المجمع المقدس ، عليه أن يعلن قراراته فى هذا الشأن ، ويتمسك بها إلى النهاية ، فهو الهيئة العليا المدبرة لشئون الكنيسة ، وليعلم جيداً ، أن المجلس الملى ، يريد أن يعلن تشريعاً مخالفاً للوضع السليم للكنيسة ، والمنطق المعقول لمبادئ فادينا الحبيب ورسله الأطهار . فهو لا يخلو من مآخذ ، يجب الالتفات إليها والعمل على تصحيحها وتحطيمها .

توحيد الصفوف

لقد كثر الكلام بين الهيئات القبطية ، حول الإنشاء ، والتطهير ، والإصلاح ، وكذلك حول التشريعات الجديدة التى تحل محل اللوائح الحاضرة حتى تساير الزمن الذى تعيش فيه . وهذه بادرة من بوادر الوعى القبطى ، ويقظة ، يتجلى طابعها كل يوم فى أروع الصور ، وأسمى المظاهر الجميلة ، يتجلى كل هذا بينما القلوب مشتتة ، والأهواء مختلفة ، والتيارات متباينة . الأمر الذى يؤسف له ، كأننا لسنا أبناء أمة واحدة ، ولسنا شعب كنيسة واحدة ، جامعة ، ذات تاريخ عريق ، منذ القدم ، بل أضحى أن لكل منا مطالب وأهداف خاصة ، يسعى إليها من طريق خاص .

فالإصلاح فى صورته الصادقة ، ووجهه الصحيح ، هو كأحسن عمل ، تحيطه الطهارة ، والكرامة ، والعمل المنتج بنية خالصة ، لوجه الله ، والكنيسة ، والأمة . ويمكن القيام به والقلوب ملؤها الطهارة والإخلاص ، والضمائر عامرة سليمة والجو صفواً مهيئاً لكل أسباب التقدم ، والبذل ، والتضحية ، وتبادل الآراء ، والأخذ بالمشورة النافعة .

فلو اتحدت القلوب ، وتجمعت الآراء ، وسادت روح المحبة بين الرؤساء والمرؤوسين ، لتحطمت هذه الأمور على صخرة التضامن والعمل المجدى ، وصارت نفاية بالنسبة إلى الأمور الجوهرية ، التى اختفت لنفور قلوبنا وعدم اتحادنا ، وتشتيت كلمتنا . فلو علم كل منا ، بأن عليه رقيباً يحاسبه على كل دقيقة أضاعها ، دون أن يظهر فيها عملا يعود على الأمة بالرقى والنجاح ، لما تلاعب بالأيام وصرفها فى أمور غير مجدية ومقوضة لأركان الدين ، وأصبحت عاراً للمجتمع الذى تربى فيه . فويل للأمة التى زال من قلوب أبنائها حبها ، ويا لتعاسة الأمة التى لم يبذل رجالها ، ما فى وسعهم لرفعة شأنها .

إن الإصلاح ليس هو كلمات تتشدق بها الألسن ، ولا هو مقالات رنانة تنشرها الصحف ، ولا تعبيرات تكال بغير حساب من فئة ، ليس لها شغل شاغل ، إلا المشاغبات والمهاترات ، والوعيد والتهديد ، والتشهير والانتقام ، والمساس بكرامة أناس معينين ، لهم عند الناس مكانهم من الاعتبار والتقدير .

فيا قوم مجّدوا الله بأعمالكم ، وقدّسوه بأوقاتكم ، وسبحوه بألفاظكم ، التى جرحتم بها شخصيات أمتكم التى نحن أحوج الناس إليها فى أيامنا هذه . أيام الجهاد والتبريز ، أيام اليقظة والعمل ، والنشاط ، حتى نجارى الأمم فى رقيها ، ونجاحها ، وصولة مجدها ، التى اكتسبته ، وحرصت عليه ، برقى أخلاق أبنائها ، ونبذ البغضاء من قلوب رجالها ، والبعد كل البعد ، عن الشحناء ، والتمسك بالاتحاد الشامل ، اتحاد الآباء بالأبناء ، واتحاد الشيوخ بالشبان ، اتحاد الفرد بالجماعة ، فالاتحاد هو سلاحنا وقوتنا التى نستعين بها بعد قوة الله التى لا تقهر .

وبكل صراحة ، أقولها كلمة ، لا لبس فيها ، ولا إبهام ، ولا غموض . كلمة أقولها للداعين إلى الإصلاح والتطهير . إنه قبل كل شىء : يجب أن نعمل على تطهير النفوس ، والقلوب ، والألسنة ، والأقلام . وبعد ذلك تتخذ الخطة الحاسمة ، والإجراءات الكفيلة بتوحيد الصفوف ، وجمع القلوب المتنافرة ، لكثرة ما ترتب من سوء التفاهم وعدم التقدير .

فإننا ، إذا حققنا ذلك ، نكون قد برهنا على أننا شعب نبيل ، عريق ، مشهور بالذكاء ، والحكمة ، وبعد النظر . بهذا وحده تتجه النيات خالصة ، نحو الإصلاح ، والتطهير ، وتنطلق الصفوف الموحدة ، والجهود الجبارة للتجديد ، والتعمير ، والإنشاء ، على شرط أن يكون كل هذا ، تحت قيادة واحدة ، هى القيادة الروحية ، التى أجمع الكل على تأييدها واحترامها بالاتفاق مع بعض الأراخنة المشهود لهم بالتقوى ، والورع ، والإخلاص .

لهذا ، فإنه يجب أن يدرك الأقباط جميعاً ، أن أجلّ خدمة ، تقدّم للأمة ، إنما هى زيادة الاحترام للرياسة الدينية ، وإفساح ميدان العمل ، واستخدام ما لدينا ، من وسائل تشريعية فى سبيل تسهيل القيام بالمشروعات الإنتاجية ، وتشجيع المقدمين عليها . لأن فى إغفال هذه العوامل ، إغفال لأبسط القواعد الإصلاحية التى عرفتها الأمم الأخرى منذ زمن طويل ؛ فلها الآن نهضة شاملة لكل مرافقها ، وامتيازات اجتماعية وثقافية ، واقتصادية ، استوعبت أفكار رجال العقل والتمييز .

طريق شائكة

أخذت الطائفة القبطية تتحدث عن النهضة الشاملة لجميع مرافقها ، وتبدى شديد حرصها على تقويتها ، وتدعيمها ، وهذا دليل على أن الشعب القبطى لا يشعر بأهمية الشىء إلا عند ما يصبح على وشك الزوال ، أو يتعرض للضياع .

ولم يكن الحديث قاصراً على مسألة معينة ، لكنه بحث للحالة العامة من جميع نواحيها ، قبل أن تقع الأزمة الأخيرة ، إلى جانب ما سيكون لها من أثر كبير ، فى النواحى الاجتماعية ، والثقافية ، والروحية . فأصحاب الرأى بيننا يرتابون فى فائدة النهضة القبطية ، شأنهم شأن من لا يعمل لنفسه ما يكفل انتعاش حالته الاقتصادية ، إلى حد القول ، بأن عدمها ، ووجودها يستويان ، وأن ما ينفق عليها ، ينفق هدراً دون نتيجة مرجوة ، أو خير منتظر .

هذا : ولست أذيع سراً ، إن قلت أن فريقاً من الأقباط يسائلون أنفسهم عن فائدة هذه النهضة ، ولكننى أعتقد بل تيقنت جيداً أن الشعب القبطى قد استيقظ وعيه ، واتحدت كلمته ، على الذود عن هذه النهضة الشاملة ، وأيقن المتشككون أن فائدتها أضحت ضرورية ، سيما بعد النكبة التى حلت بنا أخيراً ، واتضح لهم جيداً أن تنفيذ هذه المشروعات سيكون عاجلا لأنها تهدف إلى رفع مستوى الأمة القبطية التى ستكون فى القريب العاجل مركزاً لأهم نواحى النشاط المختلفة .

ولن يتحقق ذلك إلا بتيسير ما يبعث الأمل فى النفوس باستيضاح وجهات النظر فى وسائل النهوض بهذه الأمة ، وتمكينها من مسايرة التطور فى هذا العهد الذى نحن فيه . إذاً ، فالواجب يقتضينا أن نعمل من جانبنا على استغلال جميع الإمكانيات التى تؤدى إلى هذا الغرض ، دون التقيد

بالروتين . فنحن جميعاً كأقباط يقتضينا شعورنا وإحساسنا ، أن نقف موقفاً منها من الناحية العملية ، فضلا عن أنها تؤدى إلى التخلى عن فكرة الاستقلال تؤمن بصوابه . كما أننا نؤمن أن التقيد بالروتين ، لهو سياسة لا جدوى بالرأى ، وتنطوى على إهدار الشخصية ، والسير وراء تبعية ، لا خير لنا فيها .

وأنا لست بمؤيد وجهة نظر الأقباط فى مسألة الخلاف الحالى القائم بين الرؤساء والمرؤوسين ، إذ أنه لا فائدة من ذلك ، ما دام سوس الخلاف ينخر فينا ، أو على الأصح ، إذا كان الشعب القبطى من رئيس ومرؤوسين يريد أن يسير فى شوط الخلاف إلى آخره . فهذا ، معناه أن أسطول الإصلاح لن يصل أبداً إلى مرساه ، بينما تسير الأمم نحو التقدم لاتباعها سياسة الصراحة ، والحسم ، لا سياسة المسكنات التى لا تفيد شيئاً ، ولن تكون سوى مسكناً وقتياً لا قيمة له ، كما إننى أرى كل الذين ينادون بالإصلاح ، يسيرون وفق هواهم ، ويقولون ما ليس فى قلوبهم ، ويصرحون بكلام ، ويأتون أفعالا تناقض هذا الكلام ، الذى لا جدوى منه ، لأنه مجرد كلام لا يذكر إلا فى صفحات الروتين ، أو فى الخطب والتصريحات . فخير لنا إذاً ، أن نترك الإصلاح وشأنه ، ما دمنا نعتبره كلاماً لا مدلول له بين أربعة مليون قبطى .

إننى أعتقد أن كلامى هذا يمكن أن يكون له من قوة المنطق وصراحة الصدق وحسم التصرف ما يوحى إلى ساسة الطائفة القبطية أن ينصتوا إليها ، مع تقدير الموقف ، لإنتهاج سياسة أصيلة ، تمثل مصالح الشعب أصدق تمثيل ، بدافع الحرص على المبادىء السليمة التى ينفذ منها ما يتفق ومصالح الشعب كما أننا فى نفس الوقت فى حاجة إلى العمل على بلوغ أقصى حد لتقوية روحه المعنوية بوعى وتفكير ، وتضحيات طويلة ، لأن المرحلة طويلة ، والطريق شاق .

نعم ، قد يخطىء من يظن أن الطريق لبلوغ الإصلاح سهل ميسور ، أو قريب المنال قصير ، وأنه مأرب حلو المذاق ، شهى الطعم . كلا ، بل هو حتى تحيطه أشواك من الداخل والخارج ...

ولست أغالى ، إذا قلت ، أن الإصلاح معركة شاقة ، طويلة الأمد ، تحتاج إلى جهود أبناء الأقباط ، وفى طليعتهم رجال الدين ، لما اتصفوا به من الطهر ، والإيمان ، وقوة الإرادة ، للعمل بجد ، وإخلاص ، وتفان ، وإتقان ، فى سبيل خدمة الأمة القبطية فى مختلف ميادين الحياة ، التى تخصصوا فيها . فالنهضة إنما تقوم على العلم ، والبحث ، والفن ، كما تقوم على الإيمان ، والتربية الحقة ، والأخلاق السامية الكريمة .

بهذا فقط ، يتاح للأقباط ، أن تنتصر فى معركة الإصلاح ، فتؤتى هذه الحركة ثمارها كاملة .

واجباتنا نحو الأمة

الكل يعلم أن طائفتنا القبطية فى أشد الاحتياج إلى إناس عاملين ، يتسمون بالعلم النزيه ، والبحث النافع ، والفن المتين ، والإيمان القوى بالله عزّ وجل . مبادءهم الطهر ، وقوة الإرادة ، اللتين هما أسس النهضة ، كما أن العلم فيه سر النجاح ، ومقياس الحكمة ، ومصدر الحسم ، ودليل اليقظة والجد ، وباعث الإثمار والإنتاج .

وقد كذب من قال : إن السبب فى تقدم الأمم ، هو الأسلحة ، والمدافع الرشاشة ، بل السر الوحيد لنجاحهم هو العلم ، الذى أظهر الحرية ، والكرامة ، والعزة ، والعدالة ، والنظام الذى بدونه لن تكون الأمة منتظمة الأعمال .

وليعلم الجميع ، أنه ما من شىء أفسد أحوال الطائفة القبطية ، إلا الفوضى ، والإهمال ، وسوء التدبير ، وقلة الدراية ، وعدم الحكمة ، والتراخى الواضح فى إنجاز الأعمال ، والسبات العميق ، وإغماض العيون ، عن التصرفات السيئة .

فالواجب إذاً ، هو أن نعمل فى طريق الإصلاح ، الذى يهدف إلى بناء الأمة ، بناء شامخاً ، منيع الجانب ، قوى الأركان ، عزيز المنال ، ولنعلم تمام العلم ، أنه ما من شىء يحقق النصر ، فى هذه المعركة ، إلا : جهاد النفس ، والانصراف إلى العمل ، وبناء الروح ، والفكر ، والجسم ، فى ميدان المكافحة ضد عناصر الشر ، التى تآمرت على سلامة الشعور ، والإحساس ، وقوضت من بنيانه .

فللطائفة القبطية إذاً دين علينا ، يجب أن نذكره ، إذ أتيحت لنا

فرصة ثقافية عالية ، وقد أصبح على كل منا ضريبة يؤديها فى سبيل رفعة هذه الأمة والعلو من شأنها . وأن يبذل لأجلها من نفسه ، ووقته ، وجهده ، ما يسعه البذل فى سبيل تسوية بعض المشاكل ، التى تهدف إلى حفظ السلم ، وتوثيق علاقات الود بين جميع طبقات الشعب ، واحترام العوامل التى نستعرض بها المبادىء اللامعة ، وما أصابت من أهداف كريمة ، فى ميدان البذل والجهاد . والعمل على ما يكفل تحقيق الرسالة السامية التى تستطيع جميع الهيئات القبطية ، تأديتها بوحى من ضميرها الحى ، غير متأثرة فى ذلك بأى ضغط خارجى ، لأن التطور الاجتماعى سيقودنا إلى ذلك حتما .

إلا أننا ، كثيراً ما نفاجأ بسلسلة من التأجيلات ، كتلك التى تحدث فى القضايا التى تنظر أمام المحاكم ، وقد كنت أود أن لا يحدث هذا ، بين المسئولين ، الذين كان يجب عليهم ، أن ينطقوا بما تجيش به قلوب أبناء الطائفة القبطية ، الذين تسود علاقات الصداقة بينهم ، وقد أتاح لهم اتحادهم ، الفرصة لتبادل وجهات النظر ، فى مختلف المشكلات ، التى تمس مصالحهم بوجه خاص .

ولست أذهب مع آمال كاذبة إذا قلت ، إنه قد لوحظ بمزيد الغبطة ، أن العلاقات بين الشعب القبطى تزداد توثقاً ، وقد بدأ كل واحد يشعر فى نفس الوقت ، بأنه من الواجب أن تكون علاقاتنا متينة ، على أساس من الثقة والتسامح ، والرفق واللين ، ويقدر كل منا مصالح الآخرين . لأن العقل ، والجهد الفردى يجب أن يظهرا فى ميدان التعب ، فإن عليهما يتوقف إصلاحنا وأملنا فى المستقبل ، إذ أن المجال أمامهما فسيح إلى أبعد مدى .

ويوم أن ينطلق العقل القبطى ، وتتاح للنشاط الفردى ، فرص العمل والتقدم ، يوم أن تبلغ هذه الأمة القبطية غاية ما ترجوه من إصلاح ورخاء وحرية وإيمان بالنجاح . لأن الامكانيات المالية تتيح له — متى تجمعت —

الأخلاق ، والسياسة الحكيمة ، والمبادىء النزيهة ، أن تدبر شئونها بثقة واحترام وإعجاب .

فلا يسعنا والحالة هذه ، إلا أن نصغى إلى الذين لهم عقلية نيرة ، وننظر لهم كطلائع للمستقبل المنشود ، حينما يكثر عددهم بل يجب علينا أن ننظر لهم كدافع إلى العمل ، وحافز على المنافسة الشريفة . فبهذا تتحرر من مواطن الحقد ، والكراهية للناجحين . ولنعلم أن هذا النجاح أو هذه الثروة لم تهبط عليهم ، إلا بفضل هذا المجتمع ، الذى أتاح لهم الفرصة للعمل والكسب وأثار فى قلوبهم الرغبة إلى نهضة أمتهم العريقة ، والمساهمة فى بناء نهضة تنسجم مع مقتضيات الحياة الجديدة الواقعية .

ومن الخطأ ، أن يحسب أفراد الطائفة القبطية ، أن وجود الأثرياء الموفقين فى أعمالهم، شىء غير مستحب ، أو شىء لا بد أن يثير الحقد . فنحن نتمنى أن يجىء اليوم الذى يصبح فيه جميع الناس موفقين فى أعمالهم . إنما الذى يثير الحقد ، هو أن يتسلق فريق على جهد الآخرين ، ويسعد فى غفلتهم . وقديماً عاش هذا الشعب فترة من الوقت ، شاعراً بالفروق الكبيرة ، غير العادلة بين بعضه والبعض الآخر .

واليوم ، نشعر بأن هذه الفوارق قد خفت إلى حد كبير ، إلا أن آثار هذا الشعور القديم لا تزال باقية ، بل لعلها زادت فى بعض النفوس كرد فعل للعهود الماضية ، ولكنها سترتد حتما إلى نوع من الثقة ، والتسامح ، والاقرار للناجحين بحقهم فى النجاح ، لمباشرة حقهم فى الدفاع عن مركزهم فى أى وقت يلمسون فيه ، أنه يهدف إلى استتباب الأمن والسلام فى ربوع الأمة القبطية .

ويجب ألا يفوتنى وأنا بصدد البحث فى هذا الأمر ، أن أنوه بأن نظام المجلس الملى العام ، لا يتفق وواقع الحال ، فهو مضيعة للوقت على الحكومة خاصة ، والشعب القبطى عامة ، وذلك أنه فى إطالة المناقشات ، وتكرير

الأحاديث والخطب ومطالبة الحكومة باتيان المعجزات وتحويل أوقاف الأديرة إلى وقف للبطريركية ، لهو تحصيل حاصل ، وشلل لهذه الأمة ، وبهذا أكون قد استطعت أن أحول الحديث من الوضع الداخلي إلى الوضع الخارجي ، وما نحن عليه الآن من حملات وانتقادات وكان من الواجب أن نوجهها إلى الخير ، لا إلى ما هي عليه الآن .

الاتحاد قوة

ما من شك أن الطائفة القبطيه ، تجتاز مرحلة حاسمة من تاريخها ، لتحقيق هذه النهضة المرجوة التي تتمثل فيها مقومات الحياة الثقافية ، واتصالها الوثيق بالإتجاهات الحديثة ، وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع ، والأمة التي وجهت أنظارها الآن توجيهاً مقصوداً مستمراً نحو أهدافها ، مسترشدة بالنتائج التي هدى إليها التعليم الذى نهض بأخطر الأعباء في أدق المراحل بين الأمم الراقية التي أصغت إلى ما ألقى عليها من بحوث ودراسات عملية . وقد نشرت هذه البحوث في كتب مستقلة حرصاً عليها ألا تكون مجرد كلام يقال ، أو حفلات تقام ، ثم يتفرق الجمع ، وينفض السامر .

فعلى الأقباط جميعاً أن يوحدوا كلمتهم ، لتدعيم السلام الذى هو عنوان المدنية الحديثة التي تحتم علينا أن نجتاز القرون في سنوات ونلحق بمن سبقونا في النهضات ، ليكون لنا مستوى أرفع وحياة أكرم ، بدلا من المناقشات الحامية ، والمجادلات الغير مجدية ، التي عجز أصحابها عن معالجة المشكلات الداخلية قبل غيرها . لأنها أهم عامل في الوقت الحاضر ، لبحث الوسائل الكفيلة بوضع نظام يعرفنا أن الفرد هو المحور الرئيسى للمجتمع ، وأن روابط المحبة بين أفراد الشعب ، هي نعمة كبرى ، تحجب كل ما عداها من دعائم غير ثابتة على سياسة عملية ومثالية معاً .

وهذه حالتنا الداخلية ما برحت في حاجة إلى مزيد من الاستقرار ، والعمل على رفع الغموض وتذليل كل ما يقف حائلا أمام المشروعات الحيوية ، وتبسيط إجراءات الفحص عن الاعتبارات الإنسانية أولا ، وعن الاعتبارات النفسية والمعنوية ، ثانياً ، كل هذا ، يجب أن نراعيه قبل أن يكون للاعتبارات السياسة الشأن المباشر فيها . لأن الطائفة القبطية

اليوم فى مسيس الحاجة إلى تنظيف أركانها ، وتوطيد دعائم الاستقرار . وليسمع ويشعر الجميع ، بأن العمل الذى يتم ، دون ابتغاء مصلحة ذاتية ، لهو متعة للذهن . وأن الأمانة الكبرى الملقاة على كاهل الإنسان ، والذى يجب أن يؤمن بها ، لهى أولى المبادىء التى يستطيع بها أن يظهر فرديته ، فى سبيل السمو بالمجموع .

هذه المبادىء وحدها ، كفيلة بأن تقودنا إلى ما تصبو إليه أنفسنا من خير . وليس معنى التجرد هو أن ننعزل عن العالم ، وإنما التجرد الحقيقى ، معناه قهر النفس ، والسيطرة عليها ، لنعيش فى سلام مع أنفسنا أولا ومع سائر إخوتنا ثانياً لأننا لما ندرك هذه المبادىء ، تتحرك مشاعرنا نحو نبل الأخلاق وتسوية الخلافات ، وتوحيد الصفوف ، وإظهار الحنكة ، والشجاعة والصبر . بهذا كله ، نستطيع أن نجعل من اتحادنا ، سلاحاً فعالا ، نجتاز به كل العقبات ، ونزيل بواسطته من طريقنا كل الأشواك ، ونخلق من ضعفنا قوة ، وإدراكا ، وحزماً . ونكون بذلك قد وصلنا إلى تحقيق أهدافنا فى أقرب وقت ، وبأقل التضحيات .

وصفوة القول ، أن الحل المرتقب لكل مشاكلنا ، رهن بتغيير الجو ، أو تغيير المواقف ، وأنه لايمكن الحصول على نهضة مستفيضة ، إلا إذا أدرك قادة الشعب القبطى ، تلك الأسس النفيسة السابقة ، وتجنب النطق بعبارات الانتقام ، والطعن فى بعض الشخصيات . بهذا وحده ، يتم التوفيق ، وتتجدد العزائم ، ويقوى الإيمان الذى يدفعنا إلى التضحية ، حتى نصل إلى ما نرجوه لهذا الشعب الذى تنازعته الأحقاد والضغائن ، والذى تحيطه ساسة ، مبدؤهم استبدال الحماسة بالمخاشنة ، والهدوء بالحماسة الجوفاء ، والنشاط بالركود والكسل .

إذاً ، فليسعى كل منا إلى حل هذه المشكلة بل المشكلات ، بكل ما أوتى من حكمة ، حتى نبلغ هذا السلام الدائم ، ونرفع أعباء المخاوف عن كواهل

هذا الشعب ، الذى يريد أن يؤمن بأن النهضة الشاملة لكل مرافقه ، ليست حبراً على ورق ، أو كلاماً تتشدق به الألسن ، إنما هى حقائق ثابتة ، تبهر الناظر اليها ، وتجعله يؤمن بأن الأعمال الفاضلة أمر طبيعى ، وأن الخير بمعناه الحديث لهو الأمر غير العادى .

وجلى ، أنه لايكفى فى حاضرنا هذا ، أن نبنى مستقبلنا على مبادىء أساسية كبرى فحسب ، بل يجب أن نعمل أيضاً على تقويتها والدفاع عنها وإزالة العقبات التى تعترض تحقيقها ، نبذل فى سبيل ذلك ما أوتينا من جهود ، فى أناة ، وصمت ، ولا بد أن يكفل الإيمان نجاحها ، هذا فضلا عن مواصلة الجهود ، للتفاهم مع بعضنا بطريقة يطمئن لها الشعب كله ، ويؤمن أنها ستكون موضع الاحترام والتقدير ، وأنها ستزيل التوتر بين الآباء والأبناء ، ويحل محله الطاعة والمحبة التى تربط الطرفين ، وتوثق بينهما ، كما أن لى وطيد الأمل فى أن يحاول كل من يعنيهم الأمر ، وقف المهاترات وكتابة المقالات الاستفزازية التى لن ترجى منها فائدة ، فبذلك فقط ، ينجلى الموقف ، وتقل خطورة الحوادث التى قد تؤدى إلى عواقب وخيمة .

وكم يكون سرورى عظيما ، عند ما يتحلى الساسة الأقباط ، بالروح التى تدفعهم نحو الكمال ، وإجادة الرأى ، ناظرين إلى النهوض بالأمة ، وخلق جيل من الشبان ، يهتدون بالتعاليم الكريمة التى رسمها السيد المسيح ، مبدؤهم أن النتائج لاتبهرنا ، بقدر ما يبهرنا السبيل القويم الذى نسلكه نحن الآن ، وأحفادنا من بعدنا ، عاملين على نشر الفضيلة فى جميع صفوفنا حتى يمارسها كل فرد من أبناء الشعب . الذى لا بد له أن يؤمن ، أنه لن تقف فى سبيل تحقيق أمنياته أية عوائق ، إذ أن جميع الإمكانيات لفى خدمته ، وليكن فى علم كل فرد من أبناء كنيستى ، أن أهم ما يعنينى هو : تخلق الشاب القبطى بالخلق الكريم ، وليس لمنزلته العلمية نفس المقياس الذى أعتد به ، وأطالب الجميع بالتحلى به .

سلطان الكنيسة

إن الانحراف عن السبل القويمة التى رسمها الله ، لهو امتهان للإنسانية ، وإهدار للكرامة ، وإذلال للنفس ، واستهتار بمعانى الفضيلة ، بل لهو بعد عن الرغبة فى الصلاح ، وحقد على الحياة والأحياء . لأنه من المؤكد أن تيارات الانحراف أخذت تسرى فى وسط فئة من الشعب ، سيظهر أثرها فى وقت قريب ، إن لم يكن الآن . وقد أضحى الموقف قائماً على الانفصال العقلى الذى نلمس أثره العميق بيننا ، ولا نقف له على نهاية . ومن المخزى حقاً ، أن نرى أناساً لم يشعروا بإنسانيتهم ، ويحسوا بوجودهم ، ويعملوا على إصلاح نفوسهم بمقومات هذه المعانى الكريمة ، التى تردّ لكل واحد اعتباره ، وتجعله يشعر أنه ليس منفصلا عن الإنسانية الراقية ، المتحدة الجانب ، الماضية العزيمة فى السير نحو الطريق القويم ، بالاحتفاظ باستقلالها الفكرى ، والبعد عن الاتجاهات المتناقضة .

أجل ، إن الاتجاهات المتناقضة ، آخذة فى سيرها الحثيث . إذ نرى بعضاً من أبناء شعبنا المحبوب يقرر الإصلاح ، والبعض الآخر يتردد ويخاف ، بل إن هناك فريقاً ثالثاً ، لا يستطيع أن ينفذ شيئاً ، إن لم يحظ بإقرار عام .

هذا ، وبينما نرى الشعوب تتجه اتجاهاً واضحاً ، بسياسة غير منفصلة عن القيادة الروحية ، نرى بين الأقباط أناساً يسيرون فى السياسة التى يرونها دون اعتبار للكنيسة ، وما لها من سلطان قوى يتفق وإرادة الشعب ، الذى يجب الأخذ برأيه ، وأن نقيم وزناً لاتجاهاته التى لا يمكن استمرارها دون أن تكون متفقة وسياسة الكنيسة الرشيدة ، البعيدة عن الظنون والخديعة السيئة .

ولقد يخطىء من يهمل شان الكنيسة ، ويحسب أن قوتها ليست مما يُحسب لها حساب ، فلا يعنى برأيها ولا يقيم لها وزناً ، بل يسىء إليها وإلى سياستها الحكيمة ، التى لا يمكن أن تتخلى عن بسط إرادتها مهما يطل الوقت ، ومهما تتكاتف القوى البشرية ، فإنها تندفع فى ارتباطات مقدسة واجبة الرعاية فى كل شىء ، فإن رعايتها أوجب فى القرارات التى يجب على الشعب أن ينفذها ويقرها ، ويضعها موضع التقدير والاحترام ، ولسنا فى حاجة إلى ضرب الأمثلة ، فإن تاريخ الكنيسة يستطيع أن يعرفنا مواطن الضعف المتفشية فى الشعب القبطى مقابل قوة الكنيسة التى لا تقهر ولا تنهزم .

وإننى لكبير الأمل ، فى أن الشعب القبطى ، يصوب كل اتجاهاته نحو الكنيسة التى تتفق إرادتها مع إرادته ، وليست مختلفة معه فى شىء ، وأن يكف عن هذا الظن ، لأنه ظن خادع ، وهو جدير أن يسىء إليها ، وإلى عقيدتها ويجعلها تندفع فى ارتباكات ، حتى إذا جاء الوقت ووضح البرهان ، ندم كل من انخدع بالمظاهر الملية ، وأخذت بلبه نتائجها السيئة ، التى لا سند لها ولا اعتبار . ولست فى حاجة إلى التنويه ، فإن الحكومة الرشيدة والأمة القبطية ، بل كل العالم شرقاً وغرباً ، شمالا وجنوباً ، يعرفون أن سياسة المجلس الملى ، كثيرة الخطوات ، متناقضة الاتجاهات ، وقد أخذ الشعب القبطى يعرف أن اتجاهات المجلس باءت بالفشل والخيبة ، لأنها متناقضة مع اتجاهات الكنيسة .

وهذه حقيقة يجب أن تثبت أمام أذهان حكومة الجمهورية المصرية ، وأمام أذهان الأمة القبطية ، بل فى أنحاء الكرازة المرقسية ، إن الكنيسة أدوم وأبق ، وقد وضح أنها لا تقر سياسة مقصودة غير قابلة للتنفيذ كما يجب ، ما لم يشترك الشعب فى تنفيذها وإقرارها ، لأن إرادة الشعب واجبة الرعاية فى كل شىء ، بدون زلفى أو مجاملة ، لأن المجاملة ، لا تأييد لها ولا قيمة ولا

اعتبار ، لأنها سياسة غير مقبولة ، وأنها تتلاشى أمام سياسة إرضاء الشعب والاعتماد عليه بعد الله .

فسياسة الكنيسة تتجه نحو العمل الصالح مع التمسك بالحزم مع الذين لا يريدون أن يتعلموا وينصلح حالهم ، وتهدف إلى معاملة الضعفاء المعوزين ، معاملة إنسانية كى لا يعيشوا مثقلى الضمير ، فاقدى الوعى ، بلداء الحس ، لأن الكنيسة يتفرع منها جملة مؤسسات إصلاحية ، فمنها مصحات للنفوس العليلة ، ومدارس للعقول الجاهلة البليدة ، ومؤسسات إصلاح وتأديب وتهذيب ، لتعيد الحياة الكريمة ، لمن تطهرت نفوسهم بالتوبة ، وأتيحت لهم الفرص ، وثبتوا على خطوات الإصلاح ، بدون ضجة وبعمل شريف ، وعلموا أن الطريق إلى الإصلاح ميسور إذا بادلوا الكنيسة الثقة وحسن الظن .

لأن الكنيسة منذ تأسيسها ، وهى فى طريق التقدم والنجاح ، وفى سبيل أخذ مكانتها بين كنائس الأمم شرقاً وغرباً ، غير ناظرة إلى ما ينتابها من قيود ، على أساس من الثقة ، التى بها ثارت وما زالت تثور ، لتحرير أبنائها بخطوة جريئة ، غير متعثرة نحو سياسة الإنشاء ، والبناء ، والتعمير ، والتثقيف ، لتتحطم قيود الجهل ، وتتحرر الأفكار من عوامل التقيد إلى الشعور بالحرية ، ليتحول الفرد إلى العمل لخدمة الأمة فى شتى مرافقها ومصالحها العليا لتسير فى تقدمها ، طبقاً لسياستها التى كانت عليها منذ العصور الأولى ، وهى سياسة تؤمن بالفرد ، وبالفضيلة ، والقيم الإنسانية ، وتؤمن أيضاً بالإصلاح الذى هو حل لكل مشاكل الأمة القبطية .

إلا أنه لا يمكن لمشكلة الإصلاح أن تسوى ، إلا بإجراء مباحثات سرية مع من يهمهم الأمر دون غيرهم ، لأنهم أولياء الأمر الشرعيين ، عندئذ ، يهدأ السبيل لحل المشاكل الباقية المتعلقة بالمستقبل ، لأنه من الواضح ،

أن تسوية المشاكل عامة هى ، نتائج الهدوء ، والسكينة ، والاحترام ، والطاعة ، والروح المسيحية ، التى لا تتفق مع روح التمرد ، والعصيان ، وتعريض الشرف إلى التجريح والمهاترات ، ونشر ما لا يكون فى الحسبان على صفحات الجرائد المستهترة ، التى يرضها نشر الأدب ، والثقافة الدينية على صفحاتها .

عوامل رقى الامم

من حقنا أن نبحث اليوم ، عن العوامل التى نقيس بها الرقى فى شعب واحد مقارنين بين أمسه ويومه . الغرض من ذلك هو الذود عن كيانه ومستقبله وإتاحة الفرصة للإجابة ، إذا سؤلنا هل أمسه خير من يومه ؟ أم يومه ، خير من أمسه ، أكان بالأمس خيراً منه اليوم ... أم هو خير من أمسه ... فأى النواحى نرعاها عند النظر ؟ والحق إنه سؤال فى منتهى الصعوبة يحار المجيب عنه ، أى العوامل يحسبها وأيها يذكرها ، بل أيها أثره أقوى ، وأيها أثره أضعف .

حقاً : إن الوعى القبطى قد اضمحل ، فما هى الوسيلة الفعالة لخلق وعى قبطى جديد لا شائبة فيه ؟ قد تكون الإجابة على هـذه الأسئلة سهلة بل قد تكون من طرف اللسان ، بينما القلب ينفطر أسى وحزناً حينما تكون إجابتنا بعكس موقفنا الآن ، وتكون مرآة تعكس علينا ما يجعلنا فى ذهول عندما نعلم أن مقياس الرقى فى الشعوب هو « الأخلاق » ، وتجنب الأحقاد والنزوات والشهوات الشخصية ، ومحبة الذات ، وحب الرئاسة ، والتنافس على الزعامات ، إلا أن كل عصر له أخلاق يتطلبها ، وواجبات ينشدها ، وما علينا الآن من واجبات أضعاف ما كان على أجدادنا منها ، وقد أبديت رأيى فى الاصلاح الشامل فى غير هذا المكان ، وقد أمكننى أن أقول والأسى يملأ نفسى ويحز فيها ، أن الوعى القبطى قد اضمحل حقيقة ، فالأموال مبددة والاصلاح معدوم ، والكرامة مهدورة ، ولا أدرى بعد ذلك إلى أين المصير إذا استمر الحال على هـذه الحالة ، التى تتطلب رجالا من ذوى الكفايات ، مشهود لهم بالثقة والهمة والتضحية فى سبيل الصالح العام بكل معانى الكلمة ، لا يفخرون بالجلوس على الكراسى ، لتسير القافلة إلى الاصلاح الصحيح .

أما إذا لم نجد من يتقدم لخدمة أمته ، خدمة مجردة من الغاية ، وما لم نجد مجلساً يمثل الشعب تمثيلا صحيحاً ، ويقوده أفراد صالحون لخير أمتهم ، فإنى أخشى أن أقول إن الجو ملبد بسحاب مظلم ، والمستقبل مجهول لا نعرف ماذا يكون ؟ بل إن المستقبل لا يجب أن يأتى والثوب عتيق ، فالترقيع فيه لا يجدى فائدة حيث أن تمزيقه سريع لأنه بال ...

إن هذه أسئلة ، أعتقد أنها متى حددت لم تكن الإجابة عليها عسيرة ، وأمتنا تعيش على معرفة مقدار الرقى ، أو الانحطاط فى الأمة القبطية ، وكلها تتفاعل تفاعلا قوياً ، يؤثر قويها فى ضعيفها ، وضعيفها فى قويها ، وهذا التغيير الدائم فى كل هذه المرافق هو مقياس الرقى والانحطاط ، فإن كان تغيراً إلى سمو فرقى ، وإن كان تغيراً إلى تدهور فانحطاط ، لأن قوماً يقيسون الرقى فى الشعب القبطى بإقباله على إنشاء الكنائس وتزيينها والإقبال عليها ، مع أن الدين لا يضيق إلى هذا الحد ، بل إنه يتسع حتى يشمل كل شىء .

ومما يتصل بهذا الأمر بعد دراسة نواحى هـذا الموضوع ، يحق لنا أن نتساءل ، أين نحن من أمسنا ... وإلى أى مدى تقهقرنا إلى الوراء وقفزنا فى بئر عميق ، بينما هناك مناحٍ للحياة مختلفة متعددة ، يجب أن ينظر إليها كلها ، لتقويم الرقى .

فعند كل شعب مجموعة من المرافق يعد كل مرفق منها كالخلية فى الجسم الحى ، من رئاسة ، وهيئة نيابية ، وتعليم ، ولغة ، ودين ، وأسرة ، ونحو ذلك وكلها تتغير ، وكلها ترقى أو تنحط ، وكلها فى حركة مستمرة دائماً ، إما إلى الأمام ، وإما إلى الخلف . ومن ناحية أخرى ، ربما عد من أكبر دلائل الرقى فى أمة من الأمم ، وتذليل العقبات أمام الكفايات . فيمكن أن يصل كل فرد إلى المناصب بذكائه ومواهبه ، وربما كان كذلك من أهم دلائل الرقى . أنظر إلى ثروة الأقباط ، ومقدار ما يصرف منها على الصالح العام ، من كنائس ومدارس وملاجىء ومؤسسات ونحو ذلك ، ولست

أعنى النظر إلى كمية ما يصرف فحسب ، ولكن أعنى أيضاً طريقة الصرف ، وهل أنفق هذا القدر فى أحسن السبل ، وهل هناك وجه آخر خير منه ؟

كذلك لست أعنى ما ينفق فى ذلك من أموال الأوقاف التابعة للأديرة والدار البطريركية والمجالس الملية فقط ، ولكنى أعنى أيضاً مقدار شعور الأفراد فى هذا الباب ، ومقدار ما يتبرعون من أموالهم لهذا الصالح العام ، والأمة التى لا يشعر أغنياؤها بواجب فى أموالهم لفقرائها أو يشعرون شعوراً ضعيفاً ، لا يقوى على استخراج المال من جيوبهم ، أمة منحطة إذا قيست بغيرها من الأمم التى كثرت فيها دور العبادة ، والأندية والمستشفيات ، والجمعيات الخيرية الغير متطرفة ، والمدارس والصحف من مال أغنيائها .

فكم كان لنا والحالة هذه ، أن ندرك جميعاً ، أن هذه المحنة القاسية ، خاضعة للناموس الطبيعى .. الناموس الذى يقضى بأن يعقب النور هذا الظلام .. هذا الناموس الذى يذكرنا وينادى بألا نيأس من رحمة الله .

المجلس الملى

من المسلم به أن لأى أمة من أمم الأرض ، الحق فى التفكير لإدارة شئونها بنفسها ، وليس لأحد الحق أن يتدخل فى شئونها الداخلية سواء كان هذا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وهذه صفة حميدة تؤدى إلى غرس نتائج طيبة فى نفوس أبنائها . هذه الصفة كم أرجو أن تنتشر فى جميع أوساطنا القبطية على مدى السنين والأجيال ، لنستطيع أن نرسم خطوط أعمالنا وفق ما تتطلبه المصلحة العامة ، وحتى لا نعود مرة أخرى إلى الوراء ، ونقف موقفاً عدائياً بالغ الشدة حيال الإصلاح وتقويض دعائمه .

وليس أمامنا حيلة ، إلا الاحتفاظ بقوتنا فى أعلى مستواها . ولن يكون هذا إلا باستكمال أوجه النقص التى تتمثل فى تناقض الاتجاهات فيما بيننا . ومن الخير أن نستعرض الأمل الذى يجب علينا أن نعقده بروح جديدة ترعى حق الكرامة ، وتعمل على تنسيق ما نسديه إلى أمتنا من أنواع الخدمات المماثلة لها مع تعديل سياستها تعديلا يمنع التعرض لإنفاق المال سدى ، وتكفل لما ينفق منه أوفر حظ من إدراك الغاية فضلا عن إصلاح الأنظمة العامة التى تليق بالكرامة والنزاهة .

ثم إن المساهمة فى العمل المطلوب لرقى الأمة ، دليل على الرغبة الجدية فى إصلاح الحالة ، أملا فى الوصول إلى الغاية المرجوة التى تعود بأعظم النفع على المصالح القبطية ، فتبدو أمة حية ، ناهضة ، لها مكان مرموق بين أمم العالم أجمع ، لأن مثل هذه المساهمة ، وما يحيطها من الثقة ، لا بد وأن تؤدى إلى الرغبة فى التبادل الفكرى بين الآباء والأبناء والرؤساء والمرؤوسين . ولم تظهر حتى الآن أمة من أمم العالم اعتمدت على إمكانياتها الذاتية ، بل راعت أن تحقيق مصالحها وأحوالها إنما يقوم على إقامة التوازن العقلى ،

وإن كل ما يجب أن يراعى فى جميع حالاتنا ومصالحنا هو :

إقامة التوازن العقلى ، وحسن المعاملة فى الآراء والتعامل بين الجميع ، والبعد عن كل ما يجلب المساس بالشخصيات لأنه لا يخفى ما لهذه النقطة من وضوح فى جميع المناقشات التى تبودلت بين صفوفنا ، حتى لا تضيع الجهود ، والأموال فى النواحى البعيدة عن نواحى النشاط المختلفة التى تتطلبها نهضة الأمة القبطية التى يحدوها أمل فى هذا الصدد ، وتنتهج سبيل الترقى ، والتقدم السريع ، تدفعه عزيمة صادقة للوصول إلى الأهداف المطلوبة فى أقرب وقت ممكن .

لذلك يجب علينا جميعاً ، أن نعمل على تدعيم أواصر المحبة بين الجميع ، لأن المقطوع به فى كل الأمم ، أن تسوية المشكلات الداخلية تعد عاملا أساسياً من عوامل السلام ، ووسيلتنا المرجوة لغايتنا القصوى المنتظرة ، وهى الوحدة القبطية التى نسعى جميعاً إلى تحقيقها ، ولو أنها تحتضر اليوم ، وأن أركانها الراسخة مؤذنة بالانهيار ، وبانهيارها ستنهار آمال الأمة القبطية ، وأمانيها ، تلك الآمال والأمانى الغالية التى سفكت فى سبيلها دماء شهداء الأمة القبطية فى كل مكان من ديار الأقباط الشاسعة الواسعة .

ولقد يسرنى أن أوجه كلمتى إلى حضرة صاحب الغبطة البابا البطريرك ، وإلى حضرات أصحاب النيافة المطارنة والأساقفة ، وإلى الآباء القسوس ، وإلى الشعب القبطى ، لا أستثنى منهم أحداً ، إن الأمة القبطية تمتحن فى أعز شىء عليها ، وهى تهيب بنا اليوم ، أن نقف صفاً واحداً ، ونواصل مضاعفة الجهود ، لتخفيف حدة التوتر الذى حدث فى نطاق محيطنا القبطى ، وكان مردها إلى أسباب داخلية قبل أن تكون لأسباب تتصل بالمشروعات التى لم تقم إلى الآن ، حيث لا دليل يشعر الشعب بأن كفاحاً حدث بين كبار المسئولين فى سبيل الفوز بتعديل شامل ذو شأن فى الوقت الحاضر .

وثمة أيضاً شعور عام ، فى أوساط هؤلاء المسئولين ، بأنه أصبح من

المتعذر الحكم على مدى رد الفعل الذى أحدثه فى رأى العامة من الشعب ، ما أعلن فى مجال المشروعات من التحول الذى يوحى بأن الجهود التى ستبذل لن تجدى فائدة ، لأن هناك نزاع شديد بين الدوائر الروحية ، والهيئة الزمنية المتغيرة ، المجلس الملى ، وهذا النزاع نتيجة تفكير بعض ذوى النيات السيئة ، الذين يعتقدون أن المشكلات لا تسوى ، إلا برفع القضايا ، وتضييع الوقت والمال فى الدعايات المتبادلة ، فهذا معناه كارثة تصيب الأمة القبطية التى تواجه الآن ، أحوالا مضطربة تناهض منا القوى التقدمية .

لأن عملية التحليل الدقيق الواسع النطاق الذى به يقترن سيل التكهنات بعدد لا يحصى من مقالات الكاتبين الذين رأوا فى تغيير المجلس الملى الحالى ، نذيراً بسياسة تنطوى على مزيد من الشدة والصلابة ، ولست أقول ذلك متشائماً أو مغالطاً ، ولكن أقولها على أساس الواقع فى الماضى والحاضر ، فالدنيا كلها تعلم ماذا فعل المجلس الملى منذ أن ولد حتى اليوم ، كما تعلم ماذا فعلت الكنيسة لأبنائها منذ نشأتها حتى اليوم ، ومن أجل ذلك أقول ، إن من كان يثق فى مناورات المجلس الملى بالأمس ، لم يعد على استعداد ليثق بها فى الوقت الحاضر ، لأن الاثنين والسبعين عاماً التى للمجلس الملى تركت فى نفوس الشعب القبطى خبرة وتجربة نلمحهما فى منطق أعماله وعدم الثبوت على مبدأ التعاون مع الكنيسة ليحقق خيراً كثيراً فى الميدان العام .

كنيستنا الخالدة

إن الأمة القبطية فى حاجة إلى قادة الرأى وزعماء الفكر ، لتوجيهها وقيادتها ، بنشر الآراء السديدة والمعلومات الصحيحة الخالية من الغرض والمبرأة من عناصر الدعاية ، لتحقيق الأغراض والأهداف عن طريق التعاون الوثيق على إزالة العقبات التى تعترض طريق التفاهم بين الأكليروس والشعب ، وتبديد أسباب الخلاف وسوء التفاهم ، وخلق جو من الود والمحبة ، تسير فيه الأمة القبطية ، نحو التقدم الذى ننشده لها ، فى سلام وطمأنينة ، حيث تلتقى مصالحها مع الوسيلة لحل مشاكلها ، لخير الآباء والأبناء جميعاً .

ولما كانت الأمة القبطية يحدوها الأمل فى إظهار شخصيتها اللائقة بماضيها ، لهذا فهى لا تستطيع التخلف فى عهدها الحاضر عن ركب الشعوب المتحضرة لتتبوأ مركزها ، الفكرى والأدبى ، فى هذا الميدان بغير تمييز أو تفريق ، لتستطيع القيام بالمهمة السامية الملقاة على عاتقها . وقد ظلت شعوب الكنائس من ورائها ردحا من الزمن ، وظل الرأى العالمى يؤيدها فى قراراتها الكنسية ، التى اضطلعت بها هذه القرارات منذ نشأتها ، بدور هام فى بناء صرح السلام ونشر ألوية العدالة ، والمساواة ، والإيمان بالحقوق الأساسية للانسان ، وبكرامة الفرد وقدره .

ولما كنت من ذوى الرأى فقد رأيت أن أعرض عليك أيها القارىء ، خدمات الكنيسة المتحدة ، لمعاونتك على القيام بهذه المهمة ، إذ رأيت المشاركة فى الجهود التى تبذل لنشر المبادىء السامية والأغراض النبيلة التى ساهم فيها آباؤنا البطاركة فى وضع نصوصها عند صياغة القوانين الكنسية ،

بأوفر قسط من النشاط فى ميدان الجهاد ، مما جعلهم محط الأنظار ، وأكسبهم احترام العالم وتقديره .

ومن المرغوب فيه ، أن تقوم الأمة القبطية من الناحية غير الرسمية ، أى الأفراد والهيئات ذوى الرأى والمكانة بنصيبها من العمل المتواصل لتأييد قرارات الإصلاح وإخراجها إلى عالم الوجود ، ولا سيما أنها ما برحت بعيدة كل البعد من أهدافها ، لأنها لم تستكمل بعد الأداة التى تيسر لها تحقيق رسالتها على النحو المنشود .

ومن المتوقع أن ترسخ هذه التقاليد ، وستتطور وتتشكل طبقاً للظروف الطائفية حيث يتلاقى الجميع فى نواحى التنظيم وتقديم الاستعراضات وما إلى ذلك من أوجه نشاطهم الذى قام خلاله المسئولون فى الأمة القبطية ببحوث وخدمات ، لايمكن تحديد كنهها أو مداها ، وستتغير نظرة الناس إليها ويتغير لون الحياة الملية فيها . ولكنها ستكون عاملا كبيراً يساعد على إعداد جيل جديد من الشباب المثقف الذى يعرف كيف يعيش ، وكيف يواجه الصعاب ، وكيف لا يختلف على الكثير من المظاهر والحقوق كما هو معروف الآن .

وإننى أعرب عن أملى فى أن ينطبع عمل كل فرد ، على النهوض بالكنيسة من النشاط والإخلاص ، وقوة العزيمة ، وروح المودة والصداقة لمعالجة المشكلات الكبرى بروح يتجلى فيها نكران الذات ، بهمة وإحساس عميق ، وبتكريس النفس بصورة خاصة لتنفيذ ما يكون النجاح حليفه من مشروعات الإصلاح ، التى اعتزمت الأمة القبطية تنفيذها على أساس سليم ، بعد أن كانت بنيت على أساس غير سليم ، وقد ربحنا وعياً قبطياً عاماً ، ولئن بدأ اليوم هادىء الصوت خافت النبرة فسيستحيل غداً قوياً يسمع الدنيا .

ولقد خرجنا من تيه المواربة إلى ضوء الصراحة التى لن تخمد نارها مهما هدأ أوارها ، لأن منطق الأمة القبطية ، هو منطق سليم قوى الرأى فالعضو الذى لا يعمل فى حقلها تقضى الطبيعة باستئصاله وزواله ،

حتى لا يكون هناك مجال للتلاعب على حقوق الكنيسة وشعبها الذى قام للذود عن هذه الحقوق المقدسة ، متحدياً كل العقبات التى وضعت فى الطريق العام ، الذى سار فيه آباؤنا وأجدادنا ، حتى وصلوا به إلى النهاية وبرهنوا للعالم ، أن صفحة المجد الفخار لا تبدو واضحة مشرقة إلا لمن يعيش أو عاش حراً كريماً .

فمنطق الواقع لا يدعو إلى المراوغة والمهادنة ، مهما كان الثمن المدفوع غالياً ويخرج عن حد المعقول ، لأن اللبنة الأولى للبناء قد وضعت ، وأن الرباط الأبدى الذى يسيِّر الرئيس والمرؤوس وكل الشعب قد وضح ، وكلمة الاتحاد قد صارت عالية مدوية نحو الأهداف الراقية والأغراض النبيلة ، وقد اتضح المستور ، وها هى الأيام تمضى والناس على مبادئهم ثابتون ، لا عن رهبة ، بل عن اقتناع ، بأن الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية ، تسير فى طريقها المرسوم ، ولن تحيد عنه قيد أنملة حتى تبلغ غايتها المكتسبة التى يأتى منها الخير للجميع ، وبذلك تكتمل عناصر السيادة الكنسية ، والاستقلال التام بعقائدها وأسرارها المصونة .

وبعد هذا ، أطلب من الأقباط جميعاً ، أن يمارسوا استقلالهم العقدى وأسرارهم الكنسية ، المبنيان على نوع من التهذيب والذوق السليم ، والترتيب الجيد الموصل الوحيد إلى العالم العلوى الذى يشعر به الانسان ولا يستطيع ولوجه ، وبه أيضاً ندرك العالم الإلهى الكامل .

وليكن فى علم كل أحد ، أن الكنيسة القبطية كانت من أسبق الكنائس بل أسبقها على الاطلاق فى ممارسة استقلالها الكنسى ، فما تحركت قط ، ولا عملت شيئاً قط ، بوحى غير وحى إرادتها الحرة المستقلة التى وقفت بها على قدم المساواة مع إرادة أقوى الشعوب سلطاناً ، طوال هذه الأحقاب ، فلا عجب إذن ، إذا استقلت اليوم بإرادتها الكنسية وبسطت سلطانها بسلامة منطقها ، لخير ومصلحة طبقات الشعب عامة .

وإنى — كما سبق أن قلت — أن يد الله مع الجماعة ، وأن الناس بخير ما تعاونوا ، وأن الواجب يحتم علينا أن يضع كل منا يده فى يد الآخر بنية خالصة لله ليرد للكنيسة حقها الذى سلب منها بسبب تراخينا وانصرافنا إلى الدنيا عن الآخرة واستبدالنا ما ينفع بما لا ينفع .

وليس ما أدعو إليه اليوم بغريب على الشعب القبطى الذى أثبت للعالم من قبل جدارته والذى نشر ألوية الحضارة يوم أن كانت الأمم الغربية تتنازعها الأحقاد والأضغان .

وإن كان للكنيسة — أمنا الرءوم — علينا من فضل تربيتنا وتنشئتنا بل وتوجيهنا نحو الحياة الأبدية فإن لها علينا حقاً لا يجب أن نغفله وهو الكفاح لإعلاء شأنها والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

وصدق من قال « ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط » .

أمـــل ورجاء

معروف أن الاثنين والسبعين عاماً التى للمجلس الملى ، قد تركت فى نفوس النـاس خبرة وتجربة ، نلمحها فى منطق وهدوء كل قبطى ، تتدفق منه القوة والإيمان الذى ينسخ الفكرة التى فى رؤوس أعضاء المجلس المشار إليه وهى أن بعضهم يقول : « إن الكنيسة القبطية زعيمة الكنائس الرسولية » هذا صحيح ، ويذهب البعض الآخر ، وهم الأكثرية ، فى عكس هذا الاتجاه ، فهم يريدونها غنيمة ، يتصل الزملاء بعضهم ببعض ، بوسائل معقدة المعلومات ، شبيهة بتمثال فى متحف الآثار يلبسونه حلة الكبراء .

وأعلم أن حب الكنيسة ، هو الذى يدفعنى إلى الاستزادة فى المشاركة الأخوية . وهذا أمر يهم كل شخص يعتقد أننا أبناء الأقدمين الذين ليس لغيرنا ميزة التمتع بهذا اللقب الكبير ، ولا رائحة الحياة القدسية ، التى عرفها آباؤنا وأجدادنا ، وأوضحوا السبيل لمن بعدهم من أبنائهم فى الغربة شباباً ، وفى الكنيسة رجالا ، يعملون على هدى هذا النسب الشريف الأصيل .

كما أننى أقول على ضوء الحقيقة ، أننا الآن نعيش بخيالنا الخصب ، تاركين الحقيقة الواضحة ، كما أننا سلمنا آذاننا ، لنسمع نغمات السبعين عاماً الماضية ، وأسدلنا ستاراً بيننا وبين حركات العالم المجدّد ، السائر نحو شمس التقدم المشرقة ، وسكنا فى الظلال ، بينما نحن أبناء ضياء الشمس الوضاح . فيجب علينا أن نستنبط طلوع هـذه الشمس ، ونتسابق نحو شروقها قبل غيرنا ، لنستقر على مصلحة الأمة ، بوضع الأسس الكفيلة بمنع ما لا يكون فيه التقدم ، وإشراق نور الماضى الذى انطفأ ، منذ أن ظهرت لائحة سنة ١٨٨٣ التى أظهرت أن الإنسانية ، والحق ، والعدل ، هى مجرد معان موجودة ، مطبقة بعقيدة القوى الغريبة الأطوار ، فضاعت دون أن تترك لها أثراً يذكر ، لأنها سياسة تسعى إلى القوة ، وقوة تستعين بسياسة .

وما هو المجلس الملى يسعى وراءها يتلمسها فى كل ناحية من نواحيه ، غير أنه كلما قرب منها لينفذ أساليبها ، التى ليس لها بقاء إلا ببقاء أسبابها ، يفشل فى مسعاه هذا ، لأنه عبد القوة ، دون غيرها ، وهى نفس أساليب الشعوب التى تعتمد على القوة لا القوت .

إلا أن الإحساس بوحدة الكفاح ضد هذه اللائحة ، كان مستكناً فى أعماق النفوس ينتظر الأحداث التى تظهره فى المستقبل الأكيد لتحرير الأمة القبطية من هذه اللائحة ، التى جعلت الشعب كالصبى الذى يسهل زجره وتخويفه ، حتى إذا ما ترعرع وشعر بشخصيته وبإرادته تكونت له المقاصد ، يريد تحقيقها ، مستقلا دون تأثير أو تقييد .

وكان من مقتضى هذا الشعور الحى والإدراك القوى العظيم ، أن يعلو صوت المطالبة بتوحيد الصفوف فى سبيل الحرية ، يسندنا جميعاً بجهود جبار لخنق هذه اللائحة البغيضة ، التى من أجلها ظلت الأمة القبطية تضطرم بحركات المقاومة العنيفة ضدها ، وقد اختلف المجلس الملى يدافع عنها ، باختلاف الهدف ، بمعنى أنه لم يكن بيننا وبينه تعاون حقيق ، فهو يرى من الصواب أن نانفقه ، ونسالمه ، بل ونلوذ به ، وقد أغفل أن الزمن قد تغير ، وأن هذه اللائحة لم تعد نظاماً صالحاً للبقاء ، فلا بد من التحرر منها نهائياً .

وليكن فى علم كل أحد ، أن الأمة القبطية ، زهرة أمم الشرق وقد عرفت الحياة ومدنياتها منذ فجر التاريخ ، ونحن أبناؤها ليس لغيرنا ميزة هذا اللقب العظيم الذى به تنبهت فينا عاطفة استقلال الرأى ، وعرفنا أن الحياة الحرة واحدة لكل الشعوب الحية التى وإن سكتت لم يكن القصد العودة إلى ما كانت عليه . لا : إنما القصد الإكثار من النضال ، كما وأنه ليس فى عودتنا اليوم إلى الماضى ما يفسر بأننا لا نزال فيه ، وما إلى ذلك من التقييدات بالجديد من التعبيرات ، وإذا كان قد تحقق الكثير مما قلنا فلا يزال الكثير يعوزنا فى سبيل دعم كياننا القبطى بالمستقبل ، وتأييده

بالجهود التى تبذل ، وتعزيزه بالقوة الدفاعية يحدوها وعى مستيقظ ، وقوى متنبهة لتوحيد الأمة القبطية ، وإعادة العلاقات الطبيعية كى تعود الهيبة والكرامة ، اللتان يحققان الإبقاء على الشخصية المعنوية للشعب القبطى وعلى موارده وحضارته حتى لا تذوب فى كأس إحدى الطرفين « المجمع المقدس والمجلس الملى » .

وهذا لا يكون ، ولن يتحقق إلا إذا كان الهدف واحداً واضحاً ، والغاية مرجوة ، ولنا فى أحداث الماضى تاريخ طويل ، ودروس عريضة ، ليس من السهل أن ننساها . أو نتخلى عن واقعيتها .

فكيف ننتظر بعد هذا كله ، وقد أصبح من المؤكد أن جميع المباحثات التى ستدور فى الأيام المقبلة ستكون مثيرة ، وربما اتسعت بالمرارة ، وعاودت الإشاعات ، إلى أن هذه المحادثات لن تثمر ، وأن الانتخابات الملية غير حرة شاملة ، وأنه لا يمكن التفكير فى إضفاء شىء من القوة التى تهدف إلى التعاون السلمى من الناحية النفسانية والناحية العملية ، بوضع صيغة لصون السلام وحل مشاكل الأمة القبطية كلها ، والعمل على منع أى نشاط هدام .

وإننى كمسئول فى الكنيسة أشعر شعوراً عميقاً بخطورة مشكلات هذه الأمة التى من أجلها يجتمع المجمع المقدس والمجلس الملى مرات كثيرة ، وكلاً منهم يتناول موضوع المنازعات الطائفية ، وطريقة علاجها ، ومراحلها المختلفة ، مع عرض مختلف التقاء وجهات النظر على أساس شرح مبسط مع المقارنة الإيضاحية بين الوضع العملى الراهن وبين الأوضاع السابقة فى النظام القديم ، وغيره من التنظيمات التى تجمع بين الطرفين فى الوقت الحاضر ، حتى يمكن الإفادة من هذه الاجتماعات ومقارنتها بالجهود الفردية وتطورها منذ بدايتها حتى اليوم تمهيداً لبحث وسائل إخراجها بالإدارات المختصة ونشاط القادة الذين يتطلبهم إعداد هذه الموضوعات التى يتفق فى تحديدها كمشكلات بارزة فى المحيط القبطى ، المضطرب ، الممزق الجوانب ،

وقد بدأت نتائج هذا التمزيق الفعلية فى الظهور ، ولا شك أنها ستتطور فى الأيام القليلة المقبلة حتى تأخذ مظهرها النهائى ، يبدو فيها نشاطها المستهتر ، وخفتها الجنونية ، وحيويتها الغير مقبولة .

إلا أن هذه النتائج التى بدأ ظهورها ، تعد من العوامل المشجعة فى النظرة إلى المستقبل ، لأن الموقف المائع المتردد ، لا شك أنه عامل مشجع على التفاؤل بتحول الموقف الذى سيكون له أثر قوى باتفاق جميع ساسة الأقباط لاتخاذ التدابير السريعة لحل كل المشاكل الداخلية على أساس عادل حتى يكون سلام دائم ، حيث يوجد اليوم نزاع وخصام .

وليعلم الجميع أننى لست ممن يخالجهم الشك ، ولست أحب أن أبالغ فى التفاؤل ، أو أذهب مع الآمال الطيبة كل مذهب ، فاقول إن الموقف الذى بدأ فى وقت من الأوقات ، باعثاً على مزيد من اليأس ، لم يصبح اليوم بهذه الصورة القاتمة ، لاننى ألمح فى الجو بوادر تحسن ظاهر يوحى بانتعاش الأمل فى معالجة كل مسألة على حدة ، وهذا أمل أرجو أن يحقق .

وحدة الاهداف

إننى لا أشك فى صدق نيتك ، أيها القارىء العزيز ، على احتفاظك بالروابط الوثيقة مع كنيستك القبطية ، وحرصك على أن تظل عضواً فعالا فى دائرة أعمالها ، وإعلان الرغبة فى حل الخلافات بروح وثابة ، تتفق مع سياسة الكنيسة الصريحة ، السليمة الحكيمة ، التى تريدك أن تكون فى انتظار ما تحب وما تريد من عمل ، يدل على فهم صحيح للوضع المناهض لكل سياسة سلبية ، لا تساعد على تنقية الجو ، وشد أزر القوى التى تنسجم مع رغبات الكثيرين من الذين لهم رغبات قوية نبيلة ، تكمن فى أعماق قلوبهم ، ويودون لها أن تتحقق ، وأن تتنفس الهواء ، وأن تخرج إلى عالم الواقع ، فى تحمس شديد ، سيكون أثره قوياً فى المحيط الكنسى .

وأعتقد أننا لن نجنى شيئاً من معالجة أجزاء متفرقة من مسألة كبرى معروفة ، التى لا يمكن أن تتفق عليها ، إلا إذا توفرت النيات الحسنة ، لبحث إمكانيات بذل الجهود فى سبيل الوحدة القبطية التى ستكون بداية مرحلة فعالة من التعاون والتفكير فى إيجاد مباحثات تؤدى إلى تقريب وجهات النظر ، وتعزيز الروابط ، بالوسائل التى تتبع لتحقيق الأهداف الصحيحة ، والتى تفى بالغرض المنشود ، مع عدم تناقض الاتجاهات التى تسيطر عليها ، وتحول دون الوسائل السلبية التى تؤدى إلى توحيد الكلمة .

فإن توحيد الكلمة ، هو قوة جديدة ذاتية ، تدعو الى النهوض بالوعى لبناء شىء جديد ، وتجميع لعناصر متفرقة يحدوها : جهاد ، وقوة ، وعزم ، وتضحيات ، وعمل ، وتصميم ، وإيمان .

ولا جدال فى أن هذه المقومات ، هى الرائدة للمستقبل ، وهى أعظم إنفعالا به وإيماناً له ، لأنها أكثر نبضاً بالحياة ، والتطور الذى يخرج فى

بعض الأوقات ، الشعب على إرادة حكوماته التى لا تستطيع الزعم ، بأنها تبنى للمستقبل ، أو تنبى إليه ، أو تتنبأ به .

ومن هنا يصبح من المحتم ، أن تتخلف الحكومات ، وتركن وتأسن كالماء المتوقف فى موضعه ، أما الشعب فيكون كالماء الجارى المتدفق وقد يعترضه الصخر فى بعض الأحيان ، ولكن من المؤكد أنه يبلغ غايته ، إن لم يكن اليوم فغداً .

فيجب أن يعرف شعب الكنيسة القبطية ، أن كل فرد فى الحياة عليه واجبات كثيرة ، وأن الواجب يدعونا لكى نعمل متحدين ، لا لمرة واحدة ، ولكن مرتين ، مرة نساير بها الزمن ، ومرة ندرك بها أن ما فاتنا من واجبات ضرورية ملحة عاجلة ، فى كسب كل ما نريده بالتفاهم النظيف الكريم ، مع من تربطهم معنا مشكلات ، أو مصالح ، أو مسائل معلقة فى ميدان الاختبار والمعارك ، فى حين أننا أجدر من غيرنا ، بحكم تاريخنا ، ووعينا ، وثقافتنا ، الظاهرة والكامنة ، وما ينطوى عليها من حيوية دافقة ، فانها منقوشة فى ذاكرة الذين عملوا فى خدمة الأمة القبطية ، التى تريد أن تتغلب على الانتظار ، أو تنتصر على السكون ، وأن تقضى على الأعضاء المشلولة التى لم تحقق للشعب ما يريد ، وما يتمنى ، من أهداف ، تؤدى للغرض المقصود ، حتى نملك زمام أمورنا بأيدينا ، ونجعل تشكيل مستقبلنا تحت أبصارنا ، وفقاً لما نرسمه ونخططه فى حاضرنا ، ووفقاً لأملنا العريض فى الله ، الذى لن يخلف وعده بمضاعفة نشاطنا فى الشئون الطائفية من جميع نواحيها .

وإننى أعتقد أنه مهما كانت الأحوال والظروف ، فإن التضامن ، هو الملجأ الوحيد لحل مشاكل الأقباط جميعاً ، لأنه أداة صالحة لتثبيت دعائم السلام بين الفرد والمجموع ، ليبطل الانحراف الشخصى لأى سبب من الأسباب على أساس الاتفاقات الخاصة ، لينبغى لنا أن نتعاون وندعم وسائلنا الدفاعية لمواجهة الخطر الطائفى ، الذى يجعلنا نقطع برأى فى أمر

النتيجة التى لايجب السكوت عليها ، لأنها نتيجة مسألة جوهرية وهى بالنسبة الينا ، ضمان لكياننا فى هذه الظروف الحاضرة الحرجة .

وليس الحديث فى الشئون الطائفية بالموضوع الجديد ، ولكن قد يكون الجديد فيه ، هو طرق ناحية تلتزم سياسة إيجابية ، ظلت حتى اليوم بعيدة عن اهتمامنا ، بالرغم من إلحاح الضرورة علينا فى وجوب العناية بها ، وبخاصة إن ضاعفنا نشاطنا من حيث الشعور بالمسئوليات التى سنساهم كلنا فى القيام بها ، ووضع تقارير وافية عنها ، وعلاقتها بالحياة الطائفية عامة ، حتى تصل الأمة القبطية ماضيها بحاضرها .

ومهما يكن من أمر ، فان المفاوضات الخاصة فى هذا الموضوع لم يعدل عنها بعد ، بصفة رسمية ، وأن الآمال التى عقدت عليها لم تخب مع تبادل الرأى ، كما تمكنت من القضاء على آراء الكثيرين من المتطرفين ، الذين يعتقدون دون غيرهم ، أنهم خلقوا لتوجيه هذا الشعب ، الذى عرف الكثير عنهم ، أنهم يسيرون على سياسة الكلام ، والمناقشات الحامية الوطيس ، بل قل إنهم يسيرون على سياسة الخلاف على الوسائل ، التى تساعد على تحقيق الأمانى الموضحة فى قرارات المجمع المقدس ، والمجلس الملى .

هذه الأمانى التى ينبعث صوتها ، ليطالب المسئولين بطريقة فعالة ، بإنشاء الأداة اللازمة لجعل التعاون بينهم عملياً ، نظراً لما لهذا الشعب من منشئات لها أهميتها وحيويتها ، ووجاهتها ، وصلاحيتها ، وهى تريد أن لاتتقيد بمواقع الايباريشيات أو بعظمة الشخصيات الغير عاملة ، أو الطبقات ، أو الدين ، بل إنها تريد تحطيم الاستعباد الفكرى ، والجور ، والامتيازات الظالمة التى تقف حائلا دون تحقيق النتائج التى تجعل الشعب يثق برعاته الذين يسهرون على رفع مستوى حياته الاجتماعية ، والثقافية ، والروحية .

فعلى المجمع المقدس أن يدلل على الثقة المتبادلة والوحدة ، حتى يستميل

كل الهيئات والأفراد من الشعب للإنضمام اليه ، وأن يستعجل فى مقاومة النشاط الذى يبذله الخارجون للقضاء على البقية الباقية ، لأنه من الحق عدم الإعلان عن جميع المسائل التى يتم الاتفاق عليها . فهذه أمور اتخذت لمقاومة النشاط الهدام لوحدتنا ، والمعطل لمشروعاتنا ، ونهضتنا التى يجب أن نعمل على تحقيقها بدون إخطار المتآمرين علينا بطبيعة قراراتنا التى وضعت لحماية استقلال وسلامة ورفاهية شعبنا الأبى ، الحر ، الصديق ، الذى يستنكر أية فكرة للسيطرة ، أو الحد من حقوقه ، أو التزاماته .

فعلينا أن نحدد موقفنا إزاء الواجب الخطير الملقى على عواتقنا ، فإن الشعب لن يرضى أن يكون مستقبله على الأوضاع الراهنة ، فالواجب يقتضينا أن نسلك السبيل الأقوم فى إنتاجنا ، بمسايرة ركب الحضارة الشاملة ، لجميع مرافق النهضة .

وأعتقد أن ذلك لا يمكن حدوثه إلا إذا وضعت من أجله خطة مرسومة ، وأولها وأهمها أن تشرف الكنيسة ، بمشاركة من تثق فى أمانتهم ، ونزاهتهم ، وعمق إيمانهم ، إشرافاً واقعياً على كل المرافق البعيدة الأثر فى الداخل وفى الخارج ، وقد خطت كل الكنائس خطوتها الكريمة ، فاقتنع الشعب بوجوبها وعضدها .

فاذا أعددنا نحن لمقابلة هذا العون ، بجهد مماثل فى محيطنا الذى يحقق رسالة الكنيسة فى خدمة أبنائها لهدايتهم إلى تطعيم إنتاجهم الروحى بعناصر قوية ثمينة من الأدب الدينى النافع فى مجال التعبئة للوعى القبطى الذى يريدنا أن نبادر إلى إعادة تنظيم الصفوف وتوحيد الجهود ، لينتج أعمالا تليق بمكان كنيسته ، وإلا فلنترك المجال لمن يحسنون أداء الأمانة ، فى خدمة الأمة القبطية ، التى تندفع الآن قوية سريعة فى طريق العلم ، والبذل ، والرقى ، والكنيسة متخلفة عن الركب لأنها فى شغل عن ذلك بتملق غرائز محدودى الفكر .

حرية الرأى

ما زالت أنباء المشروعات القبطية تشغل أوقات واهتمام الكثيرين من الأقباط ، واختلفت حولها الآراء والتكهنات ، بل الدعايات والشائعات ، والآن لم يعرف أحد إلى متى تستتب الأمور وتقوم على تحقيق ما فى الذهن من آمال مصورة عن المستقبل من حيث تركيبها ، وأوصافها ، بما تقتضيه النهضة وتنشده الكتيبة التى أمامها حقائق قائمة ، وحقائق قادمة ، وحقائق باقية .

فمن أجل هذه ، علينا أن نستعد بثقة ، وأمل ، وعزم ، وأن نقدر الأمور بكل معانيها المحتمة حتى لا تضيع علينا الفرصة ، كالتى ضاعت فى مختلف مراحل الحياة ، التى مرت علينا بمحن ومآسٍ ، وما إليها من صنوف .

ولذا يجب أن ندفع الثمن اللازم لإدارة الشئون الطائفية على أكمل وجه ، وما يتجلى من نشاط ، وتصريحات بسياسة تقدمية تلجأ إليها عناصر النشاط لمكافحة عناصر المقاومة فيما يتعلق بالواقع والمحافظة على نواحى النشاط الإنسانى الذى أثبت فى معظم المناسبات مقدرة فائقة فى معالجة شتى القضايا المتفرعة من الحياة الاجتماعية ، والثقافية ، والإنسانية ، وكل ما يتعلق بالمساواة بينهم .

بيد أن المسئولين لا يتوقعون حدوث تطورات هامة فى الميدان الطائفى ، ولم يشاءوا التعليق على البيانات اليومية التى تحملها الصحف السيارة ، فماذا يكون الموقف ؟ وما هو العمل الذى أديناه بشأن الدفاع عن موقفنا ، إذا ما هوجمنا بالتزامات الشعب ، الذى يجب أن تختفى هذه النزعات ، ويحل محلها الفهم الصحيح دون أن يدعيه أحد ، أو ينتحل الفضل فيه إنسان ، ليقف الحقد وتختفى البغضة من القلوب ، ويحل محلها الإيمان بوحدة الأمة ، وبحضارتها ،

وبثقافتها الداعية إلى السمو بالأخلاق عن نزعات التعصب ، والخوف ، والقلق ، والاستعلاء ، وانقسام مناطق النفوذ .

وإذا صح أن أمثال هذه النزعات كانت مقبولة حينما كان الأفق الإنسانى ضيقاً ، وفكرة التعصب للدين أو الجنس أو اللغة هى الغاية والهدف ، فإنها لم تعد مفهومة فى هذا العصر الذى ذاعت فيه الدعوة للإنسانية ، وزكت الفكرة القائلة ، إن المقارنة مجرد المقارنة تذهل ، وهى وحدها كافية أن تحملنا على الخجل .

ليس لنا أن نخجل ، لأن أمثال هذه المسائل الخطيرة لا تقوم إلا إذا انقضى العهد الذى فيه تتم بجرة قلم ، وتلغى بجرة قلم ، ولست بحاجة لأن أبين هذا الإلغاء ومكانه ، ولا أريد أن أفسر سبب الإلغاء ومبرراته ، لأن المستقبل كل شىء ، وهو الذى يستخلص جانباً كبيراً من حقوق تلك المسائل وحرياتها بالعزم ، والتصميم وإرادة الشعب ، الذى وقف فى وجه أعظم القوى العالمية ليحصل على فرصة للتنفس لمواجهة الموقف الجديد ، الذى يجب أن تتجه إليه الأمة نحو المستقبل الذى شعاره « التغلب على اليأس » .

إلا أن الدوائر المسئولة لا ترى الوقت الحاضر مناسباً ولا ناضجاً لاتخاذ خطوة كهذه ، وهذا هو سبب من الأسباب التى تدعو إلى القول بأن موضوع النهوض بالأمة ليس كما يقول ديبلوماسيو الأقباط ، موضع النظر فى الوقت الحاضر ، ولكن ليس هذا هو السبب الوحيد . فمن الطبيعى أن يشعر كل قبطى ، بقلق ويأس بسبب الموقف التاريخى الذى يعرفه الجميع والذى زاد الأمر تعقيداً . وقد يكون من الممكن اتخاذ أى قرار فى المستقبل أما اليوم ، أو بالحرى فى هذا العهد قد يكون الوقت غير مناسب لاتخاذ أى إجراء . وذلك لسبب واحد وهو الخلاف على تنسيق الإتجاهات الإصلاحية وتفاوت تقديراتها بإزاء المستقبل ، إذ أنها لا تتمشى فى كثير من الأحيان مع ما يمكن توافره فى المحيط القبطى ، مما يؤدى إلى إعادة النظر فى المواصفات

التى تشترطها الهيئات والمؤسسات المعنية بالنهضة الحقيقية فى كل مرافقنا التى يمكن أن نجنى ثمارها باتحادنا .

فإن الاتحاد يعصف بنشوة الكبرياء التى تفوق حد طاقتنا ، ويعرفنا حقيقة أنفسنا ، فلا يحارب شبابنا شيوخنا ، ولا تحقد الكهول على الفتيان ماداموا يعملون فى ميدان واحد ، وجسم واحد ، يعمل كل عضو فيه على سلامته والمحافظة على كيانه ومتانته .

ولست أعرف لماذا يختلف المفكرون الأقباط ، ويضع بعضهم لبعض العراقيل ؟ . . . لماذا يتزاحم الناس على المناصب الملية ، ويتهافتون على بريقها الخلاب ؟ . . . لماذا كل هذا ؟

اللهم إنها الأنانية فينا ، تدفعنا نحو شهوة تسيطر على عقولنا ، وتتحكم فى أفكارنا ، وتستولى على أهوائنا وميولنا ، وتتغلب على إنسانيتنا ، فتسلمنا إلى الصغائر ، وآه منها ، فإنها طريق وعر ، صعب المسالك .

آمل مخلصاً أن يستقر الهدوء والسلام والسكينة فى الأمة القبطية ، فلا تكون هذه الهزة فرصة لإثارة المتاعب ، بينما نرى كل بلاد العالم يحترم حديثها قديمها ، ويتعاون صغيرها مع كبيرها ، ويستمع فيها الشباب لنصائح الشيوخ ذوى التجربة والحنكة ، ممن أحنت الأيام ظهورهم ، وصقلت الحوادث عقولهم .

فالله سبحانه وتعالى يفرض علينا الإختبارات فى هذه الأيام ليذكرنا ما صادفنا فى تاريخنا الطويل ، لنعرف أننا لم نرتق ، ولن نرتفع ، ولن نخطو إلى الأمام إلا على أثر الاختبارات التى تكشف لنا عما نجهله .

فعلام نختلف ، ونحن نخدم فى ميدان واحد ، لهدف واحد . . . ؟ أمن أجل المناصب ، والشهرة الزائفة ؟ أم من أجل رفعة الأمة والسمو بأخلاق أبنائها ...؟ فإن كانت هذه الخلافات من أجل الشهرة . فبئس الغرض ، وإن

كانت من أجل سمو الأخلاق ، فليست الخلافات هى السبيل ، لأنه لن يتسنى لنا القيام بها إلا بالتعاون والتفاهم ، ومؤازرة بعضنا بعضاً ، ومعرفة كل قدر نفسه ، لأن تحقيق النهوض بالأمة ، يقابله ثمن معين ، هو تقديم بعض المعونات الفكرية والنصائح الأدبية والسياسة الحكيمة .

فلو أدرك ساسة الأقباط من أكليروس وشعب حقائق القيم التى توزن بها مقومات الأمة القبطية ، وعرفوا مدى الفائدة التى ستنتجها الأمة ، وما هى المغانم التى ستحصل عليها ، . . . لالتزموا الهدوء ، وتمسك كل منهم بالروابط البعيدة عن كل ما يثير الشعب ، لأنه ما من يوم يمر إلا ونسمع أن فلاناً استقال من منصبه ، لأن الكرسى اهتز تحته ، وأن فلاناً قبلت استقالته بمجرد عرضها ، وأن زيداً اختلف مع أخيه لحاجة فى نفسه ، ونسى القوم المصلحة العليا ، وأفنوا أنفسهم فى تحقيق المصلحة الشخصية والشهرة الذاتية .

واليوم تدور فى الأفق القبطى ، أفلاك معتمة حول فكرة التكتلات الملية ، والمجمع المقدس ، ويكاد المرء يسأم مما يسمعه أو يقرأه كل صباح حول موقف الجانبين ، ولكل منهما آراء سبق أن درسها الدارسون ، وعلق عليها المعقبون ، وأصبح واضحاً أن خير الأقباط فى إثبات وجودهم بأنفسهم دون أية حاجة إلى الانطواء فى كنف أية هيئة معطلة تعد فى الواقع أصل كل بلاء أصاب الأقباط فى صميم عزتهم وكرامتهم ، ومعنوياتهم ، وحريتهم .

وبذلك نرى أن منطق الخلافات بين الجانبين ، ساقط من كل جانب ، ولعل من الخير أن يقال شىء من الصراحة فى هذا الموضوع ، وهو أننا نريد من الدعاة أن يحددوا موقفهم ، وما سيرتبطون به من التزامات وقيود ، وإلا فليعتزلوا المقاعد ، لأنه من العار أن نسكت ، ونتلهى فى الألفاظ ،

والتعبيرات التى لن تفيدنا فى تحقيق أهدافنا المنشودة بصفة خاصة ، ورفع مستوى الشعب ، وإيجاد وعى قوى بصفة عامة .

فى إيمان وقوة وحزم أقول ، والقول يشملنى أولا إذا كان هناك نقص فى إدارتى ، اعتزلوا المقاعد وإلا تضامنوا لمعالجة الموقف قبل أن يفلت الزمام والوسائل تنعدم ، لأن كل الناس فى هذه الأيام يهمهم كثيراً أن يروا نتيجة إتحادنا الذى يفسر ويشرح للعالم اتساع أفقنا ، وأهمية رحلات أفكارنا المستنيرة على تسهيل وتعبيد طرق الاصلاح وما يتفرع منه من أعمال تذهل العقول ، وتساعد الإنسان على الإدراك الصحيح المبنى على المشاهدة لتقديم المساعدات الممكنة لتكوين خرائط مفصلة تعتمد عليها الأجيال الآتية فى القيام بأعمال ما أغفلنا عمله . . . حقق الله الآمال

صراحة مؤلمة

ليس عجباً أن يرسم المخلصون فينا الخطوط العريضة لمستقبل أمتهم ، ويضعوا الأسس القويمة لبناء دعائمها . . . ليس بالعجيب أن يقول أصحاب الرأى فينا كلمتهم صريحة عالية فصيحة ، لا مواربة فيها ، ولا تخوف أو تردد ، أو خشية لائم ، أو مخافة رئيس ، أو مصانعة لكبير ، أو محاباة لذى منصب كبير أو خطير . . .

أجل ، فإن داعى البر بأمتنا ، والحرص على رفعتها ، والتفانى فى سبيل كرامتها ، والذود عن كيانها ، كل هذه الدواعى تملى على المخلصين أن يتسابقوا فى رسم هذه الخطوط للسياسة القويمة ، التى يجب أن يعتنقها أبناء الأمة . . . ونحن كقادة ، وكعاملين مخلصين فى حقل كنيستنا المقدسة ، يدعونا داعى الإخلاص أن نجاهر بما تمليه علينا مشاعرنا ، كعلاج حاسم لأمراضنا الروحية والاجتماعية .

ولقد يحلو لنا فى مستهل حديثنا ، أن نحيى هذا العهد الجديد ، الذى تضافرت فيه القوى وتشابكت السواعد ، وتآزرت القلوب ، واتحدت على استئصال الخونة والمستضعفين ، والفاسدين والمفسدين ، وكل ذى شبهة ، وكل ذى ماض أثيم ، وتطهير المقاعد الحكومية والإدارية من أعوان الفساد والمعوجين .

حقاً إننا نعتبر أنفسنا فى مستهل عهد جدير أن يكون موضع إعجابنا وإطرائنا واستبشارنا . . . عهد الحرية والإخاء والمساواة . . . عهد التطهير والتحرير ، عهد الرجولة والكرامة ، عهد انقلاب الأوضاع المغلوبة ، أو بمعنى آخر عهد الرجوع إلى الأوضاع السليمة المستقيمة ، فلا غرو أن يتحدث

أهل الرأى فينا نحن الأقباط ، كشعب ، وكقادة عن الطرق القويمة التى يجب أن نرتادها فى أيامنا هذه .

إن الصمت أمام قوات الشر ، يعتبر خضوعاً وضعفاً وجبناً ، وإن المجاملة للضعفاء والمستضعفين ، هو الفساد بعينه ، وإن الوقوف فى صف واحد مع الجائرين والمنقسمين على أنفسهم يعتبر تسليما وانكساراً .

لذلك كله يدفعنا الإخلاص لشعبنا وكنيستنا أن نمسك بالقلم ونعلنها حرباً شعواء ، حتى تستقر الأوضاع السليمة ، وتعتدل الأعمدة المائلة ، وتستقيم الأمور ، وينتصر أبناء النور على أبناء الظلمة ، وينتصر دعاة الاستقامة والشهامة على دعاة الهزيمة والانقسام . . .

أجل ، فهذا حديثى أقدمه إلى أبناء أمتى ، وسوف يطول هـذا الحديث ويتفرع ويتشابك ، والحديث ذو شجون .

ليقل لنا الأساتذة الأفاضل أعضاء المجلس الملى ، علام عقدوا العزم بعد أن تفشت فيهم روح التنابذ والانهزام ، والتقاعد والأثرة ... علام عقدوا العزم ، بعد أن وقف بهم الركب شهوراً طويلة ، وأعواماً ليست بالقليلة ... علام عقدوا العزم وهم لا يدرون ماذا يفعلون ... علام عقدوا العزم ، بعد أن أصبح همهم أن يجتمعوا ثم ينصرفوا ، بل الأصح أن يجتمعوا ثم يتشاجروا ثم ينصرفوا ... علام عقـدوا العزم وهم لا يستطيعون أن يتقدموا خطوة فى سبيل الإصـلاح ، ولا أن يكسبوا لأمتهم نصراً جديداً ، ولا أن يعيدوا لها مجداً قديماً ؟

إن أبناء الأمة عن بكرة أبيهم لتتجه أنظارهم إلى أعمـال المجلس الملى الغير مركزة على سياسة عملية ، بل على سياسة ارتجالية عقيمة وأمامنا البناء الشاهق الضخم المقام على أرض أنبا رويس ، الذى أنفق فيه مائة وخمسون ألف جنيه ، وقد انتهى بناؤه وأعد للعمل ، ولـكننا للأسف نذهب إليه الآن فلا نجد إلا أطفال الأثرياء بين ردهاته ، والعنكبوت ينسج خيوطه

الطويلة فوق جدرانه ، كأنه قصر أمة ذلت بعد عجز ، وانكسرت بعد نصر ، ولاذت بالفرار من ميدان الحياة والعمران . . . إن الزائر لهذا القصر ليرجع والخيبة تحنى رأسه ، والحنق يملأ قلبه ، لأن الذين يتقدمون صفوف الأمة ، ويتزعمونها ، ويملأون مقاعد مجلسها الملى ، قد فشلوا فشلا ذريعاً ، وأصبحت أعمالهم وتصرفاتهم غير ذات بال .

لقد أعلن الأساتذة الأفاضل ، أعضاء المجلس الملى ، منذ وقت بل منذ سنين ، إنهم بصدد تعيين مدير لـكلية أنبا رويس ، مارى مرقس ، للتمكن من بدء الدراسة فيها ابتداء من هـذا العام ، ولـكن هذا القرار ، للأسف ، لم يصب من الحظ إلا بقدر ما أصاب غيره من قرارات أخذت ، فـكل قراراتهم ارتجالية ، وجميعها قاصرة عن تحقيق آمال الشعب .

إنهم يتعللون بقلة مواردهم ، وهو عذر أقبح من الذنب ، لأن هناك خيرات تكفى لبناء أهرامات وتشييد جامعات ، لو توفرت النيات الحسنة ، واتفقت جميع وجهات النظر على العمل المنتج لخير الكنيسة والشعب .

حقاً لو توفرت النيات الحسنة ، لما احتاج الأمر إلى كبير عناء ، ولـكن القوم استمرأوا الجدل العقيم ، وطاب لهم التعلل بالخيالات والأوهام الكاذبة ، حتى أضاعوا الفرصة تلو الفرصة ، وعبثوا بالسنوات الطويلة ، من عمر الشعب .

اعتزلوا المقاعد ، أيها السادة المنقسمون على أنفسكم ، واتركوها للذين يقدرون على العمل ، ويستطيعون أن يقدموا لأمتهم الدليل الناصع على حسن الإدارة ، وقوة السواعد ، وإدراك المقاصد .

أجل أيها السادة ، فليست مقاعد المجالس الملية بالمخادع الوثيرة يلوذ بها الناس ، طلباً للمتعة أو اقتناصاً للملذات ، ليست المقاعد الملية أداة للكسب ، ولا هى وسيلة للثراء أو الشهرة أو بلوغ شاهق الأمنيات

ليست مقاعدكم غاية يصل إليها المرء فيستسلم فوقها للرقاد أو النعاس، ولكنها والحق يقال، وسيلة للعمل والجهاد والفناء في سبيل رفعة الشعب ورقيه ومجد الكنيسة واستقرارها.

اطلبوا المجد من طريق آخر غير هذا الطريق، واسعوا إلى غايات الدنيا كما تشتهون، وبأى أسلوب، ولكن ليس بامتطاء مقاعد المجالس الملية، فإن أمامكم طرقاً أخرى كثيرة، ووسائل أخرى متشعبة تسعى كلها إلى بلوغ المجد، وتؤدى كلها إلى طريق السعادة والجاه. أما خدمة الشعب أيها السادة، فهى فى التفانى المطلق، والسعى الدؤوب، والتجرد الكلى، والانعكاف الدائم، والسهر المتواصل ... وليست الخدمة العامة أن يضع إنسان نفسه فى المقاعد الأولى لترمقه عيون الناس وتتسلط عليه الأضواء، ولكن ليعمل، ويحصد الناس ثمار عمله، ويسعى ويفنى، ويحقق الله بمسعاه آمال الشعب.

هذه هى الخدمة العامة، أيها الأساتذة المتربعون على المقاعد الأولى ... لماذا لا تقرؤون الصحف التى يتحدث فيها أبناء شعبكم عن آلامهم وآمالهم؟ ولماذا لا ترهفون السمع إلى شكاياتهم؟ ... لماذا لا تعطون آذانكم للناس الذين انتخبوكم وقدموكم على أنفسهم؟ ... إن أبناءكم من أفراد الشعب يتحدثون إليكم كثيراً على صفحات المجلات، وفوق المنابر، ويستعرضون مشكلاتهم ويطالبونكم بين حين وآخر بمطالب، بل ويتقدمون إليكم بمقترحات كان يحسن أن تكون موضع الرعاية والاهتمام، ولكننا نسمع فى كل مكان أن الناس قد ضاقت صدورهم بما يشهدون من تراخ أو عدم اهتمام بأمورهم ...

إن أبناء الجماعات وخريجيها من الشباب المثقف المتوثب لخدمة الكنيسة والمجتمع، يطالبونكم ... وأبناء الاكليريكية يتقدمون إليكم بمطالبهم، وكهنة الشعب لهم مطالب أيضاً، وإن الكنيسة بمختلف طبقات شعبها تتقدم

إليكم وتلتمس معونتكم، وأنتم كما أنتم، لا تقضون ولا تبرمون، كأن الشكوى ليست إليكم، وكأن الأمر ليس بيدكم، مع أنكم قضاة الأمة ونوابها، ورجال الشعب وممثلوه.

أجيبوا أيها السادة مطالب الشعب الإصلاحية ما دمتم تتربعون فى مناصب القيادة وإلا ... أجيبوا مطالب أبناء الشعب وخدامه ما دمتم قضاته ... حققوا آمال الأمة فيكم وتميزوا بسرعة البت، وكفاكم نعاساً فى عهد اليقظة، واستسلاماً فى عهد العمل، وها هو المجمع يمد يده إليكم ويد الله مع الجماعة.

إهبطوا من بروجكم العاجية واصنعوا لكم خياماً فى صفوف الشعب لترقبوه عن كثب وتتجاوب أفكاركم مع أفكاره، وتتحد كلمتكم واظهروا الطاعة الحقيقية لربان السفينة ومثل يسوع المسيح على الأرض.

إهبطوا من بروجكم أيها السادة فإن الذين يتقدمون الصفوف يجب أن يسيروا أمام الشعب، لا أن يحلقوا فوقه! فالراعى الصالح الأمين هو من يضع نفسه من أجل رعيته. والقائد الباسل هو من يبذل ذاته من أجل رفعة الشعب، ونحن للأسف نرى قادة يتشبثون بالزعامة ويتسابقون للظفر بالمقاعد الأولى، ولكنهم منصرفين عنا، غير مهتمين بأمورنا، فإلى متى ننتظر، وإلى متى يحتمل الشعب! ... وماذا يجدى الانتظار ما دام الشعب ومجمعه فى وادٍ، وأنتم يا أعضاء المجلس الملى فى وادٍ آخر؟

إعتزلوا المقاعد أيها السادة ما دمتم قاصرين عن تحقيق رغبات الشعب الذى اختاركم لمقاعده الأولى، والذى وضع آماله فى تضامنكم مع قادته الروحيين، الذين كلتم لهم الكيل مهزوزاً بخطبكم فى الأندية وبمقالاتكم التى تنشرونها من وقت لآخر.

إعتزلوا المقاعد ليملأها القادرون على العمل باتحادهم مع المجمع المقدس.

إعتزلوا المقاعد ليملأها الراغبون فى العمل من أصحاب الكفايات والإمكانيات ليسعد بهم الشعب ، وتفرح الكنيسة التى لم تسعد أبداً بكم بسبب بعدكم ، وعدم الاكتراث بها .

إعتزلوا . . . وكفى ما جرى من مهاترات أمام المحاكم على أمور ليست جوهرية ، صرفت عليها أموال طائلة ، منا منكم لو جمعت هذه الأموال لظهرت أعمال أسكتت ألسن من يقولون لكم بصوت عال ، إعتزلوا . . .

إعتزلوا . . . إعتزلوا المقاعد أيها السادة ، فقد دلت التجارب على أنكم غير أقوياء على احتمال أعباء القيادة الجسيم ، إتركوا مقاعدكم ليملأها الذين صح عزمهم على العمل مع المجمع المقدس الذين انعقد منذ أشهر وقرر قرارات لخير الأمة ومجد الكنيسة ... إتركوا المقاعد لمن يستطيع إدراك الهدف وإصابة المرمى وهو التضامن مع آباء الكنيسة الذين لهم خدمات كتبت بأحرف من نور ... إتركوا المقاعد للذين وهبوا ذواتهم وجندوا أنفسهم للخدمة الطاهرة النقية البريئة التى لا غرض فيها إلا خير الشعب ولا هدف لها إلا تحقيق رفاهية الأمة التى ينتسبون إليها ، ليست زعامة الشعوب بالأمر اليسير الهين فهناك أدعياء كثيرون إذا ما تكشف أمرهم للناس تضاءلوا فى أعينهم ، ونحن لا نريد لكم ذلك أو هذا المصير .

فانسحبوا أيها المتزعمون ، فقد تجمعت الأدلة ضدكم . . . لقد سمح لكم الشعب القبطى الذى يدين بالولاء لغبطة البابا المعظم بأن تقفوا على المسرح ، ولكنكم لم تحرزوا البطولة ولا شيئاً من البطولة ، فاعلموا أن الشعب وقائده الروحى فى الخدمة الرسولية ، لا يصفقون إلا للأبطال وأقوياء الرجال . إذن فخير لكم أن تنسحبوا لتتركوا الفرصة للذين يستطيعون أن يحققوا آمال شعبهم ، ويعملوا بإيمان وإخلاص مع المجمع المقدس فى حقول الكنيسة التى ابيضت وتهيأت للحصاد .

إن للكنيسة أبناء بررة يستطيعون أن يعملوا متضامنين متحدين غير

ناقرين ولا متذمرين ... إن للكنيسة جنوداً بواسل يعرفون كيف يسهرون على أسوارها ويحمون ذمارها . . . إننا اليوم فى حاجة إلى صنف من الرجال يتحدثون إلينا بأعمالهم لا بأقوالهم ويكتسبون ثقتنا بإخلاصهم وتفانيهم ، لا بأسمائهم وألقابهم ... نريد من يحرس أسوارنا ، ويحمى مقادسنا ، نريد من يكون لنا نحن المجمع المقدس عوناً على صعاب الزمن ، لا عبئاً ثقيلا ، نريد من تكون حياته بركة لشعبه وكنيسته ، بعيدة عن الفتن والقلاقل ، كى لا تضيع الفرصة فلا نجدها . نريد هذا الصنف من الرجال ليحتل مقاعد الزعامة ويملأ مناصب القضاء الملى ، ويكون موضع فخرنا ، وإعزازنا ومحل احترامنا وإجلالنا ، وكم نود أن نرضى بنصيبنا فيكم أيها السادة المتزعمون ، ولكننا للأسف لا نستطيع الرضى ، ولا نقوى على الضير ، فقد تصايح الناس فى كل مكان ، وارتفعت أصوات الاحتجاج ؛ ولسنا بعدئذ محلا للمساومة على حساب الرأى العام ، بصفتنا القوة المهيمنة على الأمة القبطية روحياً وجسدياً ، ولا موضعاً للتهوين من خطورة الموقف الذى وضعتم الشعب فيه ، بدعاياتكم وآرائكم الشبيهة بالسراب الذى من دأبه يبعد القريب ويقرب البعيد . . .

اعتزلوا مقاعدكم ليملأها جيل من الرجال المدربين المخلصين لعقيدتهم الحازمين الذين لا يعرفون فى الحياة مطلباً ، إلا رفعة شأن أمتهم ، ومحبة كنيستهم ... نريد جيلا من الرجال يتفانى فى سبيل الخدمة العامة ، ويوقف عليها وقته وفنه وجهده ، لا أن يجعل من الخدمة العامة تسلية بريئة ، ورياضة مستحبة . . . نريد من يستطيع أن يتفهم مجريات الأمور على حقيقتها ، ويستوعب أسباب ضعفنا الاجتماعى ، ويقف على أسباب العلل ، ويصف لكل علة دواء يقضى عليها ، ولكل أزمة باباً تفر منه . . .

ألا أيها الأعضاء المليون ، لقد طال الوقت عليكم دون أن تنهضوا بالمهام الجسيمة ، المطلوب منكم تحقيقها للشعب الذى دعاكم لتتزعموا أموره

الملية والاجتماعية ، وتحقيق مشروعاته الطائفية ، وتبلغوا به غاية أهدافه بإيجاد السلام والوفاق والوئام بدلا من الجدل والخصام والكبرياء والعناد .

كنا نود من صميم قلوبنا ، أن تكون هذه السطور مديحاً لكم واعترافاً بفضلكم العميم . كنا نود أن نشهد لكم ، ونحمد أعمالكم ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ وأنتم لم تستطيعوا أن تنجزوا أمراً ، ولا أن توفوا عهداً ، ولا أن تحققوا مطلباً ، وأعوزتكم القدرة على القيام بمشروعات الإصلاح ، وإتمام ما بدأه غيركم ممن سبقوكم ، وها نحن لا نسمع منكم إلا صيحات الانقسام ، وهمسات التفريق حتى أصبح أمل الشعب أن يراكم من وراء الستار .

فاعتزلوا المقاعد ، براً بالكنيسة المقدسة ، وحرصاً على مصالح الشعب الذى نحن أحرص الناس عليه ، ولعل صوتنا هذا يبلغ آذانكم صريحاً ، فصيحاً ، مدوياً ، نقياً ، قوياً ، فمن منكم له أذنان للسمع فليسمع ، والعاقل من اتبع الهدى .

قضاة ولا قضاة

لا شك أننا توافقون إلى أن نعمل فيما يتعلق بمدى الحاجة إلى إجراءات التمتع بالسلام ، وتحقيق ما يجعل الموقف واضحاً ، يفهمه الجميع ، إذ أن من الحكمة تبادل الرأى والمعلومات للإحاطة كى لا يلومنا أحد فيما يتعلق بوجهة نظرنا فى هذه الرغبة المقدسة ، فى صراحة تحليلية للموقف المتوتر فى المحيط القبطى كى لا تحل الكارثة بنا جميعاً .

ولا يمكن بعد تجاربنا ، أن نقيم سياسة إيجابية على أساس النظرة الواقعية ، إن لم تكن الرغبة من الجانبين يراودهما الأمل لوضع حد لمختلف التيارات الجارفة لكل مشروعاتنا ، التى أبدينا لها من جانبنا إجراءً دفاعياً خاصاً واضحاً ، على ضوء إيماننا وما يدور فى خلدنا ، بأنه من المؤكد أن مستقبل شباب كنيستنا سيكون الموضوع الرئيسى الذى من أجله نرفع صوتنا ، ونهيب بجميع الشبان ، أن يلجأوا إلى التسلح الخلقى ، ويبذل كل واحد ما فى وسعه لتنفيذ ما يجعل الخيال حقيقة ، احتجاجاً على المسئولين الذين يعملون ما فى وسعهم للحيلولة دون توحيد المباحثات التى سعينا جهدنا كيما تكون علاقاتنا متينة ، إذ لنا الرغبة فى التدخل لنقيم شئوننا الداخلية لأنها تهمنا قبل غيرنا .

إلا أن أعضاء المجلس الملى ، يبذلون جهوداً شاقة ، تقضى بغلق باب المفاوضات ، لإشعال نار المجادلات ، ليكون لهم حق التمثيل على خشبة مسرح الألاعيب بمستقبل الأمة التى لا يعنيهم أمرها بقدر ما يعنيهم أمرهم فقط ، ليبلغوا المستوى الذى لا نستطيع التفوق عليهم فيه ، لأن الاختراعات الملية تتيح لهم التفوق فى ميدان العلوم الملية ، وإننى أتطلع إلى العقلاء فى الأمة القبطية ، وما يتمثل فيهم من نشاط ، وغيرة ، وحماس ، وهمة عالية ،

وصدوه ، ورصانة ، وإلى الشبان ، وهم يلهون فى دروسهم ، ويحثهم ، وأتساءل كيف الصبر إن ضاق الله ذرعاً بالأمة القبطية ؟

فمن أجل ذلك ينبغى أن نواصل جهودنا بالتعاون مع بعضنا على تعزيز وسائل المحبة التى تحضنا على احترام التزامات كل واحد لا يغيب عن ذهن النهوض بدور حيوى ، ليعلم الجميع أننا متفقون ، على أنه يجب أن يكون هدفنا ، هو العمل على الاهتداء إلى نظام يكفل التوازن فى ميدان النهوض بشعبنا ، حتى لا تستطيع طائفة أن تتفوق علينا ، وفى يقينى أن هذه المراكز من الأهمية بمكان عظيم بحيث يتوقف على بقائها نهضتنا التى تعرفها كل الطوائف ، أن لها خطوط رئيسية ، وأود أن تحمل هذه الخطوط الطوائف على التأكد من أن هجومهم على أولادنا فى حالة نزاعنا ، سيتبعه على الفور تغير ملحوظ لا أفصح به مطلقاً بصفة رسمية عن أية تفاصيل .

ومن المؤكد أن أحسن وسيلة لبلوغ أهدافنا ، هى تكريس الجهود لدراسة أساليب النشاط الهدام ، والمشورة بما نرى أن يتخذ من تدابير رادعة لمقاومة أى نشاط من هذا النوع ليكون هذا دليلا على جدية الموقف بالإضافة إلى انتهاج منهج غير مرتجل يتسم بطابع السرعة فى اتجاه من الاتجاهات البعيدة عن المغامرات لنسير فى طريق النجاح المتواصل الحلقات ، ويدل على متانة مركزنا الطائفى الذى أيقظ العالم المسيحى فى الأجيال الأولى ، بل هو الوحى الذى نزل على القديسين أمثال اثناسيوس وكيرلس وديوسقورس واغريقوريوس ويوحنا فم الذهب وباسيليوس واغسطينوس الذين اشتملت فى قلوبهم ثورة المحافظة على الشئون الكنسية والطائفية التى كانت كامنة بين زوايا عقولهم وجوانح قلوبهم كما كانت محفوظة فى الأوراق فى الأدراج .

وكم يكون من العظمة والفخر أن تبرز هذه الفكرة بيننا وهى فكرة الاتحاد والمحافظة لنكون شعباً واحداً يستهدف آماله الموحدة بخطة منسقة محدودة المعالم واضحة الخطوط بعد أن تلاشت صورة التكتل اللفظى الذى

سيطر على عقول الكثيرين منا سنين طويلة وأعمانا عن إدراك ما كان يدور وراء الستار ، أو بين طيات الظلام . ومن يستعيد تاريخ الأمة القبطية يجد أنها لم تنهض ولم ترق إلا على أثر الأحداث والأزمات التى تصقلها وتوحى إليها بوادر الخير ومواطن الضعف فتنال من هذه ، لتعالج تلك .

فعلينا أن نعمل لتنظيم صلاتنا كأفراد أمة قبطية ، وقد وضحت لنا الأمور وتكشفت الأحداث عن مغلفاتها ، ولم يعد هناك ظاهر وباطن للمعنى الواحد أو للتصرف الواحد بل أضحى الأمر ، إما ظاهراً إيجابياً أظاهراً سلبياً ، أو بمعنى آخر ، إما تعاوناً كاملا أو لا تعاون مطلقاً ، لأن المعركة الدائرة اليوم داخل المحيط القبطى هى فى الحقيقة معركة بين اتجاهين : اتجاه المجلس الملى المعروف بعناصره وفروعه واعتماده على سياسة الأخذ والرد ، والاندماج معها فى سلك واحد والتأثر بها وبأهدافها لأنها دعوة الاسترخاء والاستمرار فى التبعية ، وما يشبهها ويقترب منها بل إنها تحتاج إلى جهاد وقوة وعزم وتضحيات وعمل لأنها بناء لشىء جديد وتجمع لعناصر متفرقة تنبض بالحياة ولكن ينقصها التصميم والإيمان .

والاتجاه الثانى وهو اتجاه المجمع المقدس الذى ينصرف إلى تغيير القواعد التى كانت متبعة فيما مضى وإحلال قواعد جديدة بدلها تقوم على الاعتزاز بالشخصية وعلى دعوة جديدة وهى دعوة النهوض بالوعى وهذا لا يحتاج لأكثر من الرضا والتسليم والبحث فى جميع الوسائل السلمية التى يتكيف بها مستقبل تلك الأمة .

ولقد كان الحديث على هذا المستقبل قبل ذلك أمراً دقيقاً أو شائكا يحتاج إلى لباقة ومهارة فى اختيار ألفاظه وكلماته خشية أن تفسر كلها أو بعضها بغير معناها وفى ذلك ما يزيد الفرصة اتساعاً أمام العقول الرجعية والنفوس المريضة والهمم البليدة الباردة والمقصود من هذه الاشارة العابرة إظهار مدى ما تفيده المحن والأحداث فى بلورة الأمة القبطية .

فالواقع يحتم علينا فتح أعيننا لنرى أكثر مما كنا نراه بالأمس ويحتم

علينا أيضاً فتح قلوبنا لنشعر بالأحاسيس الحقيقية لا بالخيالات الوهمية التى سيطرت علينا وملكت على نفوسنا وعقولنا من قبل . ويجب علينا أن نتحرك من أماكننا التى يبست علينا أطرافنا وأن يكون تحركنا فى كل مضمار وبكل وسيلة وبكل سرعة لأن عدونا قريب منا ورابض بين جنبنا ، يجرى الآن مفاوضات سرية مع بعض العائلات التى لا نشك فى عدم ترددها فى بذل كل جهودها لصيانة وحدتها والدفاع عن كيانها وأنهم جميعاً حريصون على بقاء كتلتهم قوية متماسكة .

وإذا كانت بعض الظروف تحمل على اختلاف وجهات النظر ، فإن الاتصالات الشخصية بواسطة سر الاعتراف ، كفيلة فى أكثر الأحوال ، بتسوية كل أسباب الخلاف ، وقد قلنا أكثر من مرة إن الشعب القبطى ينبغى أن يقام لرأيه وزن كبير ، لأن تأثيره فى الموقف يجب ألا يسقطه أحد من الحساب ، لأن من يتتبع الأخبار التى تذاع عن الحركات والاتجاهات الشعبية ، يلاحظ أن ميزانها آخذ فى الارتفاع ، بشكل يبقى لكل واحد فيه كيانه الكامل واستقلال رأيه التام ، بجانب تنسيق خطوط السير نحو مستقبل مشرق .

وهذه العوامل ستحتاج إلى مضاعفات خاصة لتكون عناصر الوحدة شاملة ، بعد أن ظللنا سنوات عديدة نرنو إلى وحدة المصالح ، ووحدة المستقبل ، ونتوق إلى وحدة اللغة ، والجنس ، والدين . وقد أصبح واضحاً للجميع ، أن النواحى التى كانت مهملة بالأمس القريب ، يجب أن يكون لها نفس الاعتبار الخاص من الآن فصاعداً ، وإن كل ما عداها سيأتى أو سيلحق من تلقاء نفسه بصورة تلقائية لا صعوبة فيها .

ومن المؤكد أن الأيام القادمة ، ستكشف عن الاتجاه الذى تسير فيه الأمور ، ونعتقد أن كل الظواهر تؤيد ما نقوله وما نكتبه ، لأجيال لها حق المطالبة بحقوقها المكتسبة ، كما نحن الآن وقد رفعنا صوتنا ، وسخرنا قلمنا . فى المطالبة التى هى حق من حقوقنا التى أتركها للوعى القومى ليحكم ويجازى .

سياسة التطور

منذ سبعين سنة ، أو أكثر ، وتياران يتداولان النصر والهزيمة ، يذهب أحدهما ، أن له الحق فيما يزعم ، ويذهب الآخر أنه المحق ، ولست أدرى أأستطيع أن أجعل لهذين التيارين ، الاستقرار والثبات ، أم تظل المعركة مؤذنة بأن تثور ؟

لأن كثيراً ما يقع الصلح بينهما فترة من الزمن ، ثم يقوم النضال على تنازع السلطة ، كما يقوم نضال على الأساليب التى تتناول النظريات والمبادىء ، لأن فلسفة الحياة تتطور مبادؤها ونظرياتها تطوراً كبيراً تأثراً بالحياة ، وأمتنا القبطية تحاول أن تندمج فى هذا التطور من غير أن تتنكر لماضيها أو تنكره ، وإن لم تفكر فى المستحيل من العود إلى هذا الماضى ، أو بعثه بالصورة التى تتصل بجوهره .

ولكن ثمة معركة يسمونها معركة القديم والحديث ، تتجدد وتتطور ، وهى جليلة الخطر لا ريب ، لأنها مظهر حياة الأمة ، واتجاهها فى الحياة بدقة التعبير من كل قصور أو تقصير ، يجب أن نجاريها فى تجددها وتطورها ، لأنها أداة التعبير عن الحياة وصورها ومعانيها ، فإن لم تأت بالفائدة المطلوبة ، كان تخلفها وجمودها دليلا على القائمين بها ، وهى الآن تدعو الناس للتعبير عن إحساسهم وأخيلتهم ، بما تنطق به حياتهم ، مع ما تطور إليه العصر ، وما آلت إليه الحضارة التى لا تقبل التخلف أو الجمود ، فى عصر ظهرت فيه مواهب الإنسان ، ولو أن الناس لم يقدروها أول ظهورها ، إلا أنها بعد قليل تفرض نفسها عليهم وتدفعهم راضين أو كارهين إلى الاعتراف بها . والدليل على ذلك ظهور العلماء فى كل العصور وفى كل الأمم ، واعتراف الناس لهم بالسبق ، والإيمان بمواهبهم ومقدرتهم ... وأذكر من هؤلاء ، بين

الكتاب الفرنسيين ، جان جاك روسو الذى اعترف أصدقاؤه وخصومه بمواهبه وامتيازه الذى تغلغل فى نفوس الشعب الفرنسى .

ولعل من أبرز الحقائق التى بدت لرجال الفهم والمعرفة فى الأمة القبطية ، ولربما الشعب القبطى لا يعرف الأسباب الحقيقية التى ترتب حولها قيام هذه المعركة التى تختلف أهدافها عن أهداف الشعب الذى يستبعد نهائياً الأسباب التى تحمله على تصديقها ، لعدم مبرراتها ، ومباحثة المسئولين فيها ، ووضع الأسس التى تقوم عليها لئلا يدركها الوهن والتخاذل ، فتبوء الجهود بالفشل الذريع ، بعد دراساتهم العميقة طيلة هذه السنين ، لأن الزعامة غير مستقرة وليس من المنتظر أن تستقر فى وقت قريب .

فالموقف الآن غير ودى ومعادٍ للحقيقة ، فعلى المسئولين أن يتحملوا مسئولية الموقف الخطير الذى سينجم عن ذلك ، لأن مثل هذا النشاط سيؤدى إلى نتائج عدوانية ، ضد الروح المعنوية فى وقت قريب لأنه من المستحيل أن يؤدى الخطأ إلى الصواب ، ونحن لا شك قد وضعنا أنفسنا موضع الخطأ بهذا العمل الذى لا ينبغى أن نقومُ به مهما تكن أسباب الاستفزاز التى تدعو إلى ذلك .

لأن الحوادث التى جاءت بفعل أفراد فاقدى الاتزان ، يجب ألا نعلق عليها ، لسلامة عقائدنا وحرية أسرارنا المقدسة ، واستقلال تقاليدنا ، لأننا نعلم جميعاً ، أن كل عام سيشهد تقدماً عن العام الذى سبقه .

ولكن من قصر نظرنا دائماً ، نمنى أنفسنا بأننا سنحقق مطالبنا ما بين يوم وليلة ، بينما الطريق الذى نسلكه الآن ، ليس هو طريق المشروعات التى تهز الأرض والتى تستعصى على التحقيق ، ولا كذلك طريق اليأس الذى يخلو من كل أمل فى التقدم خوفاً مما يحف به من مخاطر ، وإنما نحاول أن نسير قدماً سيراً عملياً إنشائياً فى خطوات وطيدة نحو أهدافنا ، وما يتصل بذلك من استخدام كل ما يحقق التقدم السريع فى هذا الميدان يستطيع

الإنسان أن يتعلم ، ليتغلب على مخاوفه وأوهامه بنفس الطريقة التى تعلم بها أجدادنا وآباؤنا ، فاستطاعوا أن يغوصوا فى أعماق أسرار الطبيعة ، وسخروها لخدمة الإنسانية جمعاء .

فالكنيسة اليوم توجه أهمية كبرى ، لحل مشكلاتنا الشائكة ، وقد وفقت إلى تمهيد طريق المفاوضات ، بعد أن تضاعفت الصعوبات فى سبيل تفاهم ودى بين المجمع المقدس والمجلس الملى ، إذ أن جانباً من الشعب ليس بالكثير ، قد تضاربت تكهناته ، حول الوسيلة التى سيتم بها حل مشكلة الإصلاح ، والتى ستؤدى إلى عقد اتفاق شامل يكون من نتيجة استقرار الأوضاع وعودة التفاهم بين الشعب والإكليروس ، فكلما زاد اطمئناننا من هذه الناحية تضاعفت استجاباتنا على ممر الأيام ، ويكون عامل الثقة بيننا عامل أساسى ما فى ذلك شك ، فكل أعمالنا ينبغى أن تكون دائماً فوق الشبهات ، وأبعد من أن يتناولها القيل والقال .

هذه خطتنا ، وهى ترضى ضميرنا ، وإنها تزداد مع الزمن قوة وإخلاصاً وتضامناً ، وبذلك يمكن التوفيق بين جهود المجمع المقدس ، وجهود المجلس الملى ، على الأسس الصحيحة ، ليباشروا العمل فى نطاق الوحدة القبطية ، ليثبتوا أنهم جديرون بحمل الأمانة ، وليساهموا فى نشر رسالة الإصلاح وما يترتب على جميع المشروعات التى تضطلع بها النهضة القبطية الكفيلة بعوامل الاطمئنان للمستقبل الذى لا بد له من مواجهة المشاكل الاجتماعية التى تكشف الحياة الاقتصادية ، وتحقيق الآمال الثقافية مع نشر الوعى ، وإعداد شبابنا للتجاوب مع برامج الإصلاح تجاوباً اختيارياً لينهضوا به ، ويكونوا مرشدين وعاملين فى محيطهم القبطى ، يوجهون إخوانهم إلى أحدث أساليب العمل ، فضلا عن أن هذا التوجيه سيفتح مجال العمل المنتج المثمر لعدد كبير من الشباب المثقف الذين سيكونون قدوة صالحة لزملاء لهم ، يقبلون على العمل بحماسة مختلفة القوة ، تعبر فيما بعد ، أننا كنا نؤمن بالفرد

وقوته ، وبالمجتمع وتكامله ، لأننا نعمل للمجموع ، ولا نعمل لجماعة من الناس ، وإنما نعمل لكل المجتمع القبطى كوحدة متكاملة .

وليعلم رجال الفكر والعلم ، ورجال الهيئات السياسية والدينية والاجتماعية وأساتذة المدارس والطلبة ، أن النهضة القبطية تمتاز باتجاهات ثلاث هى :

أولا : درس حالتنا على ضوء الماضى والحاضر ، حتى نستطيع أن نحكم على المستقبل ، وأن نضع السياسة الطويلة الأجل التى تكفل النهوض الشامل للمشروعات المختلفة فى المحيط القبطى ، والذى يريده كل قبطى من اتحادنا هو نشر الدين فى كل مكان ، وأن نعمل على خلق جيل جديد أفضل من جيلنا الحاضر ، ثقافة روحية وفنية واجتماعية .

ثانياً : وسائل التوضيح ، وبخاصة فيما يشغل الأذهان فى الوقت الحاضر وذلك بتوضيح ظواهر العادات المستحسنة عند الناس ليفهموها ويحيطوا بوسائل استغلالها ، وما قد يقومون به من تجارب ، وذلك بتقديم الموضوعات ، وتصوير جهود الذين خدموا الأمة القبطية وما أصابوه من النجاح أو الفشل حتى وصلوا إلى ما بلغوه من كشف الحقائق التى تضم مجموعة من وسائل التوضيح .

ثالثاً : تنسيق سياسة العمل لتحقيق بعض المسائل التى تتعلق بالمستقبل القريب على أساس سليم ، حتى نستطيع التطلع إلى مستقبل أعظم ، تكون فيه الأمة القبطية قد نالت رغبتها بصورة غير مستترة ، لتكون سمعة المشروعات دائماً منزهة وبعيدة عن أن ينالها شك أو تجريح .

والأقباط دائماً حساسون فى مشروعاتهم ، بغية معرفة الاتجاه بها حتى يطمئنوا إلى مصيرها ، وكلما زاد الاطمئنان زاد النشاط والتفكير فى الإفادة من التنظيم الذى اتخذ فى سبيلها ، حتى يكفل للمشروعات صفة الاستمرار الذى يحقق الأمانى القبطية ، لأن كل أمة من أمم الأرض المتمدينة عليها واجب الدفاع عن تنفيذ مشروعاتها ، ولها الحق أيضاً فى أن تقرر بنفسها

دون أى تدخل خارجى — نوع النظام الداخلى الذى تريده أن يقوم على مبدأ المرونة ، ويخضع لضرورة التطور والتقدم ، وما يرتكز عليه من سياسة عملية تعارض التكتلات وتدعو إلى الوحدة ، لأن التكتلات توجد أحزاب معارضة قوية ، وأحزاب مؤيدة .

فهذا الطابع لا يتضمن معنى الاعتراف بأن الأمة القبطية تبلغ أهدافها بعد ، لأننا يتنازعنا الآن رأيان ، أحدهما يرى ضرورة حل مشكلة المجمع المقدس والمجلس الملى قبل الشروع فى تنفيذ برنامج الإصلاح ، إذ يرى أن حلها يساعد على نجاح هذا البرنامج ، والرأى الآخر يؤثر الإقدام على تنفيذ المشروعات الإصلاحية ويعتبر ذلك تمهيداً طيباً لحل مشكلة الطرفين . وقد عقدت الأمة القبطية ، على أن تواجه هذه المشكلة بنظرة واقعية تمكنها من التوفيق إلى نتيجة مرضية ، لا يمكن أن يتجاهلها المهتمون بمصلحة الشعب ومشروعاته .

المجلس الملى ونظامه وتصرفاته

يسير المجلس الملى بتشكيله الحالى وبإيعاز من وكيله ، على خطة الافتئات على السلطة البطريركية ، بل وخلق الحوادث للاصطدام بهذه السلطة وتحديها تحدياً . فإذا آنس من رجال الدين تسامحاً — والتسامح من شيم الرياسة الدينية — زاده هذا التسامح غطرسة ، فظل سادراً فى بغيه وطغيانه .

ولقد ظهرت آثار هذا الطغيان بشكل واضح فاضح فى أول عهد مثلث الرحمة الأنبا مكاريوس البطريرك السابق ، كما ظهرت فى هذه الأيام فى عهد غبطة البابا الأنبا يوساب . والطغيان فى كلتا الحالتين هو نتيجة لتسامح كل من الحبرين فى تفويض المجلس أو وكيله بالقيام ببعض الاختصاصات التى احتفظ بها القانون للبطريرك ، بوصفه رئيساً لأمة الأقباط الأرثوذكس ، وناظراً لأوقافها عموماً ، ورئيساً للمجلس الملى ، ويشاركه فى ذلك حضرات أصحاب النيافة الآباء الأساقفة .

وتنم أعمال المجلس على أن هناك خطة مرسومة ، هى شطر رياسة الأمة شطرين :

الأول : منصب دينى محض ، هو منصب البابا البطريرك .

والثانى : منصب زعامة الأمة ، ويتبوأه وكيل المجلس ، وتكون اختصاصاته كاملة شاملة بحكم أمره فى شئون الأقباط كائنة ما كانت ، اللهم إلا ما تعلق بالشعائر الدينية فحسب ، وهى كما ترى قسمة ، اختص فيها وكيل المجلس بنصيب الأسد .

ونحن إذ نكشف عن هذه الخطة ، لا نأتى بشىء من عندياتنا ، بل نأخذ عن مذكرة وضعها أخيراً وكيل المجلس فى شكل نشرة وزعها ، وقد جاء بها ما يأتى :

« ويتضح من استعراض هذه القرارات أن المجلس ، وهو يعلم أن البابا البطريرك هو رئيس المجلس ، كان يهدف إلى إبعاد غبطته عن التدخل ، من قرب أو من بعد ، فى كل ما يخص الأموال ، لحكمة يعلمها كل من عمل فى المجالس الملية المتعاقبة ..... »

ويؤيد فكرة إقصاء البطريرك عن كل عمل يدخل فى نطاق وظيفته ، التصريحات الواردة فى المذكرات المقدمة إلى القضاء فى القضايا التى لم يتورع وكيل المجلس من رفعها فى سنة ١٩٤٥ عن مثلث الرحمة الأنبا مكاريوس ، فقد جاء فى غير موضع من تلك المذكرات ، إشارة إلى ما يسميه وكيل المجلس بالنظام الديموقراطى للكنيسة والأمة الأرثوذكسية ، وإلى أن المجلس الملى بوصفه جمعية ديموقراطية ، قد حل محل نظام البطريركية البائد ، وأن عهد البطريركية قد مضى وانقضى ، ويجب أن يسلم زمام السلطة ومقاليد الأمور إلى المجلس الملى الذى يمثل الديموقراطية .

هذا هو التدليل المضحك المبكى الذى يتذرع به وكيل المجلس فى مناوأته للسلطة الدينية للأقباط الأرثوذكس ، وهذا التدليل ، إن دل على شىء ، فعلى روح خبيثة هدامة تصنع الفتنة والدسيسة بين أفراد الأمة الواحدة ، فى وقت ينادى فيه من كل جانب ومن كل صوب وحدب بالتضامن والاتحاد والسلام والوئام .

وغير خاف أنه ليس فى الدين أوتوقراطية أو ديموقراطية ، بل هى سنن خالدة يتلقاها البطاركة خلفاً عن سلف ، ولا يزحزحها قيد أنملة ، مثل هذا الهذيان من إناس يتطفلون على الدين ، والدين برىء منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

والمدهش أن وكيل المجلس لا يشعر بموقفه المزرى ، ولا يرعوى بعد أن نبهته الحكومة غير مرة ، بناء على إفتاء رجال القانون فيها ، بل ويصم أذنيه عن سماع الحقيقة القانونية المبينة ، ألا وهى ، أن وكالته ليست وكالة

أمة ، إنما هى وكالة المجلس دون سواه ، وأن الغرض منها الحلول محل البطريرك فى هذه الهيئة بالذات ، إذا غاب البطريرك واعتذر عن الحضور ، وأن شخصية وكيل المجلس تتلاشى من الوجود ، وتبتلعها شخصية البطريرك إذا رأس غبطته الانعقاد وتتلاشى كذلك على كل حال فى تنفيذ قرارات المجلس الملى ، سواء حضر البطريرك أو لم يحضر الجلسة التى تصدر فيها هذه القرارات .

وقد بلغ صلف وكيل المجلس وغروره ، حد إبلاغ غبطة البطريرك مكاتبة واردة من إحدى الوزارات ، وذلك بمقتضى كتاب دورى مطبوع بصيغة التبليغ ، للعلم بما جاء به ودراسته ، كأنه يخاطب مرؤوساً لديه ، وهذا العمل النابى فى حد ذاته ينم عن جهل وكيل المجلس أو تجاهله قدر نفسه ، فمن أين له فض بريد المجلس ، وهو ليس بالرئيس ، وكيف ، وقد ارتكب هذا الاعتداء ، وجسر على مخاطبة رئيسه بهذه اللهجة المنكرة ؟

ولكن جرأة وكيل المجلس ومن لف لفه ، قد بلغت فى المرة الأخيرة درجة لم يصل إليها أحد منذ أنشىء المجلس الملى حتى الآن ، إذ تجاسر الوكيل السابق على سحب مبلغ ... ,١٠٠ جنيه تقريباً من أموال البطريركية ، من المصرف الذى كانت مودعة فيه ، وأودع هذه الأموال مصرفاً آخر باسمه الخاص ، الأمر الذى حدا ببعض أفراد الأمة ، إلى تبليغ الواقعة إلى سيادة النائب العام باعتبارها جريمة معاقباً عليها .

وفى الحق أن السيل قد بلغ الزبى ، وأن أمر وكيل المجلس قد استفحل ، وقد آن أوان تفهيم وكيل المجلس مركزه الحقيقى ، بل آن الأوان لاتخاذ طرق علاج ناجعة ، وهذا ما حدا بنا إلى كتابة هذه الكلمة ، وقد قسمنا الكلام فيها إلى الأبواب الآتية :

أولا — البطريركية وكنهها وسلطتها .

ثانياً — إنشاء المجلس الملى وكنه هذا المجلس .

ثالثاً — تشريعات المجلس الملى وما يستفاد منها :

(ا) القانون رقم ٨ لسنة ١٩٠٨ .

(ب) القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ .

(ج) اللائحة الداخلية الصادرة بتاريخ ١٦ نوفبر سنة ١٩٢٠ .

(د) القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ .

رابعاً — أعمال المجلس الملى ومخالفة إجراءاته للقانون .

خامساً — طرق العلاج .

أولا — البطريركية ، كنهها وسلطتها

لفظة البطريركية فى اصطلاحات القانون العام ، معناها الطائفة المسيحية التى يرأسها البطريرك ، ومعنى البطريرك رئيس الآباء الروحانيين من أساقفة وكهنة وباقى الرتب المبينة فى القانون الكنسى . فالبطريرك إذن هو رمز الطائفة القبطية وعنوانها . ويرجع ذلك إلى أقدم عصور المسيحية . فلما فتح آل عثمان القسطنطينية أقر السلطان محمد الفاتح الوضع القائم واعتمد جناديوس سكولاريوس بطريرك الروم الأرثوذكس ويواقيم بطريرك الأرمن الأرثوذكس وقتئذ واعترف بكل ما كان قائماً لهما قبل الفتح من سلطة ومزايا واختصاصات . وقد جرى الباب العالى على هذا النمط منذ ذلك الحين ، الأمر الذى يتضح صراحة من الخط الهمايونى الشريف الصادر فى فبراير سنة ١٨٥٦ م وقد جاء فيه ما يلى حرفياً : ويسير توفيق الرخصة والاقتدار اللذين تكرم بإعطائهما من طرف حضرة ساكن الجنان السلطان أبى الفتح محمد خان الثانى ، ومن خلفائه العظام إلى البطاركة والأساقفة المسيحيين .

يتبين من ذلك أن المعاملة بين سلاطين آل عثمان وبين الأمم المسيحية حتى هذا العهد الأخير كان فى شخص الرؤساء الدينيين للأمم المذكورة وأن

التحدث عن كل أمة يرجع إلى الرئيس الدينى الأعلى ، أى البطريرك الذى يمثل فى نظر الباب العالى ، الأمة المقام رئيساً عليها وذلك فى كافة الشئون .

وقد جرى العمل كذلك فى مصر . فإن الخديويين كانوا هم أيضاً يعتبرون إن البطريرك هو المتحدث الوحيد على شئون الأقباط وأحسن دليل على ذلك الأمر العالى الصادر فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٢ (٢١ محرم سنة ١٢٠٠) لنظارة الأوقاف وقد ذكر فيه ، إن من يتولى وظيفة البطريركية يكون له النظارة فى أوقاف القبط عموماً مع الرخصة فى كافة الإجراءات التى تلزم . كما ذكر فيه أيضاً أن البطريرك هو رئيس الأمة القبطية وهو الأجدر بنظارة أوقافهم من غيره وقد صدر لمحافظة مصر أمر فى ٢٩ ذى القعدة سنة ١٢٨١ نمرة ٢٤ بتوجيه نظر أوقاف الأقباط إلى البطريرك واعتماد تكلمه على كافة الأوقاف حسب تصرف نظارة الأوقاف بالحالة التى كان عليها أسلافه . . .

والمجلس لا يجهل ذلك بل هو نفسه قد تمسك بالأمرين العاليين المشار إليهما لإثبات صفة البطريرك فى نظارة أوقاف الأقباط عموماً وقدم صورتيهما ضمن ما قدم من مستندات إلى وزير العدل بتاريخ ١١ أبريل سنة ١٩٤٤ والمنشورة فى الوقائع المصرية بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٤٤ رقم ٦١ هذا ولا يخلو تاريخ مذكرة وزير العدل من مصادفة عجيبة لأن تاريخ ١٤ مايو الذى صدرت فيه لائحة المجلس الملى فى سنة ١٨٨٣ وبعد ذلك بواحد وستين عاماً بالضبط يثبت الوزير إقرار المجلس الملى بأن غبطة البطريرك هو رئيس الأمة القبطية الأوحد وأن له بهذه الصفة نظارة أوقاف الأقباط عموماً ومن جهة أخرى فإن القضاء عبر عن هذا أحسن تعبير فى الحكم الصادر من محكمة استئناف مصر الأهلية الذى جاء به ما يلى :

« إن الاعتراف بالشخصية القانونية للبطريرك ، فى إدارة الكنائس والأديرة ومحلات البر ، يتعين معه القول بأن للبطركخانات الشخصية القانونية

لاكتساب الحقوق المدنية فى العقارات أو المنقولات التى تقتضيها تلك الإدارة الدينية كسائر الأشخاص المعنوية الأخرى الغير دينية فكل ما يحصل عليه البطريرك من هذه الحقوق ، سواء كانت بواسطته شخصياً أو من ينوب عنه تكون تابعة للبطركخانة بصفتها شخصاً معنوياً دينياً ، على أن توزيع هذه الحقوق على المعاهد الدينية التى يديرها البطريرك لا تجعل لكل واحد من هذه المعاهد شخصية معنوية خاصة ، لأن توزيع الحقوق المدنية على هذه المرافق ، مسألة داخلية للبطركخانة ، لا يجعل لأحدها شخصية قانونية خارجة عن شخصية البطركخانة .

ذلك لأن غرض الخلفاء والسلاطين من العهود والأوامر بشأنها هو الاعتراف بوجود دين المسيحية أو اليهودية والسماح لطوائفها بإقامة شعائرها حسب طقوسها وأن تكون المعاهد الدينية لكل طائفة منها مكونة لشخصية واحدة لا تقبل التجزئة تحت إشراف رئيس دينى يمثلها البطريرك أو الحاخام ومتى تقرر ذلك كان كل حق كالملكية وغيرها التى تخصص لأى معهد من المعاهد الدينية هو حق للبطركخانة التابعة لها هذه المعاهد » (استئناف مصر ١٨ فبراير سنة ١٩٣٤ — ٩٥/٤) .

وقد أخذت محكمة النقض والابرام بهذا المبدأ السليم فى الحكم الصادر منها بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٤٢ إذ حكمت لمثلث الرحمة الأنبا يؤنس البطريرك بصفته ، بتثبيت ملكيته للأطيان التى كان اقتناها الأنبا مرقس مطران كرسى إسنا والأقصر (حكم النقض فى القضية رقم ٥٧ س ١١ قضائية) . ومغزى حكم النقض أن غبطة بطريرك الأقباط هو المتحدث على ما يخص الامة من حقوق مهما كانت وحيث كانت .

ولا يخلو من الفائدة فى هذا المقام أن نذكر بأن الطوائف المسيحية عموماً تدير أوقافها بواسطة رجال من العلمانيين برياسة البطريرك أو الأسقف ، وهاكم حرفياً النص الوارد فى مجموعة قوانين الكنيسة : « إن الأسقف هو

لمدير الأول للأوقاف الخيرية فى أبروشيته ، وأن باقى الأعضاء لا يعملون إلا باسمه وتحت إشرافه وبأمرته وبمحض إرادته ، فإذا قرر الأسقف وجه صرف ، وخالفه فيه أعضاء مجلسه فإن هؤلاء لا يمكنهم الحيلولة دون تنفيذ ما أشار به الأسقف .

وحسبنا ما تقدم من أدلة للقول بأن البطريركية شخصية معنوية يمثلها البطريرك دون سواه وهو يمثلها دينياً ومدنياً على السواء .

ثانياً — إنشاء المجلس الملى وماهيته

إن أول من فكر فى إيجاد هيئة منظمة من العلمانيين تشترك مع البطريركية فيما يتعلق بشئون الأقباط ، هو الأنبا مرقس مطران الاسكندرية ووكيل البطريركية فى سنة ١٨٧٢ . وذلك بقصد تخفيف عبء الشئون المالية عن كاهل رجال الاكليروس حتى ينصرفوا إلى الشئون الدينية .

ولما انتخب مثلث الرحمة الانبا كيرلس الخامس بطريركاً فى سنة ١٨٧٤ شاطر وكيل البطريركية رأيه السابق . ويكفى ذلك دليلا على أن رجال الدين لا يبيعون الروحيات بالماديات . وكان الأمر قاصراً فى بادىء الأمر على انتخاب أعضاء المجلس ، ثم عرض أسمائهم على سمو الخديوى ليصدر أمره باعتماد الانتخاب . فلما كانت سنة ١٨٨٣ وضعت أول لائحة للمجلس الملى ، وهى اللائحة المعمول بها الآن بعد التعديل الصادر بالقانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ .

وجدير بالتذكير ، أن مثلث الرحمة الانبا كيرلس الخامس قد عاصر تشريع المجلس الملى منذ البداية حتى النهاية ، إذ صدرت أول لائحة فى ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ . وكان يتبوأ كرسى البطريركية . وصدر القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ فى ٢٢ يوليه من تلك السنة ، أى قبل وفاته بخمسة عشر يوماً لا تزيد فلم يكن مثله خبير بالشئون الملية .

ومن يتتبع هذا التشريع الملى خطوة خطوة ، يمكنه استنتاج ما كان يحدث من أزمات بين المجلس الملى وبين البطريركية إذ ذاك . وما كانت تتخذه الحكومة من إجراءات تشريعية لحل الأزمات . ووضع الأمور فى نصابها وسنأتى ببيان خطوات التشريع الملى فى الكلمة التالية . ولكننا جئنا بهذه المقدمة لنثبت بالدليل التاريخى أن الغرض من إيجاد المجلس الملى كان الاستعانة ببعض رجال القبط المخلصين فى الشئون المالية الخاصة بالبطريركية وإن ذلك كان بمحض إرادة رجال الاكليروس ، وإنه لا علاقة فى الموضوع بما يسميه وكيل المجلس الملى خطأ بديموقراطية الشعب التى حلت محل أوتوقراطية الاكليروس .

ولا محل للكلام عن تلك الديموقراطية المزعومة . لانتحال صفة ليست للمجلس بحال ، لأن الأمر لا يعدو أن رجال المجلس الملى جاءوا ليديروا أموالا ليست لهم ولا لغيرهم من العلمانيين ، إنما هى أموال البطريركية .

ومهما يكن من الأمر فانه يبدو جلياً ناصعاً من لائحة سنة ١٨٨٣ أن المجلس الملى لم يؤت به كابوساً يجثم فوق صدر البطريركية ، وإنما جىء به ليكون ملاكا رحيما لرجال البطريركية ، جىء به ليكون إبناً باراً لغبطة البطريرك ، لا ليكون الولد العاق الذى يعتدى على ما للبطريرك من حقوق .

ونظرة واحدة إلى اللائحة تبرز المعنى الذى نشير إليه . فمركز المجلس هو بدار البطريرك (مادة ١) وجمعية انتخاب الأعضاء تعقد برياسة غبطة البطريرك (مادة ٢) ورئاسة المجلس هى لغبطة البطريرك . وانتخاب وكيل المجلس يكون من بين أعضاء المجلس الملى بأغلبية الأصوات أو بتعيين من غبطته (مادة ٣) ورئيس المجلس الروحى هو غبطة البطريرك أو من ينوب عنه (مادة ١٧) ورئيس المجلس الفرعى « هو الأسقف » أو الرئيس الروحانى الذى يعينه غبطة البطريرك (مادة ١٩) لرئيس المجلس دون سواه ، أى لغبطة البطريرك ، طلب انعقاد جلسة غير اعتيادية للمجلس (مادة ٢٢)

وتنفيذ قرارات المجلس موكول إلى غبطته (مادة ٢٩) . وثمة مواد أخرى من هذا القبيل لم نأت بها فى هذا البيان .

ولكن الأمر الذى نرى لفت النظر إليه بصفة خاصة ، هو أن المجلس الملى ليس إلا أداة إدارية للبطريركية ، وليس له شخصية معنوية تؤهله لتمثيل البطريركية والتحدث عن شئونها . ويؤكد هذا المعنى ما جاء بفقرات المادتين (٩) و (١٤) من أن الحجج والتقاسيط والسجلات على اختلاف أنواعها تحفظ بخزينة الدار (البطرنكانة) وكذلك ماجاء بالمادة (١٥) من أن قلم الإدارة يكون بالبطرنكانة . ولو أن المشرع أراد منح المجلس الملى الشخصية المعنوية ، لنص على ذلك صراحة فى اللائحة ، ولكن الأمر على عكس ذلك ، لأنه عند ما تكلم فى أخص خصائص الشخصية المعنوية وهو المال ، فإنه نص على خزينة البطريركية (المادة ٩) .

وفضلا عن ذلك فإن النصوص تفيد أن رئاسة المجلس هى للبطريرك وأن تنفيذ قرارات المجلس منوط بالبطريرك دون سواه ، وهو أيضاً الذى يمثل البطريركية صاحبة الشخصية المعنوية ، إذ أن الأدلة التاريخية ، والإدارية والقضائية التى أوضحناها فى الكلمة السابقة تشهد بذلك .

ثالثاً — تشريعات المجلس الملى وما يستفاد منها

منذ أن بدىء بتنفيذ لائحة ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ ، لاحظ مثلث الرحمة الأنبا كيرلس الخامس ، ما ينزع إليه رجال المجلس من الاستئثار بأمور البطريركية دون الجالس على كرسيها المتقلد زمامها . ومع أنه رحمه الله كان مشهور بالزهد الكامل فى العرض الزائل ، إلا أن ذلك لم يثنه عن الوقوف للمجلس الملى بالمرصاد ، يكبح من جموحه ويحد من طموحه . لأن الرئيس الدينى الأعلى يقتضيه واجب الذمة أن يكون حفيظاً على أموال بذلت للبر ، وأن يحول دون تعريض هذه الأموال للضياع .

ولقد ضحى بشخصه وبكرسيه ، وتحمل النفى إلى الدير بعد تربعه على الكرسى البطريركى فى سبيل المحافظة على ما للبطريركية من حقوق . وسرعان ما فطن الجميع إلى بعد نظر البطريرك المنفى ، فبادروا إلى تقديم العرائض للمقام الخديوى ملتمسين عودته من الدير . وعلى رأس الملتمسين المغفور له بطرس باشا غالى مع أنه كان من أعضاء المجلس الملى البارزين .

عاد الأنبا كيرلس الخامس من الدير ، وعاود أعضاء المجلس الملى سيرتهم الأولى من تصرفات ، أقل ما يقال فيها أنها كانت شاذة غير مستساغة . فكان البطريرك يتصدى لها ولا ينفذها . ولو قدر للقرارات الصادرة من المجلس فى ذلك العهد أن تبعث من مستواها ، لفتحت صفحة ذهبية للبطريرك الراحل المناضل .

ونعتقد أنه مازال عالقاً بالأذهان أمر تلك الصفقة التى كان المجلس قد قررها لصالح أحد أعضائه بخسارة فادحة على البطريركية — تلك الصفقة التى تحولت بحزم البطريرك إلى صفعة لرجال المجلس الملى فى ذلك الحين . والحق يقال إن المغفور له بطرس باشا غالى لما تبين نزاهة البطريرك وإخلاصه ، أصبح يناصره بعد أن كان يناصر الفريق الآخر وأقوى دليل على ذلك هو القانون رقم ٨ لسنة ١٩٠٨ الذى استصدره بطرس باشا غالى نفسه وكان وقتئذ رئيساً لمجلس النظار « الوزراء » .

(ا) القانون رقم ٨ لسنة ١٩٠٨

كانت لائحة سنة ١٨٨٣ تقضى بأن يرأس البطريرك المجلس الملى (مادة ٣) وإذا غاب أو حدث عذر له ، يرأسه وكيل المجلس المنتخب (مادة ٤) . فرأى البطريرك « بحق » أن ترك الرئاسة للوكيل المنتخب لا يستقيم والصبغة الملية الواجب إضفاؤها على المجلس ، والتى تقضى بأن يكون الرئيس أحد رجال الإكليروس . ولما عرض الأمر على المرحوم

بطرس باشا غالى ، أقره واستصدر القانون رقم ٨ لسنة ١٩٠٨ الذى يقضى بتعديل المادتين (٣) ، (٤) من اللائحة بحيث يكون رئيس المجلس البطريرك أو من ينتدبه لذلك ، وكان ينتدب عادة وكيل البطريركية للقيام بالرياسة بدلا عنه ، وظل العمل بهذا القانون حتى تم إدماجه فى القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ م .

(ب) القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢

توفى المغفور له بطرس باشا غالى ، ففقد المتنيح الأنبا كيرلس الخامس بموته عضداً قوياً ، ولكن الله قيض للبطريركية رجلا ثاقب الفكر ، حاد الذكاء ، خبيراً بالأمور الإدارية ، هو دولة اسماعيل صدقى باشا فى ذلك الحين ، وكان وقتئذ وكيلا للداخلية وهى الوزارة المختصة بشئون الطوائف والمجالس الملية .

عرض عليه ما فى لائحة سنة ١٨٨٣ من أوجه نقص كثيرة تقف بالبطريركية من الوصول إلى تحقيق الغرض المقصود من كل قانون ، أى العمل الجدى فى نظام وهدوء ، فاقتنع سيادته بوجهة نظر البطريركية ، وأعد مشروع قانون ، وافقت عليه وزارة الحقانية ، ثم عرض على مجلس شورى القوانين ، فكان سيادته المقرر له والمدافع عنه أمام المجلس المذكور وقد ظفر بإقرار هذا المشروع الذى أصبح القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ م .

وأهم التعديلات التى جاء بها هذا القانون هى الآتية :

أولا : تعديل المادة (٢) بجعل عدد أعضاء المجلس اثنى عشر فقط ويجعل ثلث الأعضاء من الاكليروس .

ثانياً : تعديل المادة (٨) بإخراج أطيان الأديرة الواقعة خارج القاهرة من اختصاص المجلس ، إقراراً للواقع الذى كان قائماً بناء على اتفاق سابق بين البطريرك وبطرس باشا غالى ، ومنوه عنه فى الأمر الكريم الصادر بعودة البطريرك .

ثالثاً : تعديل المادة (٢٩) بإعطاء البطريرك حق الرجوع إلى وزارة الداخلية فى حالة صدور قرارات من المجلس الملى تكون مخالفة للائحة .

وكل هذه التعديلات مبينة أسبابها فى محضر جلسة مجلس الشورى بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٩١٢ .

ولا يغرب عن الأذهان ، أن وكيل الداخلية فى ذلك الحين قد استهل كلامه كالآتى : « ... فى علم حضراتكم أن الخلاف كان قائماً بين السلطة البطريركية وبين فريق من المجلس الملى الذى انتهت مدته بسبب تنازع كل من السلطتين فى الاختصاص الممنوح لها ، وقد أوجب ذلك على الحكومة أن تتدخل فى الأمر بما يستدعى حسم النزاع والخلاف وتصريف الأمور فى مجراها ، فعولت على إدخال التعديلات التى من شأنها التوفيق بين المصالح المتنوعة ، وهذا ما توقفت عليه بعد إنعام النظر ومفاوضة الخبيرين ومن يهمهم أمر الطائفة » .

وبعد هذه الكلمة العامة تطرق وكيل الداخلية إلى بيان أسباب التعديل فى المواد (٢) ، (٣) ، (٨) ، (١٦) ، (١٧) ، (٢٢) ، (٢٣) ، (٢٩) . ونحن نقتصر على نقل بعض ما جاء على لسان وكيل الداخلية فى شأن تعديل المادتين (٢) ، (٢٩) لما لهما من أهمية خاصة فى هذا البحث الممتع .

ومما ذكره فى تعديل المادة (٢) ما يأتى : « رأت الحكومة أن يكون أعضاء المجلس الملى اثنى عشر عضواً فقط ، بغير نواب ، لأن كثرة عدد الأعضاء كان من موجبات إخلال العمل ومن دواعى الشحناء . . . وقد جرى تعديل آخر وهو إدخال العنصر الإكليريكى بنسبة الثلث فى المجلس ، وهذه أمنية رددها الكثيرون من قبل ، والباعث عليها هو أن المسائل الموكول إلى المجلس نظرها لا تخلو جميعها من وجهة دينية يحسن أن يشترك الأعضاء الإكليريكيون فى تقريرها ، وإرشاد المجلس الملى إلى ما يمكن أن يغيب عنه مما له علاقة بالديانة وكذلك يلاحظ أن من اختصاصات المجلس ،

مسائل دينية بحتة كالمحافظة على تنفيذ قوانين الكنيسة ، ورسامة القسس وغير ذلك . . . الأمر الذى يصعب على غير الاكليريكيين أن ينفردوا بنظره دون سواهم .

وهذا الكلام يدل دلالة صريحة على أن الحكومة فى سنة ١٩١٢ قد لمست موطناً هاماً من مواطن الداء ، وهو إقصاء الأعضاء الاكليريكيين عن المجلس الملى ، فإن هذا الإقصاء ليس طبيعياً ولا منطقياً ، إذ المفروض أن مهمة المجلس الملى ، هى إدارة الشئون البطريركية ، وهذه الشئون جميعها على حد تعبير صدقى باشا ، مطبوعة بالطابع الدينى فلا أقل من أن يضرب الإكليريكيون بسهم فى إدارة شئون بطريركيتهم ، لا أن ينفرد بها العلمانيون دونهم .

وكانت وزارة الداخلية فى سنة ١٩١٢ قد أخذت فكرة إشراك العنصر الاكليريكى فى أعمال المجلس الملى عن القواعد التى تضمنها الخط الهمايونى الصادر فى سنة ١٨٥٦ الذى جاء فيه ما يأتى بالنص : « وتحال إدارة المصالح الملية المختصة بحماية المسيحيين ، وباقى الطوائف الغير مسلمة مع إبقاء مجلس روحى مشكل من رهبان كل جماعة وعوامها » . ومعنى ذلك كما يستفاد من الترجمة الفرنسية لهذا النص ، مجلس مشكل من رجال اكليروس وعلمانيين .

فكان إذن تعديل المادة الثانية من لائحة سنة ١٨٨٣ ، تعديلا سليما ، ولا يقل سلامة عنه تعديل المادة (٢٩) الذى قال عنه وكيل الداخلية يومئذ ما يأتى : « كان من أسباب الخلاف القائم بين المجلس والسلطة البطريركية ، أن بعض القرارات لا تنفذ لأنها خارجة عن اختصاص المجلس ، وقد رأت الحكومة ، أولا : أن تقرر بالمادة الجديدة ، مبدأ ضرورة التنفيذ متى صدر القرار بصورة قانونية ، ورأت — ثانياً : أن تحفظ الحق لغبطة البطريرك رئيس المجلس فى أن يعرض على ناظر الداخلية كل ما يراه مخالفاً للائحة من القرارات التى يصدرها المجلس ، وأن يكون لناظر الداخلية بعد الاتفاق

مع ناظر الحقانية الحق فى إيقاف تنفيذ كل قرار يخالف أحكام اللائحة وفى هذا من الضمان ما لا يخفى » .

ويبين من ذلك أن الحكومة تحققت وقتئذ من أن المجلس كان يصدر قرارات لا يصح تنفيذها فأدخلت على اللائحة نصاً يجعل للبطريرك حق الالتجاء إلى تحكيم وزيرى الداخلية والحقانية وهو نص حكيم عبر عنه صدقى باشا بأنه نص ضمان ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا النص كان بمثابة صمام الأمان لأعمال المجلس الملى .

تلك التعديلات كان من شأنها وضع حد لمشاغبات المجلس ولذلك وقعت عليه وقع الصواعق ، ولئن كان تظاهر بقبولها قبولا حسناً ، إلا أن قبوله إياها كان قبولا على مضض ، بدليل أنه عمل على هدمها بطريقة ملتوية ، لا تمت إلى القانون بصلة ، كما سنوضحه فيما يلى .

(ح) اللائحة الداخلية الصادرة في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٠

تضمن القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ مادة (٤) تقضى بوضع لائحة داخلية للمجلس فى مدى خمس سنوات من تاريخ العمل به ، فرأى أنها فرصة سانحة للحصول على ما يعوضه ، ما أفقده القانون المذكور . فتقدم للوزارة بلائحة داخلية صدرت بمقتضى قرار وزارى بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٠ .

ويكفى الاطلاع على المادة الأولى من تلك اللائحة للتحقق من أنها مخالفة صارخة لمبادىء التشريع .

تقع هذه المادة فى الباب الاول وعنوانه اختصاص المجلس الملى العام ، وهذا العنوان غريب فى حد ذاته ، لأن الاختصاص يقرر بمقتضى قانون لا بمقتضى لائحة داخلية كل الغرض منها تنظيم أعمال المجلس ، كما أشير فى قانون سنة ١٩١٢ ، ولكن المجلس أراد توسيع اختصاصه فجاء بهذا العنوان الغريب وطوى تحته أحكاماً أكثر غرابة .

فالمادة الأولى من اللائحة نصها كالآتى :

« ينظر المجلس الملى العام بصفة جمعية عمومية فى المسائل المبينة فى المواد ٨ و ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٩ و ٣٧ من الأمر العالى الصادر فى ١٨٨٣ المعدل بالقانون رقم ٨ لسنة ١٩٠٨ والقانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ . وفضلا عن الاختصاصات السابق تعيينها فى المواد السالفة الذكر ، فإن المجلس يكون مختصاً أيضاً بالنظر فيما يأتى :

لا شك أن المجلس قد أضاف بنص فى لائحة داخلية اختصاصاً غير وارد فى القانون . وقد جاء هذا الاختصاص الجديد الذى أغدقه المجلس على نفسه فى تسع فقرات نأخذ منها موضوعاً واحداً على سبيل المثال :

فالفقرة الثانية نصت على وضع الأنظمة اللازمة للمدارس والكنائس والأوقاف التابعة للمجلس الملى العام والمجالس الفرعية ، وما كان للمجلس أن يتعرض لنظام الكنائس بحال ، لأن كل ما أعطاه إياه القانون من اختصاص فى شأنها هو حصر عددها وعدد قسوسها وخدمتها ، وحصر الأمتعة الموجودة بها (المادة ١٤) . إذن فالنص الوارد فى اللائحة يخالف ما جاء بالقانون مخالفة صريحة ، وهذه الملاحظة تنصب على ما هو خاص بالكنائس فى الفقرة (٣) وفى المادة (٧) من نفس اللائحة الداخلية .

ولئن كنا اخترنا هذا الموضوع بالذات ، فذلك لأنه كان طرح بحثه على القضاء فى صدد قرارين صادرين من المجلس الملى بعزل ناظر كنيسة معين من المطران المختص ، وتعيين ناظر آخر بمعرفته هو . وقد قالت المحكمة فى ذلك « وحيث إن المادة (١٤) من لائحة ترتيب واختصاصات مجلس الأقباط الأرثوذكس العام ، وهى المادة الوحيدة التى عالجت إختصاصات المجلس الملى العام بالنسبة للكنائس ، قصرت اختصاص المجلس على حصر عدد الكنائس وقسسها وخدمها وعدد الأديرة والرهبان وغيرهم الموجودين فيها ، وحصر الأمتعة وتحديد سجلات بكل كنيسة يقيدبها من يتعمد بها أو يتزوج أو يتوفى

من الأقباط ... ومن ثم فلا اختصاص للمجلس الملى طبقاً لهذه النصوص فى تعيين نظار الكنائس أو مديرين لأملاكها غير الموقوفة .

« وحيث إنه لما تقدم يكون طلب المدعى استلامه لأملاك كنيسة بناء على قرار صادر من المجلس الملى ، بتعيينه مديراً لهذه الأملاك فى غير محله لصدور هذا القرار ممن لا يملك ولاية التعيين ومن ثم يتعين رفض دعوى المدعى » (حكم محكمة طنطا الابتدائية فى ٨ أبريل سنة ١٩٤٧ وقد تأيد هذا الحكم أخيراً من محكمة استئناف الاسكندرية) .

ولو كان المجلس يعمل فى وضح النهار ، لكان طلب استصدار قانون بإدخال تلك الإختصاصات الجديدة على ماورد باللائحة الصادرة فى سنة ١٨٨٣ وفضلا عن ذلك فقد أتيحت له فرصة القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ وكان فى وسعه إدخال النصوص النظامية المشار اليها ضمن هذا القانون الأخير ولكنه لم يفعل .

ولا يمكن والحالة هذه تعليل سلوك المجلس الملى إلا بأنه يخشى التقدم بتلك التعديلات فيصطدم برجال الاكليروس وعلى رأسهم أسد العرين البابا كيرلس الخامس ، فآثر البقاء فى هذا الموضوع الشاذ ، مكتفياً باللائحة الداخلية وهى لاتصلح أداة لتعديل القانون لأن القانون لايعدل أو يفسخ إلا بقانون مثله ، خصوصاً وأن القانون الصادر بإنشاء المجلس الملى وتحديد اختصاصاته هو قانون يتعلق بالنظام العام لأنه تنظيم لهيئة عامة .

وأقوى دليل على استمساك المجلس الملى بلائحة سنة ١٩٢٠ ، بنصوصها الشاذة ، هو أن القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ يقضى (مادة ٣ فقرة ٢) بأن على المجلس أن يضع لائحة داخلية لنظام أعماله ويعرضها على الحكومة للتصديق عليها وها قد مضى ثمانية وعشرون عاماً على صدور قانون سنة ١٩٢٧ ولم يتقدم المجلس الملى بمشروع هذه اللائحة الداخلية حتى الآن وفى هذا التأخير ما فيه من معنى ومغزى .

(د) القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧

قلنا إن القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ قد خفف من غلواء المجلس الملى إزاء رجال الاكليروس ، وأن مثلث الرحمة الانبا كيرلس الخامس كان واقفاً للمجلس المذكور بالمرصاد . وأن الفقرة الثانية التى أضافها القانون إلى المادة ٢٩ الخاصة بتنفيذ قرارات المجلس كانت بمثابة صمام الأمان فى يد البطريرك لأن قراراً غير سليم يصدر من المجلس كان مصيره عدم التنفيذ ، فضلا عن طرح الموضوع على وزارتى الداخلية والحقانية .

وقد ظل الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٩٢٧ وكان مثلث الرحمة البطريرك قد بلغ من العمر عتياً . واستشعر رجال المجلس أن منيته قد دنت فقاموا فى غفلة منه وتقدموا للبرلمان بمشروع قانون يمحو بجرة قلم تلك النصوص الحكيمة التى وضعها قانونا سنة ١٩٠٨ و ١٩١٢ والتى أبهظت كواهلهم طيلة ربع قرن أو أكثر . وقد طلب مقدم القانون الى مجلس الشيوخ أن ينظر المشروع بطريق الاستعجال حتى لاتأتى وفاة البطريرك الجليل إلا وبيدهم وثيقة الرجوع الى النظام القديم ، والعهد القديم بما فيه من حوادث وكوارث . وكان لهم ما أرادوا ، ونظر القانون بطريق الاستعجال فى البرلمان بمجلسيه ، الأمر الذى جعل المغفور له أحمد ماهر باشا يمتنع عن التصويت (راجع مضبطة مجلس النواب بتاريخ ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٧ ص ١٩) .

وقد صدر القانون رقم ١٩ سنة ١٩٢٧ بدار المفوضية المصرية بلندن فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٧ وكانت وفاة الطيب الذكر كيرلس الخامس فى ٧ أغسطس سنة ١٩٢٧ أعنى بعد صدور القانون الجديد بخمسة عشر يوما فقط .

ولئن ضربنا صفحاً عن نصوص القانون رقم ٣ فى مجموعها فإننا لانرى مبرراً لحذف الفقرة الثانية من المادة (٢١٩) التى جعلت للبطريرك حق الإلتجاء

إلى وزارتى الداخلية والعدل محتكماً ، وعندنا أنه لولم يكن المجلس الملى متجنياً لما خشى هذا التحكيم .

وغير خاف أن إلغاء النص الخاص بالتحكيم فى قانون سنة ١٩٢٧ لم يكن ليمنع غبطة البطريرك من الرجوع الى الحكومة كلما استدعى الأمر ذلك كما حصل فى أوائل سنة ١٩٣١ إذ كان المجلس الملى يدعى اختصاصاً فى رسامة مطران المنيا وكان رئيس الحكومة وقتئذ اسماعيل صدقى باشا . وقد كتب سيادته إلى مثلث الرحمة الأنبا يؤنس خطاباً من رياسة مجلس الوزراء بتاريخ ٢٢ يناير سنة ١٩٣١ رقم ١٠٩ /٥/٢ جاء به ضمناً ما يأتى : « فيما يتعلق بأسقفية المنيا إن البطريرك هو السلطة الدينية العليا وأن الرسامة من الطقوس الدينية ، وأنها من شئون البطريرك ، وأنها إذا تمت لحقت صاحبها كل آثارها ولم يعد يستطاع نقدها أو الرجوع فيها وأنه وإن يكن قانون سنة ١٨٨٣ قد وسع من سلطة المجلس الملى وأباح له ان يدلى برأيه فى تفسير قوانين الكنيسة وتنفيذها وأن يرفع إلى غبطتكم ملاحظاته بذلك ليكون موضع نظركم وتدبركم فانه لم يذهب إلى أن يجعله قيما على السلطة الدينية فى التصرفات الدينية المحضة . ولذلك فلا مناص من اعتبار رسامة أسقف المنيا نهائية واجبة الاحترام .

هذا ولم يفت دولة صدقى باشا — وهو صاحب الفضل فى القانون رقم ٣ سنة ١٩١٢ كما تقدم القول — أن ينوه فى كتابه المشار إليه « بأن قانون المجلس الملى يخول للحكومة سلطة الفصل فى مثل ذلك الخلاف وإلزام المختلفين بحكمها .

ولهذا التنويه أهميته ، لأن كتاب مجلس الوزراء هذا كان بعد صدور القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧ بثلاث سنوات ونيف .

رابعا — أعمال المجلس ومخالفة إجراءاته للقانون

مضى ثمانية وعشرون عاماً على قانون سنة ١٩٢٧ وإذا تساءلنا الان عما قام به المجلس الملى فى هذه الحقبة الطويلة من أعمال إنشائية لمصلحة البطريركية ، لما وجدنا أثراً لعمل يذكر ، بل نجد بالعكس ، أن هذا المجلس كان أداة إتلاف إيجاباً وسلباً . أما الاتلاف إيجاباً ، فلا يمكن حصره هنا وواضح بعضه فى مذكرة كانت تقدمت إلى رئيس الحكومة فى سنة ١٩٤٤ من المجمع المقدس الذى ينظم المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة وقد جاء فى آخرها بيان يتضح منه ، أنه فى المدة من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٤٣ قد باع ما يزيد على ٣٧٣ فداناً وذلك بدون اكتراث بشرط الواقف المذكور صراحة فى الفقرة الرابعة من المادة (٩) من لائحة سنة ١٨٨٣ . وأما الاتلاف سلباً فإننا نذكر على سبيل الحصر الأراضى ملك البطريركية فى فم الخليج التى ضاعت وتضيع يوماً بعد يوم بوضع يد الأهالى عليها بدون أن يحرك المجلس الملى ساكناً .

وهنا نضع علامة استفهام . هل من المصلحة تمكين المجلس الملى من وضع يده على أوقاف الأديرة أم أنه يخشى إذا وضع يده على أوقاف الأديرة يكون مصيرها كمصير أوقاف البطريركية وأملاكها ؟ لأن تصرفات المجلس الملى فى أوقاف وأملاك البطريركية التى يتولى إدارتها ، تبين من فحصها وجود فوضى ، وخلل وإهمال من أفظع ما يكون وها هو البيان :

ثمن اعيان الأوقاف المباعة بالمدة لغاية ١٩٢١

التابعة لإدارة البطرنخانة والمجلس الملى (مستخرج من دفاتر البطرنخانة)

الجملة — مليم	الجملة — جنيه	المفردات — مليم	المفردات — جنيه	الإيرادات
		٣٠٠	١٠	فرق ثمن مبيعات بأوقاف البطريركية
		—	١٤١٠	ثمن أطيان مباعة بسنورس فيوم ١١ ف ٥ ط ١٢ س مباعة إلى محمد زيدان بتاريخ ١٩٢١/١١/١٧
		١٥٦	٨٧	ثمن منزل رقم ٣ بدرب مصطفى إلى جندى عازر بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٢١
		—	٦٠٠	ثمن أرض مباعة بأبو تيج إلى المطران باسيليوس المشلوح فى ذلك الوقت
		٩٠٠	٤٥٦	فرق مبادلة بعمارة القبيلة الإنشائية ما بين عثمان درويش والبطريركية
		—	٣٠٠	ثمن ٢ ف ١ ط ٤ س بناحية منشاة البكارى جيزة إلى ملطى عبد المسيح
		—	٥٠	ثمن منزل بسنورس فى ٢٣ فبراير ١٩١٧
		٣٣٠	١٠	ثمن أرض بدير مارى جرجس بمصر القديمة إلى حسن عطية ١٩ أكتوبر ١٩١٩
		٧٧٦	٧٣	ثمن حصة ٦ ط بمنزل بدرب السهريج إلى عبد السيد كيرلس ١٧ أغسطس ١٩١٧
		١٣٩	٢٠	ثمن حصة ٤ ط ١٦ س بناحية هندفا
		—	١٧٠	ثمن حصة ٢ ط و ٢٠ س بناحية هندفا إلى حسن ومذكورين ٨ أبريل ١٩١٨

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن أخشاب وأنقاض متخلفة من أوقاف البطريركية	٢٥	—		
ثمن أطيان مستبدلة بدير الرمل باطفيح	٣٠	٢٣٥		
ثمن أراضى مباعة لوقف العذراء بالعدوية بولس أفندى جرجس وآخر ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٢	٣٥٠	٢٦٨		
ثمن أراضى مباعة للحكومة بفم الخليج	٣٩٤٩	١٢٠		
ثمن منزل بعطفة شلبى	١٤٢	٥٠٠		
			٧٦٩١	٢٢٤
(تعويضات عن طريق المنازل بجهات)				
عن منزل رقم ٢٩ بعطفة جلبى	٦٠	٦٤		
عن منزل رقم ١٢ بوجه البركة	٢٩٩	٩٩٨		
ثمن أوانى ذهبية لدير الأمير تادرس بحارة الروم	٧١٠	١٢٥		
			١٠٧٠	١٧٨
بدل منفعة أرض المقابر			٢١٣٣	٢٣٥
ثمن الأجزاء الضائعة بالتنظيم			—	٨٢٥
(ثمن أطيان مباعة فى سنة ١٩٢٢ — ٢٣)				
ثمن منزل رقم ١٦ بعطفة السمك بسنقر إلى محمد محمد بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٢٢	١٧٥	—		
ثمن قطعة أرض ١١٤ متر و ١٦ س بمعادى الخبيرى ١٩٢٢/١٢/٤	٥٠	٦١٤		
منزل رقم ٥ بدرب الابراهيمى بدل حصة ١٢ ط بمنزل رقم ٢٥ بعطفة البركة ، فبراير سنة ١٩٢٢	٩٤٣	٣٩٩		

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
فرق بدل ٤ ط ١٢ س بمنزل رقم ٨ بدرب الصواف	١٥٠	—		
ثمن ١٢ ف و ١٩ ط و ٨ س بناحية المشاعلة مباعة إلى محمد أفندى بتاريخ ١ ديسمبر ١٩٢٣	٦٣٠	٧٦٧		
			١٩٤٩	٧٨٠
بدل منفعة أرض المقابر			٨١٤	٧٦٥
(ثمن الأعيان المباعة فى سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤)				
باقى ثمن ١٣ ف و ١٩ ط و ٨ س بناحية المشاعلة إلى محمد أفندى أول ديسمبر سنة ١٩٢٣	٢٥	—		
بدل حصة ٤ لوقف كنيسة كفر يوسف حنس (المبلغ منصرف من الحكومة للبطريركية تعويض)	١٩٩٥	—		
باقى ثمن منزل رقم ١٣ بسوق مسكة بسنقر إلى عطية جرجس فى ١٩ أغسطس ١٩٢٣	٢٤٧	٢٣٠		
ثمن خربة رقم ١ بدرب مصطفى بحارة كنيسة الشوام محمد درويش فى ٣ يوليو ١٩٢٣	١٤٣	—		
ثمن حصة ٧ ط منزل رقم ١٣ بعطفة البارودية أحمد امام فى ٣١ يوليو ١٩٢٣	٥٦			
ثمن خربة رقم ١٥ بعطفة البارودية أحمد امام ٣١ يوليو ١٩٢٣	٥٨			
باقى ثمن منزل رقم ٧ بقاعة الفضة بحارة اليهود يوسف ابراهيم فى ١٣ أغسطس ١٩٢٣	١٢٧	٤٤٠		

الإيرادات	المفردات		الجملة	
	مليم	جنيه	مليم	جنيه
ثمن ٣ متر و ٥٠ س مباعة من منزل الوقف رقم ٨ بعطفة عريان	—	٧		
ثمن خربة رقم ٥ بحارة السقايين ببير القبلى إلى الشيخ ابراهيم ٣٠ نوفبر ١٩٢٣	١٠	٧٥		
			٣٤٦	١٥٩٦٤
(تابع ثمن الأعيان المباعة فى ١٩٢٣ — ١٩٢٤)				
ثمن عزبة رقم ١٠ وجزء من منزل ٥٨ بدرب آدم إلى نجيب غاجه ٣٠ نوفبر ١٩٢٣	٧٥٠	١٠٧١		
ثمن حصة ٨ ط بمنزل متخرب رقم ٣ بدرب الأسطى بسنقر ٥ نوفبر ١٩٢٣	—	٤٠		
قيمة ما خص الوقف بحق ٦ ط فى استبدال ثلاثة دكاكين بحارة السقايين	٣٥٠	٤١		
ثمن عزبة رقم ٦ بعطفة السكرية مساحتها ٣٥ س و ٢٣ف فرح ابراهيم ٦ أبريل١٩٢٥	٩٠٠	١٨٨		
عما كان معلى بالأمانات للمدرسة الاكليريكية واحتسب لجارى الاستبدال من أصل العمارة	٨٤٥	١٥٢		
بدل منفعة أرض المقابر	٥٧٤	٣٧٣		
ثمن الأجزاء الضائعة بالتنظيم من أملاك الوقف	٤٨٤	١١		
			٦٨٣	٤٦١٣
(أعيان مباعة فى ١٩٢٤ — ١٩٢٥)				
باقى ثمن منزل متخرب رقم ٢٥ بدرب الدحديرة ٢٤/٦/١٦	٨٠٠	١٠٦		
ثمن ٦ ط بمنزل رقم ١ والمنزل رقم ٢ بدرب الدحديرة والست دميانة يوسف ٧ أبريل١٩٢٥	—	٣١٠		

الإيرادات	المفردات		الجملة	
	مليم	جنيه	مليم	جنيه
ثمن منزل رقم١٩ بدرب البرق ١٤ مايو ١٩٢٣ إلى جرجس أفندى مسيحه	—	١٥٠		
ثمن منزل رقم ٣١ بالدورة الكبيرة بحارة السقايين ٢٢ أكتوبر ١٩٢١ جندى عازر	٦٥٠	٨٧		
ثمن منزل ودكان بعطفة الخمارة بسنقر حنى محمد بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٢٢	٧٥٠	١٠٨		
ثمن منزل رقم ٢ بحارة السقارى جمعة محمد ٣٠ فبراير ١٩٢٣	—	٣٢٠		
ثمن أنقاض مباعة من أرض الوقف بشارع بهيج ببولاق ٤ يونيه ١٩٢٤	—	١٠٠		
ثمن خربة رقم ٢٤ بعطفة الشيخ سليمان بدرب الحمام إلى محمد على ٣٠ مارس ١٩٢٣	—	٦٥		
ثمن خربة رقم ٢ بعطفة هنيوه إلى على عوف ٢٨ أكتوبر ١٩٢١	—	٦٠		
ثمن خربة رقم ١٥ بشارع الرملى محمد حسنين ٢١ فبراير ١٩٢٤	—	٢٠٠		
ثمن دكان بشارع ساعى البحر نصر حسنين ١٨ أبريل ١٩٢١	—	٤٢		
ثمن خربة رقم ٢٥ بحارة أبو الليف ٣ يونيه سنة ١٩٢٤	١٦٥	١٦٢		
ثمن ١٥ ف ١٥ ط و ٧ س بناحية الحصوة إلى السيد محمد مصطفى زاخر ٢ يونيه سنة ١٩٢٤	٧٨٠	١٣١٧		

الجملة مليم	الجملة جنيه	المفردات مليم	المفردات جنيه	الإيرادات
				(أطيان بناحية المشاعلة)
				ملم جنيه س ط ف
				٤٧٠ ١٠٢ ٢٠ ١٣ ١
				٠٩٠ ١٣٩٧ ١٦ ١٣ ٤٦
		٥٦٠	١٤٩٩	١٢ ٠٣ ٤٨
		—	١٣٧	ثمن ٢٣ ط بناحية فرغانة دقهلية
		—	٢٨	ثمن ... برحبة الكبش
		٤٢	٣٢٦١	ثمن ١٢س ١٥ط ٢٩ف بناحية المعصرة جيزة
		٩٦١	٢١٥	بدل منفعة المقابر
٩٠٨	١٠٥٨٨	—	٧٥٠	تبرعات لعمارة المدرسة الاكليريكية
٩٣٧	٣١١٥٦			
				(أعيان مباعة فى سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦)
		٨٥٠	٢٣٢	من ثمن ٤٦ ف المباعة بناحية المشاعلة سنة ٢٤/٢٥ قسط أول ديسمبر ١٩٢٥
		٩١	٣٩	ثمن أجزاء تالفة بالمنافع العمومية من أعيان الأوقاف بجهات متعددة
		٢٥٠	٧٨١	بدل منفعة أرض المقابر عن المتحصل فى سنة ٢٥/٢٦
		٣٧٠	٥٠	مباع فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٦ ثمن ١٦ ط و ٨ س مباعة من وقف أنبا بولا والمدرسة الأكليريكية بسنورس
		—	٢٨	مباعة فى ٣ أبريل سنة ١٩١٨ ثمن دكاكين بطيلون مباعة إلى محمود الشريعى

الجملة مليم	الجملة جنيه	المفردات مليم	المفردات جنيه	الإيرادات
		٢٠٠	١٠	مباع فى ٢٥ ديسمبر ١٩٢٠ فرق بدل مساومة بناحية الحصوة .
		—	١٧٠	مباع فى ١٢ ديسمبر ١٩٢١ ثمن ١٢ ط و ٩ س بخربة بدرب مصطفى مباعة إلى حسن
		—	١٧٥	مباع فى ١٤ مايو ١٩١٣ فرق بدل ما بين الست بهيجة القمص مرقس والبطريركية
		٣٨٥	٤١٧	مباع فى ٢٧ يوليو ١٩٢٥ ثمن خربة بشارع المدبح بحارة السقايين إلى أحمد مصطفى
١٤٦	١٩٠٤			
		٣٨١	٤٠٢٩	ما خص بوقف القيامة من وقف بيت الرويعى بمصر لغاية يونيه ١٩٢٨
		٩٦٨	١٥٦	ثمن خربة وجزء من خربة بعطفة الحريرى
		٦٣١	٥٣	منزل ٦٨ شارع الخرنفش
		—	٦٦٠	ثمن ٩ ف ٢ ط ٨ س مباعة من أطيان منيل موسى
		٧٥٦	١٤	أجزاء ضائعة بالتنظيم
		٦١٨	١٧٤٤١	ثمن أعيان مأخوذة للمنافع العمومية
		—	٩٠	ثمن خربة ٢٥ بحارة الروم
		٦٥٠	٥٩٨	باقى ثمن أطيان المشاعلة
		٢٤٧	٨	ثمن ١٩ س مأخوذة للمنافع العمومية
		—	٦	ثمن ١ ط ١٧ س مباعة من أطيان المعصرة
		٢٥٣	٨٣١٩	ثمن عقارات وأطيان ضائعة بالتنظيم ومباعة سنة ٢٩ و ٣٠

الجملة مليم	الجملة جنيه	المفردات مليم	المفردات جنيه	الإيرادات
		٢١٥	٢٩٠	ثمن ١٥ ط من خربة جراج بدرب الخولة بحارة السقايين
		—	١٠٠٠	قيمة ما تبرع به غبطة البطريرك الراحل الأنبا يؤنس فى مشروع بناء مدرسة
		١١٠	٤٤١	ثمن خربة نمرة ١١ بعطفة الحريرى للمنافع العمومية
		٢٢٩	١٨٨	ثمن ٢ ف ٢٢ ط ١٧ س مأخوذة للمنافع العمومية من أطيان بلقاس
		—	١١٠٠	ضائع بالتنظيم من أصل مبلغ ٢٢٥٢ج و١٨٠م ثمن عقار رقم ٧ البغدادى
		٦٣٧	١٤	ثمن جزء ضائع بالتنظيم من العقار رقم ٢٣ بدرب الأزهر
		—	١٠٠٠	خربة ضائعة بالتنظيم من أصل مبلغ ٥٥٠ ج و ٢٠٥٨ م من العقار ٤٧
		٢١٥	١	ثمن ١ ط ١٦ س من أطيان الدلنجات
		٥٠٥	٦	ثمن ٣١ س من منزل رقم ٢ بدرب الصهريج
		٤٦٥	٦٣٤	ثمن أرض بفم الخليج ١٩٥ ط ٢٢ س
		١٥٠	١٥	ثمن خربة ضائعة بالتنظيم بعطفة سكر
		١٢٨	١٤	ثمن ضائع بالتنظيم عقار رقم ٤٤ بدرب الأزهر
		٧٣٠	٢٤١٠	قيمة الباقى طرف مصلحة التنظيم ، قيمة ثمن عقار مأجور للمنافع العامة
٦٠٦	٧٠٤٦٦			

تصرفات المجلس الملى فى الأطيان من سنة ١٩٣٢ لغاية سنة ١٩٤٣

ف	ط	س	جهة الأطيان
٣٠	٦	—	أطيان كائنة بناحية القرين مركز فاقوس بيعت إلى ابراهيم سيد عبد الله بتاريخ ٦ يوليو سنة ١٩٣٦ بسعر الفدان الواحد ٤٣ ج و ٥٠٠ مليم
١٢٢	١٣	٧	أطيان كائنة بناحية شنباره منقلا مركز السنبلاوين بيعت إلى حضرة صاحب السعادة محمد صفوت (باشا) بتاريخ ١٧ يوليو سنة ١٩٤٣ بسعر الفدان ٥١ جنيهاً
٥٣	١٣	٢٠	أطيان بناحية أولاد موسى مركز فاقوس بيعت إلى اسماعيل متولى بتاريخ أول سبتمبر ١٩٤٢ بسعر الفدان ٤٣ ج و ٢٥٠ مليما
٤١	١٤	٧	أطيان بناحية أولاد موسى مركز فاقوس بيعت إلى الأستاذ أنطون نجيب عطر المحرر بجريدة المقطم بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٤٣ بسعر الفدان ٩٩ جنيه
٢٦	١٧	—	أطيان بناحية أولاد موسى بيعت إلى حضرة الأميرالاى محمود كامل بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٣٧ بسعر الفدان ٦٠ جنيهاً
٣١	٦	١٨	أطيان بناحية الصوة مركز كفر صقر مديرية الشرقية بيعت إلى ابراهيم رشدى بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٣٨ بسعر ٣٥ ج و ٥٠٠ م
٧	—	—	أطيان بناحية الصوة مركز كفر صقر مديرية الشرقية بيعت إلى ابراهيم الضهرى بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٣٨ بسعر الفدان ٥٠ جنيهاً

ف	ط	س	جهة الأطيان
٧	٨	١٩	أطيان بناحية الصوة مركز كفر صقر بيعت إلى محمد عبد الهادى فى ٦ نوفمبر ١٩٣٨ بسعر الفدان ٥٠ جنيهاً
١٠	٦	٢٢	أطيان بناحية دير الواسطى مركز السنبلاوين بيعت إلى عبد السلام محمود فى ٦ ديسمبر ١٩٤١ بسعر الفدان ١٢٠ ج و ٩٠٠ م
١٦	١٤	٢٢	أطيان بناحية أبو الشقافة مركز الدلنجات بيعت أول فبراير ١٩٤١ إلى الأستاذ فيليب عفيش بسعر الفدان ٥٢ جنيهاً
١٨	٩	—	أطيان بناحية كفر سعد مركز السنبلاوين مديرية الدقهلية بيعت بتاريخ ٦ أبريل ١٩٤١ إلى القمص متى جرجس بسعر الفدان ٥٧ جنيهاً
٤	٣	١٨	أطيان بناحية البدالة مركز المنصورة مديرية الدقهلية بيعت فى ٢٢ فبراير ١٩٤٤ إلى محمد عبد الملك بسعر الفدان ٥٣ ج و ٥٠٠ م
٣	١٢	—	أطيان بناحية الشرقاية مركز كفر صقر مديرية الشرقية بيعت إلى الشيخ سيد عبد الرحيم فى سنة ١٩٣٦
٣٧٣	١٢	١٣	

كشف ببيان اصول وخصوم حساب الاستبدالات

مبيع ومشترى لغاية ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٩

الجملة		المفردات		الإيرادات
مليم	جنيه	مليم	جنيه	
				(سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣)
		١٨٠	١٣٥٢	باقى ثمن ضائع التنظيم فى المنزل ٧ درب بغدادى
		٦٧٥	٢٢٨٣	ما خص البطريركية فى ضائع تنظيم المنزل ٤٧ وجه البركة
		١٠٠	١٢٣٠	ثمن أرض مباعة إلى عثمان داود شارع عماد الدين
		٤٥٠	٢	باقى ثمن ١٥ م ، ٤٨ س أرض مقامة عليها مبانى منزل بفم الخليج مباعة إلى ناشد جرجس
		٠٠٠	١٠٠	باقى ثمن الأطيان المباعة إلى الشيخ محمد محمد شعلان بناحية المشاعلة
		٢١٠	٢٠٦	ثمن ٢٠٦ م ، ٢١ س ضائع تنظيم بالمدرسة الإكليريكية
٤١٥	٥١٧٥			
				(سنة ١٩٣٣ — ١٩٣٤)
		٨٠٠	٢٣٣	ثمن منزل رقم ١٢ شارع المذبح ضائع تنظيم شركة ورثة المرحوم ميخائيل حزين
		٦٠٠	٤٧٧	ثمن خربة رقم ١٧ شارع الأمير فاروق مباع إلى سيد أفندى ابراهيم خطاب

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن فدان و ٦ أسهم مباعة إلى الدكتور الفريد يوسف عقداوى آيل للبطريركية بطريق الوراثة	٧٥	...		
ثمن خربة رقم ١٨ بعطفة المواردى مباعة إلى جرجس عبد المسيح	١٦٤	١٤٣		
من أصل ثمن أنقاض منزل قديم رقم ٤ بالدرب الصواف	١٢	٧٥٠		
ثمن خربة رقم ٥٦ وخربة رقم ٣ بعطفة عبد القدوس بالخرنفش مباعة إلى نجيب اسكندر	٤٤٠	١٥٠		
ثمن ٦٤ متر و ١٥ سنتى أرض فضاء بشارع المذبح للخواجة جرانت	٦٦٠	...		
ثمن خربة ٦١ شارع الأمير فاروق للخواجة ديوننى	٦١٥	٥٦٠		
ثمن ١١ قيراط و ١٢ سهم من أطيان بنى عبيد للمنافع العامة	٢١	٨٧٥		
قيمة تأمين مقاولة عمارة درب الواسع (إخوان ختينة)	٢٤٠	...		
ثمن ٦ متر و ٤٢ سنتى من العقار رقم ٥ حارة درب الجامع كلوت بك مباعة إلى حسن أفندى إدريس	١٢	٨٤٠		
باقى ثمن قطعة أرض بشارع السد البرانى مباعة إلى عياد مسعود والحاج الليثى	١٣	٧٧٥		
			٢٩٦٧	٧٢٣

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
(سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥)				
ثمن أنقاض منزل رقم ١ بحارة زويلة مباع إلى على محجوب على .	٢٨			
ثمن حصة ١١ قيراط فى منزل رقم ٤ بالدور الكبيرة بحارة السقايين مباع إلى ميخائيل افندى بشاره .	١٢١	٨٢٥		
ثمن عقار رقم ٤٠ بحارة كنيسة الأرمن مباع إلى حضرة فريد افندى عبد الله .	٩٤١	٢٥٠		
			١٠٩١	٠٧٥
(سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦)				
ثمن خربة رقم ٣ بعطفة الكبش بطيلون مباعة إلى حسانين موسى .	١٢	٦٨٧		
ثمن ٢٥ قيراط و١١ سهم مأخوذة للمنافع العامة بالدلنجات .	١٢	٧٨٦		
ثمن ١٨ قيراط و ١٦ سهم مأخوذة للمنافع العامة بناحية شنباره منقلا .	٧٧	٧٧٨		
			١٠٣	٢٥٢
			٩٢٣٧	١٧٥
(سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧)				
ثمن ٢ ف ٦ ط ١١ س أطيان منزوع ملكيتها بزمام غزاله	١٠٢	١٣٤		
ثمن ١ ط و ٥ س أطيان منزوع ملكيتها بزمام غزاله	٤٠	٩٦٩		

الإيرادات	المفردات مليم	المفردات جنيه	الجملة مليم	الجملة جنيه
ثمن ١٦ س أطيان منزوع ملكيتها بزمام قحه	٣٣٣	٣		
ثمن ١ ف ، ١ ط ، ١٥ س أطيان منزوع ملكيتها بزمام قحه	٥١٩	٣٤		
فرق ثمن أرض مباعة للشيخ محمد محمد يوسف بمنشاة رضوان	٠٠٠	١٠		
ثمن ١ ط ، ١٦ س أطيان منزوع ملكيتها بزمام صنبو	٨٦١	٤		
			٤١٦	١٩٦
(سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٨)				
ثمن ٣٢١ متر و ٧٥ سنتى أرض فضاء بفم الخليج مباعة إلى ورثة المرحوم محمد ابراهيم رجب	٧٥٧	١١٨١		
ثمن ضائع تنظيم من العقار رقم ٦١ بدرب مصطفى	٣٥٠	١٣١		
ثمن أطيان مباعة بناحية الصوة مركز كفر صقر	٥٤١	٣٩٣		
ثمن أطيان مباعة بناحية الصوة مركز كفر صقر	٢٨٤	١٠٦٦		
فرق بدل أطيان بناحية منشاة رضوان مع الشيخ محمد محمد يوسف	٥٠٠	٢٧		
			٣٨٢	٢٨٠٠
			٩٧٣	١٢٣٢٣
(سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩)				
ثمن ١٠ر١١ متر من المنزل رقم ٦٤ شارع القبيله	٤٠٠	٤٤		

الإيرادات	المفردات مليم	المفردات جنيه	الجملة مليم	الجملة جنيه
ثمن حصة ١٢ ط و١٨س بالمنزل رقم ٤ درب الصواف	٣٥٠	٢٢٧		
ثمن خربة رقم ٦ بعطفة الحمارة بالدرب الابراهيمى		١٧٤		
			٧٥٠	٤٦٥
(سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٠)				
ثمن قطعة أرض بفم الخليج ٢٠ر٣ متر	٤٠٠	١٦٦		
ثمن ٤ ط و١٦ س منزوع ملكيتها للمنافع العامة من أطيان كفر اللبة .	٤٤٥	١٩		
ثمن قيراطين منزوع ملكيتهما من أطيان طموه	٨١٨			
ثمن أطيان مباعة بناحية الشرقاوية بكفر صقر		١٣٤		
ثمن ضائع تنظيم من العقار رقم ١٥ حارة المدبولى	٨٧٧	٢٩٣		
			٥٥٥	٦١٤
(سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١)				
ثمن ٣ ف و ٥ ط و ٢٠ س بناحية أبو شقاف بالدلنجات	٦٤٦	٤٨		
ثمن ٣٠ ف و ٦ ط و ٢٢ س بناحية العربون شرقية	٢٩٣	١٨٨٧		
ثمن ٢٥ ف و ٢٢ ط و ٢ س بناحية أولاد موسى	٢٣٠	١٥٥٥		
ثمن ٦ ط فى المنزل رقم ١٧ بدرب الصهريج	٧٤٠	٢٢		

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن جزء من أطيان طموه للمنافع العامة	—	٨١٨		
ثمن نصف ط منزوع ملكيته للمنافع العامة أطيان شنباره منقلا	٢	٠٨٣		
ثمن نصف ط منزوع ملكيته للمنافع العامة من أطيان صنبو	٢	٧٩٥		
			٣٤٤٩	٦٠٥
			١٦٨٦٣	٨٧٨
(سنة ١٩٤١ — ١٩٤٢)				
ثمن ٢ ف ، ٥ ط ، ١٢ س مباعة إلى السيد أفندى سالم بمنشاة رضوان	١٣٣	٧٥٠		
ثمن خربة رقم ٥ بسنقر مباعة إلى الست عائشة أمين	١٨٤	١٠٠		
ثمن نصف خربة رقم ١ ببير القتلة بحارة السقايين	٧٤	٤٠٠		
ثمن حصة أربع قراريط بالمنزل رقم ١٤ بالقبيلة إلى فهيم	٩٤	٠٠٠		
ثمن ٩,٦٥ متر من منزل رقم ١٧ درب الابراهيمى للمنافع	١٤	٣٠٠		
ثمن زوائد تنظيم منزوع ملكيتها	٤٥	٨٧١		
ثمن الأطيان المنزوع ملكيتها من أطيان التفتيش للمنافع	٥٢٥	٣١٢		
ثمن ٢٠ ف ، ١٤ ط ، ١ س بناحية شنباره منقلا مباعه إلى محمد بك صفوت	١٨٥٢	٨١٢		
			٢٩٣٤	٦٧٦

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
(سنة ١٩٤٢ — ١٩٤٣)				
تعويض لمشروع رقم ٤٨٣٧ من أطيان البطريركية بناحية كفر العزازى مساحته ١ ف و ١١ ط و ٣ س	٢١	٨٢٨		
ثمن تعويض لمشروع رقم ٤٤١١ من أطيان البطريركية بناحية الدلنجات ١٦ ط و ١٢ س	٢٧	٤٧٥		
ثمن الضائع من العقار رقم ٥ بسنقر مباع للتنظيم	٣	٩٨٩		
ثمن خربة رقم ١٣ ببير القتلة المباعة إلى الجاويش عبد العليم اسماعيل .	١١٨	٣٠٠		
ثمن العقار رقم ٤ درب الجنينه المباع إلى تادرس أفندى سعيد	٣٦٠			
ثمن باقى العقار رقم ٦٤ شارع القبيلة المباع لمحمد أفندى عبد القادر	٧٥١	٥٠٠		
فرق حساب ثمن أطيان التفتش ببلقاس	٢٧٦٧	٦٥٠		
			٥٠٥٠	٧٤٢
			٢٤٨٤٩	٢٩٦
(سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤)				
ثمن ٩ ط و ٢١ س منزوع ملكيتها للمنافع العامة بناحية سنباره منقلا مركز السنبلاوين مشروع رقم	٣٦	٩٤		
ثمن ١ ف و ١٧ ط و ١١ س أطيان منزوع ملكيتها للمنافع العامة بناحية كفر العزازى مركز أبو حماد	١٢٠	٦٢٦		

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن ٢٣ ط و ١١ س أطيان منزوع ملكيتها للمنافع العامة بأبو حماد	١٠٨	٦٣٣		
ثمن ١٢ ف و ١١ ط و١٨ س أطيان منزوع ملكيتها للمنافع العامة بأبو حماد	٢٠٩	٣١٤		
ثمن ٣ ف و ٨ ط و ١٦ س منزوع ملكيتها للمنافع العامة بناحية السيد	٨٩	٦٩٨		
ثمن ٩ ف و ٢٢ ط مباعة إلى عوض أفندى جبرا الشافعى والسيد موافى بناحية دير الوسطى	١٤٨٧	٥٠٠		
ثمن ٥٣ ف و ١٣ ط و ٢٠ س مباعة إلى أنطون أفندى نجيب مطر بناحية أولاد موسى	٢٨٣٩	٥٤٩		
ثمن ١٣ ف و ١٠ ط و ٢١ س مباعة للقمص متى جرجس ومحمود أفندى محمد بناحية كفر سعد بالسنبلاوين	١٥٤٧	١١٠		
ثمن ١٥ متر (طاحونة) بناحية المعصرة	٣٣	—		
ثمن المنزل رقم ٣ حوض مباع إلى يوسف ليفى	٣٠	—		
ثمن خربة رقم ٤٧ بدرب الصواف مباعة لعبد الملاك	١٣٤	٩٠٢		
ثمن ١٠٣,٣٥ متر قطعة أرض بفم الخليج	٢٨١	٤٦٣		
			٦٩١٧	٨٨١
(سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٥)				
ثمن الدكان رقم ٢ بحارة الصواف بالقبيلة مساحته ٨ متر مربع	٢٥٠	—		

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن نصف العقار رقم ٣ عطفة السكرية	٩٠	—		
			٣٤٠	—
			٣٢١٠٧	١٨٥
(سنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦)				
ما خص وقف كنيسة كفر يوسف حنس فى باقى مقاولة العمارة رقم ٢٥ وجه البركة بحق الثلث	٦٥	٩٨٨		
ثمن أنقاض المنزل رقم ٢٥ بحارة القديسة بربارة	١٩٠	٥٠٠		
٤١ ف و ١٨ ط و ٤ س أطيان مباعة بناحية أولاد موسى	٤١٣٣	٩٣٨		
المبلغ السابق خصمه لحساب جارى البطريركية لسداده لشركة مساهمة البحيرة بموجب شيك من بنك مصر وقد ورد نقدية ضمن مبلغ ٣٠١ ج و ٦٥ م من معالى كامل بك ابراهيم بتاريخ ٦/١١/١٩٤٥	٤٥	٨٧١		
ثمن حجة فى المنزل رقم ٦ عطفة الصبان المباع إلى وحيد توفيق	٣٦	٤٩٠		
			٤٤٧٢	٢٨٧
(سنة ١٩٤٦ — ١٩٤٧)				
ثمن أنقاض العقار رقم ١ عطفة الأمير بحارة الروم	٨٢	٥٥٥		
ثمن ٧ ف و ١٦ ط و ١٨ س أطيان بناحية أبو الشقاف مركز الدلنجات	٥٧٧	٣٤٥		

الإيرادات	المفردات		الجملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم
ثمن العقارين رقم ٢٨ ورقم ٣٠ حارة دير مارجرجس بمصر القديمة المباعين لبطريركية الروم الأرثوذكس	١٦١	١٥٠		
ثمن ٦ قراريط الشائعة بالمنزلين رقم ٢٥ شارع الزهار و ٨ حارة طلعت بالقللى المباعة إلى جمعية الآباء اليسوعيين .	٨٠٠	—		
ثمن ٣ ف و ١٨ ط و ٢٢ س ثمن أطيان بناحية البدالة المباعة إلى إبراهيم أفندى عوض والشيخ ابراهيم مرسى حجاج	٤٢٥			
			٢٥٤٥	٤٤٥
			٣٨٦٢٤	٩١٧
(سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨)				
استبدال العقار رقم ٤ زقاق أبي الليمان بسنقر إلى مصطفى حنفى مصطفى ومساحته ٨٧ متر مربع	١٥٤	٤٠٠		
استبدال نصف العقار رقم ٥ بدرب الأوسطى بسنقر إلى حضرة سنوسى منصور أحمد	٢٣٤	٨٥٠		
استبدال العقارات رقم ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ عطفة السمك ورقم ٢٤ درب الحجر إلى حضرة ادوارد أفندى هنرى	٦٨٤	٢٥٠		
استبدال العقار رقم ٢٤ أبى الليمان بسنقر إلى مراد أفندى محمد ابراهيم	٣٠٩	٦٠٠		

الإيرادات	المفردات		الجملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم
ثمن ربع خربة رقم ١٥ بدرب الأوسطى بسنقر إلى الست نبويه داوود	١٠١	٢٢		
			١٤٣٣	٣٥٢
(سنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩)				
ثمن ٩ ط و ٤ س مأخوذة للمنافع العامة من أطيان البطريركية بناحية غزاله	٦٧	٨٨٠		
			٦٧	٨٨٠
			٤٥١٣٦	١٤٩
(سنة ١٩٤٩ — ١٩٥٠)				
فرق ثمن الأطيان المتبادلة بين البطريركية وحامد أحمد ابراهيم زيد ومحمد أحمد طه حسين شاهين بناحية بلقاس	٩٧٥	٢٧٥		
الوارد من شركة مساهمة البحيرة من المبلغ السابق إرساله لذمة شطب الامتياز عن أطيان بتفتيش بلقاس	١٥٥	٢٨٥		
			١١٢٥	٥٥٥
			٤١٢٥١	٧٥٤

كشف إيضاحى

عن بيان أصول وخصوم المبيعات والمشتروات

المصروفات مليم	المصروفات جنيه	الإيرادات مليم	الإيرادات جنيه	البيان
٣٦٠	١٢٩٠٧٠	٧٠٤	٤١٢٥١	بيان أصول وخصوم حساب الاستبدالات مبيع ومشترى لغاية ٢٤ ديسمبر ١٩٤٩ بالكشف طيه
		٦٦٧	٦٩٤٣٠	بيان المبيعات ومعلى قيمتها بالأمانات تحت التسوية ويقابله باقى ما هو مطلوب لتكملة العمارات والمنشئات الجارى بنائها ومرتبط عنها بعقود وهى :
٠٠٠	٧٥٥٠			عمارة شارع بين السورين رقم ٤١
٠٠٠	٦٨٥			« الكنيسة المرقسية رقم ٣٠
٠٠٠	٩٠٤٣٨			« الكلية العلمية والمدرج الملحق بها بأرض أنبا رويس بشارع الملكة نازلى
٣٦٠	٢٢٧٧٤٣	٣٧١	١١٠٦٨٢	

رئيس قلم الحسابات (إمضاء)

١٩٤٩/١٢/٢٤

أنموذج

من المبيعات التى تمت صفقاتها بمعرفة المجلس الملى العام

عن بيع أملاك بطريركية الأقباط

قرر المجلس الملى بجلسته المنعقدة فى ١٠ مارس سنة ١٩٤٧ المبيعات الآتية :

الجملة مليم	الجملة جنيه	المفردات مليم	المفردات جنيه	الإيرادات
		٥٥	٦٨	ثمن ٨ ط ، ٦ س منزوع ملكيتها للمنافع العامة
			٨٣	ثمن ٣ سواقى
			٧٠٥	ثمن منزل رقم ٢٠ بعطفة الشيخ سليمان قسم عابدين إلى المعلم سيد
			٢٠٠	ثمن منزل رقم ٨ بدرب هنيوه قسم عابدين إلى الست عليه احمد
			٤٠٠	ثمن منزل رقم ٤ بدرب كنيسة اليهود إلى الخواجا موسى مراد
			١٧٥	ثمن اسطبل رقم ٦٦ بحارة زويلة إلى سعد سعيد
			٣٠٠	ثمن عقار رقم ١٢ درب السرجة إلى محمد افندى حسين
			٥٧٨	ثمن عقار رقم ٩ بعطفة الدورة الكبيرة عابدين إلى محمود احمد فرج
			١٢١٠	ثمن عقار رقم ٤٠ شارع المدبح قسم عابدين إلى فؤاد ومحمود احمد محمد
			٩٣٥	ثمن عقار رقم ٣٥ شارع المدبح قسم عابدين إلى محمد افندى احمد

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن عقار رقم ٥ عطفة الزعفران باب الشعرية إلى سالم افندى احمد محمد	٥٧٠			
ثمن عقار رقم ٢٤ شارع المدبح عابدين إلى نجيب افندى بقطر	٢١٥			
ثمن عقار رقم ٤٨ القبيلة الازبكية إلى الحاج محمد خير عبد القادر	٣٢٥			
ثمن عقار رقم ٤ عطفة الروم بالدرب الاحمر إلى عبد الرحمن مرسى ابراهيم	٥٢٠			
ثمن عقار رقم ١١ القنطرة الجديدة الموسكى إلى فرنسيس افندى صليب	٥٥٠			
			٦٨٣٤	—
(جلسة الخميس ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٧)				
ثمن عقار رقم ١٠ بعطفة القيسونى الازبكية إلى لوزا افندى فرج	٥٣٥			
ثمن عقار رقم ١١ درب الصهريج الازبكية إلى جرجس افندى منقريوس	٩٠٠			
ثمن العقار رقم ٤٤ و ٤٦ درب مصطفى باب الشعرية إلى فهمى يعقوب	٢٥١٠			
ثمن عقار رقم ١٧ حارة زويلة الجمالية إلى روفائيل منصور	٥٢٠			
ثمن عقار رقم ١٩ حارة زويلة الجمالية إلى الحاج محمد منصور الشناوى	٣٦٥			
ثمن عقار رقم ٣٨ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٤ بحارة زويلة إلى الخواجا أديب بسطا	٦٦٠			

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن عقار رقم ٣ و ٥ زقاق منصور بحارة زويلة إلى حنا جرجس حنا	٥٥٠			
ثمن عقار رقم ٦ و ٨ بعطفة الاسبتالية بحارة اليهود إلى الخواجا ايليا	٨٠٠			
ثمن عقار رقم درب الصهريج الازبكية إلى راضى جوهر حسب الله	٤٠٠			
ثمن العقار رقم ٢٧ عطفة شلبي الازبكية إلى السيدة ستانيك هازريان	١٠٠			
ثمن عقار رقم ٢٦ عطفة شلبي الازبكية إلى السيدة ستانيك هازريان	٢٠٠			
ثمن عقار رقم ٢١ و٢٢ عطفة شلبى الازبكية إلى الحاج حسن مرزوق	٣٦٥			
ثمن عقار رقم ٤ عطفة البركة الازبكية إلى السيدة ستانيك هازريان	١٠١			
ثمن العقار رقم ٢٦ بدرب أبو بكر باب الشعرية إلى الست توحيدة محمد	٦٠			
ثمن العقار رقم ٥ درب الجامع باب الشعرية إلى رضوان نفيلى	٥٦٥			
ثمن العقار رقم ٦ درب الجامع باب الشعرية إلى محمد افندى على دحروج	٩١٥			
ثمن العقار رقم ٤ عطفة الدوتية الازبكية إلى فوزى افندى سليمان	٥١٠			
			١٠٠٥٦	

الإيرادات	المفردات		الجملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم
ثمن عقار رقم ٩ بدرب البزبوز الأزبكية إلى محمد أفندى محمد ثابت	٥٤٠			
ثمن عقار رقم ١١ بدرب البزبوز الأزبكية إلى محمد عبد الله فارز ومحمد خليل	٣١٥			
ثمن عقار رقم ١٣ بدرب البزبوز الأزبكية إلى فيلبس صليب	١٧٥			
ثمن عقار رقم ١٤ عطفة البركة الأزبكية إلى السيدة ستانيت هازريان	١٩٠			
ثمن عقار رقم ١٦ عطفة البركة الأزبكية إلى السيدة ستانيت هازريان	١٦٣			
ثمن عقار رقم ٤٠ عطفة البير (المبانى للغير) الجمالية إلى عزيزه محمد	١٢٠			
ثمن العقار رقم ٦ عطفة البير (المبانى للغير) الجمالية إلى السيدة ليلى	٩٠			
ثمن عقار رقم ٧ الجوهرى باب الشعرية الجمالية إلى عبد السيد حبشى	٧١٠			
ثمن العقار رقم ٥ الجبرونى الأزبكية إلى معوض أفندى حنا	٥١٥			
ثمن عقار رقم ٢ (ا) عطفة عريان الأزبكية إلى محمد أفندى على	٤٦٠			
ثمن عقار رقم ٢ عطفة العشورية بالجمالية إلى أديب بسطا	١١٥			
ثمن العقار رقم ٤ عطفة العشورية بالجمالية إلى عياد نصر الله	٨٠			

الإيرادات	المفردات		الجملة	
	جنيه	مليم	جنيه	مليم
ثمن عقار رقم ٦ عطفة العشورية بالجمالية إلى مريم جندى	٧٥			
ثمن العقار (نول رقمى ٣٢ و ٣٤) بحارة زويلة الجمالية للخواجا نسيم	٧٦٥			
ثمن عقار رقم ٤٠ بحارة مصطفى باب الشعرية إلى فهمى يعقوب	٦١٦			
ثمن عقار رقم ١٤ بدرب طياب الأزبكية إلى الحاج سيد محمد بركات	٣٠٢			
ثمن عقار ٦٢ بشارع القبيلة الأزبكية إلى الحاج ابراهيم على	٤٠٥			
ثمن عقار بجعول بار قنطرة الدكة الأزبكية إلى الخواجات مراد يوسف وولده	٢١٠٥			
ثمن عقار رقم ٢ بعطفة التراب باب الشعرية إلى حسين عبد الغنى	٢١٥			
ثمن عقار رقم ١ الموسكى إلى محمود على الفوزى	١٢٥٠			
ثمن عقار رقم ١٩ شارع زويلة الجمالى إلى طانيوس عازر	٤٣٠			
ثمن عقار رقم ٣ دكاكين بحارة زويله بالجمالية إلى الست غنية غبريال	٥٠٠			
ثمن عقار رقم ٦ بحارة زويله بالجمالية إلى سعد سعيد	٥٢٠			
ثمن عقار رقم ٢٢ عطفة البركة بالأزبكية إلى مصطفى مرسى شويعى	٣٥٥			
ثمن عقار رقم ٩ خوخة العطارين إلى سعد جرجس بالأزبكية	٣٥٠			

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن عقار دكاكين رقم ٦ بحارة درب مصطفى بباب الشعرية إلى فهيمه مصطفى	٣٦٠			
ثمن عقار رقم ٢٥ بحارة زويله بالجمالية إلى جرجس جرجس	٥٥			
ثمن عقار رقم ٣ زقاق العشورية بالجمالية إلى روزه سوريال	١٢٠			
ثمن عقار رقم ٥٠ بحارة زويله بالجمالية إلى زكى خليل	٢٠٠			
ثمن عقار رقم ٢١ شارع القنطرة الجديدة بالموسكى إلى يوسف متولى	٣١٥			
ثمن عقار رقم ٤٦ حارة زويله بالجمالية إلى توفيق هراز	٢٢٥			
ثمن عقار رقم ٤ زقاق منصور بحارة زويله بالجمالية إلى جاد الله نصر الله بباوى	٤٥٠			
ثمن عقار رقم ١٤ بالبنداقه بالموسكى إلى سليمان مصطفى	١٥٠٥			
			٢٤٨٠٧	
ثمن عقار رقم ٣٧ بدرب مصطفى بقسم باب الشعرية إلى سيد حبشى	٧٠٠			
ثمن عقار رقم ١٧ بدرب البزبوز بالأزبكية إلى محمود الشبينى	٢٩٠			
ثمن عقار رقم ٧ بعطفة العشورية الجمالية إلى عبد القدوس ميخائيل	٢١٥			

الإيرادات	المفردات جنيه	المفردات مليم	الجملة جنيه	الجملة مليم
ثمن عقار رقم ١١ بشارع الجامع بحارة اليهود بالجمالية إلى عبد السلام إمام	٢٢٠			
ثمن عقار رقم ٦٠ دكانه بالقبيلة بالأزبكية إلى محمد مصطفى عبد الوهاب	٢٨٦			
ثمن عقار رقم ٤ و ٦ بحارة الميضة بحارة السقايين بقسم عابدين	٩٠٠			
ثمن عقار رقم ٢٤ بعطفة البركة بقسم الأزبكية إلى السيدة عطيات محمد	٣٨٥			
ثمن عقار رقم ٢٣ بالقبيلة بقسم الأزبكية إلى الحاج عبد المعطى	٢٩٠			
ثمن عقار رقم ٢٤ بالخرنفش بالجمالية إلى نسيم رومان	٥٠٠			
			٥١٧٩٣	—
			٥٨٦٢٧	—

وطبيعى أن المجلس لا يعمل شيئاً مجدياً ، مادام يعتبر أن مهمته الوحيدة مناوأة البطريرك رئيس الطائفة ورئيس المجلس الملى فيشنها حرباً شعواء بين جزئى الدار الواحدة ، وهى الدار البطريركية كما كان الحال فى ستالنجراد .

يتصور وكيل المجلس أن الدار البطريركية شطران ، شطر هو سكن البطريرك ، والشطر الآخر هو مقر المجلس الملى ، وأن الشطر الأول هو ملك البطريرك ، والشطر الثانى هو ملك المجلس الملى ، وبالتالى ملك الوكيل يتصرف فيه تصرف الآمر الناهى ، وأن بين الشطرين سداً منيعاً وهوة سحيقة وحرباً عواناً يجب أن تكون الغلبة فيها لوكيل المجلس وفريقه .

ولو كان الوكيل يعى ما جاء باللائحة لما خطر له مثل هذا التفكير ، فاللائحة تقضى على أن مركز المجلس فى الدار البطريركية وتنص اللائحة أيضاً على أن القلم الذى يشكل للادارة يكون بالبطركخانة والدار البطريركية . والبطركخانة هى دار البطريرك ، فالمجلس الملى وقلم الإدارة فى دار البطريرك وتحت رعايته .

ولكنه التصوير الخاطىء قد تسلط على أفكار كل من وكلاء المجلس الملى بالتسلسل وإلى هذا التصوير الخاطىء ترجع الأعمال الغير قانونية التى قام ويقوم بها المجلس الملى ، وهنا يطول تعداد تلك التصرفات فنكتفى بذكر بعض منها فيما يلى :

١ — فض المراسلات

يتبع وكيل المجلس الملى طريقة استلام بريد المجلس وفض المراسلات والتصرف فيها ، وهذا بالبداهة ، وفضلا عن كونه عملا غير مألوف فإن فيه مخالفة صريحة للقانون فإن بريد كل مصلحة يقدم للرئيس لفضه وتوزيعه على جهاته . ولما كان البطريرك هو رئيس المجلس فالبريد الخاص بهذا المجلس مرجعه إلى غبطته .

وقد أثار المجمع المقدس هذا الموضوع فى سنة ١٩٤٥ (فى عهد مثلث الرحمة الأنبا مكاريوس) واتخذ فيه قراراً نصه كالآتى « إرسال خطاب إلى سعادة وكيل المجلس الملى بعدم فض الخطابات والرسائل الواردة باسم غبطة البطريرك » فكان رد المجلس ضمن ما اتخذ من قرارات فى ٤ يونيو سنة ١٩٤٥ « إنه إذا كانت الخطابات مرسلة إلى غبطة البطريرك شخصياً فليس لأحد أن يفضها وإن كانت مرسلة إليه بصفته رئيساً للمجلس العام ، أى أنها تتعلق بأعمال تدخل فى اختصاصات المجلس فلوكيل المجلس أو لمن ينتدبه أن يفضها لإحالتها على الجهة المختصة » .

وهذا القرار مخالف لنص المادة ٤ من لائحة سنة ١٨٨٣ (التى أعيد العمل بها بمقتضى القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٧) فهذا النص صريح فى أن وكيل المجلس يقوم مقام الرئيس عند غيابه أو حدوث عذر له ، فليس له الخروج عن هاتين الحالتين لشأن من شئون المجلس . وما هو السند فى الادعاء بأن الشئون الملية الخاصة بالمجلس يضطلع بها الوكيل أو من ينتدبه .

ولو التمس عذر لوكيل المجلس بأنه لا يفقه النصوص ، فما هو عذر رجال القانون — ووكيل المجلس من بينهم — الذين اشتركوا فى وضع هذا القرار الباطل .

٢ — توجيه الدعوى إلى أعضاء المجلس الملى

ومسألة أخرى لا تقل خطورة عن فض مراسلات المجلس هى كيفية توجيه الدعوى إلى الأعضاء ، فقد جرى وكيل المجلس على طريقة القيام بتوجيه هذه الدعوى متجاهلا شخص البطريرك رئيس المجلس ، ومتجاهلا كذلك أن قانون المجلس الملى نفسه يحرم على وكيل المجلس كل نشاط ما لم يكن البطريرك غائباً أو معتذراً .

وبديهى أن توجيه الدعوى إلى الأعضاء ، هو عمل من أعمال الرياسة التى لا يجوز لوكيل المجلس القيام بها فى وجود البطريرك .

وليست رياسة البطريرك للمجلس الملى مجرد شكل يستكمل عملية ، أرادها القانون ونظمها ، نظراً لما تنطوى عليه اختصاصات المجلس الملى من أمور ، هى من صميم العقيدة والدين كما هو الحال مثلا فى المسائل الخاصة بالزواج والطلاق والقوانين الكنسية فى شتى الأمور . وقد مر بنا أن صدقى باشا قرر أمام مجلس شورى القوانين عند مناقشة القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ « أن المسائل الموكول إلى المجلس نظرها تكاد لا تخلو جميعها من وجهة دينية » .

وملحوظ فى جعل رياسة المجلس للبطريرك أن غبطته — إذ يوجه

الدعوة لكل جلسة — يقدر حسب محتويات جدول الأعمال ما إذا كان حضوره لازماً فيحضر ، وغير لازم فيعتذر ، تاركا لوكيل المجلس أن يقوم مقامه فى رياسة الجلسة .

أما أن يستأثر الوكيل بأعمال المجلس وينظمها كيفما شاء ويرغم البطريرك على قبول ما أراده من ترتيب وتنظيم . فى ذلك مافيه من منافاة للأوضاع السليمة ومجافاة للتشريع نصاً وروحا على السواء .

٣ — التهجم على مقام البطريرك

نوهنا فى صدر هذا الكتاب باللهجة غير المألوفة التى يتبعها المجلس فى مخاطبة غبطة البطريرك . وثمة ما هو أمرّ وأنكى . فإن المجلس قد جاوز الحد المعقول فى رفعه الدعوى على مثلث الرحمة الانبامكاريوس فى سنة ١٩٤٥ على أثر الكتاب الذى كان وجهه الى البنوك بعدم اعتماد أى شيك يقدم للصرف باسم البطريركية أو المجلس الملى ما لم يكن مذيلا بتوقيعه ، ذلك بوصفه بطريركياً وناظراً على أوقاف الأقباط عموماً ورئيساً للمجلس الملى .

ومثل هذه الدعوى مفارقة ليس بعدها مفارقة ، لأنه لم يسمع ولن يسمع أن وكيلا يرفع الدعوى على الأصيل . ولقد ألقى القضاء وقتئذ درساً على المجلس ووكيله بحكمه فى القضية بعدم الاختصاص .

٤ — سحب أموال البطريركية وإيداعها باسم وكيل المجلس شخصياً

ومسألة أموال البطريرك وإيداعها فى البنوك وسحبها منها تحتاج الى شىء من التفصيل . ولقد مر بنا أن صدور لائحة المجلس الملى فى سنة ١٨٨٣ لم تغير من الوضع القانونى شيئاً من حيث البطريركية وكنهها شخصية معنوية ، ومن حيث أموال هذه الشخصية المعنوية ، بل إن نصوص هذه اللائحة تؤيد هذا الوضع القانونى السليم ، وتنطق بأن المجلس الملى إن هو إلا أداة إدارية

لاشخصية معنوية لها . ولذلك فإن اللائحة تشير الى حفظ الأموال فى خزانة البطريركية ، إذ لا يتصور قانوناً أن يكون للمجلس مال وحيث لا مال لا خزانة .

ولما كان غبطة البطريرك منوطاً به تنفيذ قرارات المجلس كرئيس له والبطريرك من جانب آخر هو الذى يمثل شخصية البطريركية قانونا ، فقد جرى العمل على عرض قرارات المجلس جميعها على البطريرك . وفى الحالات التى تحتاج فيها القرارات إلى سحب شىء من أموال البطريركية كان مدير الإدارة البطريركية يرفق بكل قرار الشيك الخاص بتنفيذه ، فيوقعه البطريرك مع القرارات ، إن رأى تنفيذه وإلا فلا .

وهنا تتجلى الحكمة فى إناطة تنفيذ قرارات المجلس بالبطريرك فإن التوقيع على الشيكات تتحقق به الرقابة المالية التى لولاها لذهبت أموال البطريركية أيدى سبا .

ظل هذا الوضع السليم طوال عهد مثلث الرحمة الانبا كيرلس الخامس (٤٤) عاماً من سنة ١٨٨٣ إلى سنة ١٩٤٧ كما ظل فى السنتين الأولتين من عهد مثلث الرحمة الانبا يؤنس البطريرك الأسبق .

ويجمل بنا هنا ، لفت النظر ، إلى أن المجلس الملى كان أصدر قراراً فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ بأن يوقع سعادة كامل ابراهيم وكيل المجلس وقتئذ على الشيكات مع البطريرك وأرسل هذا القرار فعلا الى البنك ، ولكن البنك — بحق — لم يكترث لهذا القرار وبناء على إلحاح رجال المجلس على البطريرك قبل نيح الله نفسه هذا الاقتراح وحرر إلى البنك كتاباً بتاريخ ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٠ نصه كالآتى :

« بناء على قرار الجمعية العمومية للمجلس الملى العام المرسل لعزتكم بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠ ، نؤمل من الآن فصاعداً اعتماد الصرف من البنك بختمنا وإمضاء حضرة صاحب العزة كامل بك ابراهيم الموضحين أدناه » .

وهذا الخطاب يحمل الدليل على أنه حتى أواخر سنة ١٩٣٠ كان توقيع الشيكات موكولا الى البطريرك وحده ، ثم قبل البطريرك أن يوقع معه سعادة كامل بك ابراهيم فكتب اعتماداً بذلك إلى البنك ، ولولا خطاب الاعتماد هذا ، لما قبل البنك هذا الدفع الجديد .

حدث فى سنة ١٩٤٠ — وكان الانبا يؤنس كثير الغياب حينئذ بسبب المرض — أن عمد المجلس الملى الى فتح حساب بالبنك الأهلى باسم كامل ابراهيم وكيل المجلس الملى ، ثم فتح الحساب بالطريقة عينها باسم المرحوم كامل صدقى باشا وكيل المجلس فى ٢٣ يونيوسنة ١٩٤١ وذكر فى الخطابات المرسلة إلى البنك أن المبالغ متحصلة من ثمن عقارات تبيعها البطركخانة .

وكان هذا الإجراء اعتداء ظاهراً على السلطة البطريركية ، فضلا عن كونه نقضاً للاتفاق الذى تم مع البطريرك فى سنة ١٩٣٠ ويبدو أن المجلس شعر بخطئه ، فثاب إلى رشده وحرر الى البنك خطاباً فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، بأن المجلس قرر فتح الحساب باسم بطريركية الأقباط الأرثوذكس بمصر على أن يكون الصرف باسم وكيل المجلس ، وفى هذا الإجراء الأخير دليل قاطع على أن رجال المجلس كانوا يعلمون أن إيداع المبالغ فى البنك باسم وكيل المجلس ، ولو كان بهذه الصفة بالذات ، هو إيداع غير قانونى ، وأن الوضع السليم ، هو أن يكون الإيداع باسم بطريركية الأقبـاط الأرثوذكس والرجوع إلى الحق فضيلة . أما الشطر الثانى من تصرف المجلس بأن يكون الصرف باسم وكيل المجلس فكان بالطبع إجراء غير سليم لانعدام الصفة فى هذا الصرف .

توفى الانبا يؤنس فى ٢١ يونيو سنة ١٩٤٢ وعين غبطة الأنبا يوساب قائمقام البطريرك فى ٢٤ يونيوسنة ١٩٤٤ ثم انتخب الأنبامكاريوس بطريركا فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ولم يثر أحد موضوع التوقيع على الشيكات .

وما من أحد يجهل أن الأنبا مكاريوس بعد أن بسط يده لرجال المجلس

الملى عاد فقبضها عنهم لما لمسه فيهم من تصرفات معيبة وفرّ الى الدير ولم يعد إلا بناء على الالتماسات الحارة المقدمة من رجال المجلس الملى أنفسهم وبناء على رجاء المغفور له أحمد ماهر رئيس مجلس الوزراء .

وقد ألجأت تصرفات المجلس الملى الأنبا مكاريوس إلى كتابة خطاب إلى البنك الأهلى بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٤٥ ينبه عليه فيه بعدم صرف أى مبلغ من رصيد الأموال المودعة لديه باسم البطريركية أو المجلس الملى ما لم يوقع بتوقيعه الرسمى .

وكان ما كان من رفع دعوى مستعجلة على البطريرك أمام القضاء المختلط حكم فيها بعدم الاختصاص ، ثم توفى الانبا مكاريوس فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وعين قائمقام بطريركى الانبا اثناسيوس مطران بنى سويف ، حتى ارتقى الكرسى البطريركى غبطة الأنبا يوساب الثانى فى ٢٦ مايو سنة ١٩٤٦. وقد امتنع طوال تلك المدة على وكيل المجلس الملى سحب أى مبلغ من البنك نتيجة لكتاب مثلث الرحمة الأنبا مكاريوس الذى كان قائماً ولم يلغ .

رأى غبطة الأنبا يوساب غداة انتخابه ، أن يفتح عهداً جديداً مع المجلس الملى فأرسل خطاباً إلى البنك الأهلى بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ بتفويض وكيل المجلس فى سحب الأموال اللازمة للشئون البطريركية ، وقد كبر وهلل وأثبت موضوع هذا التفويض فى محضر جلسة المجلس المنعقدة فى ١٧ يونيو سنة ١٩٤٦ فى قالب يشعر المطلع عليه بأن المجلس كان راغباً فى تغطية الموقف الذى وقفه من مثلث الرحمة الانبا مكاريوس فى سنة ١٩٤٥ وكان المجلس متوهما أن العبارات المنمقة التى نسبها فى محضره الى غبطة البطريرك الجديد من شأنها قلب الأوضاع وتغيير القانون من حيث السلطة البطريركية مع أن الأمر لا يعدو أن بطريركا منح تفويضاً كان منعه بطريرك سابق . فهما نمق المجلس من عبارات فى محاضره أو قراراته فإن هذه العبارات لا يقام لها وزن فى التقدير القانونى للأمور .

يد أن المجلس الملى لم يكن عند حسن ظن غبطة البطريرك ، وأراد استعمال التفويض المعطى لوكيله فقد كان يوظف نقوداً فى مشترى قراطيس مالية والتصرف فيها بمحض إرادة الوكيل كما كان يصرح لوكيل المجلس باستلام المبالغ الزائدة عن الرصيد المقرر لخزينة البطريركية وغير ذلك من تصرفات تدل على أن وراء الأكمة ما وراءها فاضطر غبطته إلى إرسال إشعارات إلى البنوك بعدم صرف الشيكات وأوامر الصرف إلا إذا كانت موقعة منه وكان ذلك فى شهر يونيو سنة ١٩٤٧ ، أى سنة وبعض السنة من التفويض الاول .

فبدأ وكيل المجلس يداور ويناور ويتوسط لدى غبطة البطريرك حتى كتب غبطته إلى البنك الأهلى خطاباً مؤرخاً فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٨ جاء فيه مايلى بالحرف ، إننا نفوض بموجب هذا لحضرة صاحب السعادة الدكتور ابراهيم فهمى المنياوى باشا ، بسحب مبالغ بالإنابة عنا وبتوقيعه وذلك من رصيد حساب البطريركية » .

ولما حصل على هذا التفويض الجديد ، كون وكيل المجلس لجنة فى ١٠ يناير سنة ١٩٤٩ وأطلق عليها لجنة إدارة البطريركية ، وهى لجنة لاوجود لها فى قانون المجلس . وأخطرها أن غبطة البطريرك قد وكله فى سحب المبالغ والأوراق المالية المودعة بالبنك الأهلى بالنيابة عن غبطته ، وباعتبار غبطته رئيساً للمجلس الملى العام . كما أنه أفضى اليها بأنه ، تفادياً لما قد يحدث من النزاع على صرف المبالغ مستقبلا ، أن يتصرف بالبيع فى الأوراق المالية ، وأن يسحب جميع الأموال ويودعها فى أحد المصارف فى حساب خاص بدون إخلال بما للمجلس من حقوق فى هذا الشأن . وقد ذكر سعادته أنه مقيد بالديوان فى كل ما يودع أو يسحب من هذا الحساب الخاص ، وأن المستندات الخاصة بذلك والدالة على ملكية البطريركية لهذه المبالغ فى ملف خاص عهدة أحد الموظفين بالديوان . وقد رأت اللجنة إقرار ما تم فى هذا الشأن بمعرفة وكيل المجلس ، على أن يحفظ الملف الموجود به المستندات الدالة

على ملكية المجلس لهذه المبالغ لدى الأستاذ جندى عبد الملك رئيس لجنة الإدارة فى ذلك الحين .

ويؤخذ على بيانات وكيل المجلس وعلى قرارات اللجنة المسماة ، بلجنة الإدارة البطريركية ، جملة أمور :

(١) إنه غير صحيح أن غبطة البطريرك قد فوض فى سحب جميع المبالغ الموجودة بالبنك لأن الإنابة بمقتضى كتاب غبطته إلى البنك الأهلى هى فى حدود وسحب مبالغ من الرصيد أعنى فى حدود ما كان يسحب عادة وتدريجياً كلما احتاج الأمر إلى الصرف فى شئون الإدارة .

(٢) إنه غير صحيح أن غبطة البطريرك فوض الوكيل فى سحب الأوراق المالية ، فهذا السحب جاء مخالفاً للتفويض وقد زاد ، الطين بلة ، التصرف فى هذه الأوراق بمعرفة الوكيل .

(٣) إن وكيل المجلس يعترف بأن غبطة البطريرك قد وكله فى سحب المبالغ نيابة عنه باعتبار غبطته رئيساً للمجلس الملى العام فما كان له إذن أن يستولى على المبالغ ويودعها مصرفاً مجهولا من البطريرك ، وباسمه الخاص لا باسم البطريركية صاحبة الأموال .

(٤) إن فى تصرفات الوكيل جميعاً تجاوزاً لحدود التوكيل ، فضلا عما لتلك التصرفات من مسئولية جنائية .

هذا ولما علم غبطة البطريرك بذلك حرر إلى وكيل المجلس خطاباً بتاريخ ٩ مارس سنة ١٩٤٩ نصه كالآتى :

اتصل بعلمنا أخيراً أنكم قمتم بسحب كل رصيد حساب البطريركية المودع بالبنك وأودعتموه باسم سعادتكم بصفتكم الشخصية ، ونحن وإن كنا نستبعد حصول هذا التصرف منكم لما فيه من مخالفة للقانون وما يترتب عليه من مسئولية ونتائج خطيرة ، على أنه إذا صح ما سمعناه فنأمل العمل على

ملاقاته فوراً بإيداع المبالغ المذكورة باسم البطريركية بالبنك الأهلى وفقاً لما جرى العمل عليه وموافاتنا بما يؤيد ذلك .

لم يرضخ وكيل المجلس لهذا التكليف الصادر من الأصيل للوكيل كما أنه لم يرضخ لاقتراح تقدم به بعض العقلاء من أعضاء المجلس الملى وقبله غبطة البطريرك ، وهو أن تودع المبالغ فى البنك ويكون صرفها بمقتضى شيكات يوقع عليها من غبطة البطريرك ، ومن وكيل المجلس ليكون مسئولا عن الوجوه التى تصرف فيها الأموال ، وهو يستند فى هذا الرفض إلى قرار صادر من المجلس بالأغلبية بأن يكون صرف الأموال من البنك بتوقيع وكيل المجلس منفرداً ، كأن قرارات المجلس بالأغلبية كانت أو بالإجماع يمكنها تعديل القانون أو تعطيله ، وكأنه يكفى أن يقرر المجلس فتصبح البطريركية فى خبر كان ، مع أنه مر بنا أن الفقرة الثانية التى أضافها القانون رقم ٣ لسنة ١٩١٢ إلى المادة ٢٩ الخاصة بتنفيذ قرارات المجلس كان الغرض منها الحيلولة دون تنفيذ ما يحدث من قرارات مخالفة للقانون .

على أننا نعود ونكرر هنا أن المجلس الملى ووكلاؤه جادون فى تنفيذ خطتهم المرسومة ، والتى كشف عنها وكيل المجلس ونوهنا بها فى صدر هذا الكتاب ألا وهى تجريد البطريرك من كل اختصاص فى البطريركية ، وبذا تكون أموال البطريركية ، وهى أموال صدقة وقربى نهباً للناهبين ، وما كان لبطريرك أن يرضى بهذا الوضع الغريب ، وهو مطالب أمام أبناء الأمة القبطية بالسهر على تلك الأموال سهر الأب اليقظ كما هو مطالب بأداء الحساب عنها أمام الواحد القهار وإنه لحساب عسير .

خامساً — طرق العلاج

يتبين مما تقدم من استعراض النظام الملى من الوجهة التاريخية والتشريعية والإدارية ، أن هذا النظام قد أفلس إفلاساً تاماً ، وأن المجلس الملى ما فتىء يتنكر للقانون الذى أنشأه ليكون عوناً للبطريركية ، فكان حرباً عليها ، كما

أنه تنكر لمنطق النظام الملى بتبييت النية على تجريد البطريرك من كل اختصاص — وهو ما لا يخفيه وكيل المجلس وأعوانه — ولم يفقه رجال المجلس أن البطريركية هى علة وجود مجلسهم ، وأن العقل لا يتصور قيام هيئة ملية ما لم يكن ثمة بطريركية .

أما ما يتشدق به المجلس الملى من حيث الديموقراطية والنظام الديموقراطى للأقباط الأرثوذكس فما تلك إلا كلمات جوفاء ، لأن البطريركية هى هيئة دينية قائمة على أسس الإنجيل الذى يقضى بأن يعطى ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، والأمر فى موضوعنا لا يعدو إدارة أوقاف خيرية ، ولم نسمع أن أحداً قبل الآن أقحم الديموقراطية فى معرض الكلام عن أوقاف المسلمين .

إذن فالمجلس الملى قد أخفق فى مهمته وفشل فشلا ذريعاً فى أداء رسالته ، ولم يقف أمره عند حد الفشل بل إنه أصبح أداة فتنة فى الشعب القبطى وقرحة فى جسمه .

ولذلك نقترح تعديل نظام المجلس الملى على هدى الاختبار الطويل فى الأمور الملية ، لدى مختلف الجهات ، بحيث يراعى فى التعديل المبادىء الآتية :

(١) إن الشخصية المعنوية هى للبطريركية دون سواها .

(٢) أن الأموال هى أموال البطريركية .

(٣) وأنه يتعين بالتتابع إشراك رجال الإكليروس فى هيئة الإدارة البطريركية اشتراكا فعالا .

ونعتقد أن نظاماً هذا قوامه من ورائه إصلاح الحال واستقراره فى أمة الأقباط الأرثوذكس ، وهى باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الشعب المصرى تستحق جانباً من عناية حكومتنا السنية ورعايتها .

لنعمل يداً واحدة

يرى المطلعون على بواطن الأمور ، أنه يجب أن تساس أمور الأمة القبطية بعزم وقوة وسرعة وتصميم ، وأن تنظم الشئون الداخلية تنظيما يعيد على الأقل ما فقدته الأمة من هيبتها بعد أن مرت عليها فترة حرجة اجتاحت فيها الأقباط موجة لم يسبق لها مثيل من الضيق والقلق والمرارة ، وقد امتد هذا القلق إلينا نحن الذين صممنا على إنهاء هذه الحال وإنقاذ سمعة الأمة القبطية .

ولكن ليس من المستطاع إخراج الأمة من محنتها ورفع شأنها ، بسبب الجدل الذى يتجدد دائماً بين هيئتى الأمة ، ويكفى للدلالة على أن قرارات الطرفين لم تأت بحقائق تاريخية جديدة خلال السبعين سنة ولاسيما فى السنوات الأخيرة ، لأن التوتر على دراسة الموقف ، لن يهزم بمجهود ضخم يقوم على حسن نية الطرفين بإضافة نفوذ سياسة العمل ، وبذل كل مجهود ممكن لتوضيح أغراضنا ، كى لا تزداد متاعبنا وتكثر مشكلاتنا القائمة حول الأسباب والوسائل الكريمة التى تبعث فى نفوسنا الرضى فى هذه الفترة القاسية التى أعرب فيها عن عميق أسفى بشأن عدم تسوية المشكلات الطائفية التى يجب أن تحل ، ليمكننا استغلال الوقت والعودة إلى المسلك السليم نحو المستقبل قبل أن تنشأ مشاكل جديدة لا يمكن التغلب عليها إلا بعد مرور زمن طويل

فمن واجب كل واحد أن يعمل جاهداً فى إخراج أمته من محنتها القاسية ، ورفع شأنها فى المستقبل الذى يجب أن يسبقه مزيد من الإيضاح بآراء حرة جريئة ، تضرب الوتر الحساس ، فتقرب الشبان الذين تتفق آراؤهم مع الآراء السديدة والمشروعات وكافة الشئون القبطية ، وغير ذلك من أسباب التطور ، والانطلاق بها فى أجواء التنفيذ ، والتجديد ، وحسن

التصرف ، والعمل المتواصل من أجل الارتقاء بالأخلاق ، وتدعيم الشعور بالقومية العامة ، والكرامة القبطية الخاصة ، والاعتزاز بالشخصية المعنوية أو الاعتبارية ، وغير ذلك ، لنستطيع أن ندرك ونستشف الكثير من الحقائق التقدمية ، والدوافع المتزنة النزيهة ، التى تحررنا من قيود الروتين ، لتتسم شئوننا بالثبات والاستقرار والنشاط ، فيتضاءل ما كان يخيم على دوائر أعمالنا ، من شعور بالقلق والتخوف من المستقبل ، على نحو ما أشرنا إليه فى مقالاتنا السابقة .

وعلى ذلك يمكن لكل قبطى أن ينظم الكثير من مظاهر التنافس نحو المطالب التى يهدف إليها لتكون حافزاً على استمرار العمل والاتفاق ، لأنه لا شك فى أن هذه الفكرة تتيح الفرص الكثيرة لمختلف الكفايات ، لتثبت وجودها ، وتعمل من أجل الصالح العام ، وكل ما يمكن أن يفيد فى تكوين رأى صحيح ، ليكون هناك مجال واسع للتعاون المثمر بين الرؤساء والمرؤوسين ، على الوجه الذى يجعل الصداقة والاحترام بينهما ، حتى تقوم المحبة على دعائم حقيقية وطيدة ، ولسنا ننكر أنه يوجد أقباط يعملون جادين فى هذا الطريق الذى تبينا منه كم يتطلب التعاون والمودة بين المجمع المقدس والمجلس الملى ، من جهود سخية مستمرة فى مختلف الميادين الروحية والثقافية والإنشائية بوجه خاص .

غير أن مجال التعارف بين الطرفين ما زال محدوداً جداً ، وربما كانت معلومات المجلس الملى أقل من معلومات المجمع المقدس من التعاون . هذا صحيح . إلا أن المنطق والكرامة يمليان علينا محو ما نما وترعرع فى ظل سلاح المشادة الغير مجدية ، لأن الصالح العام يقتضى تعلم لغة المحبة فى حماسة وطنية ، لنستطيع أن نقوم بدور هام فى تحقيق كثير من أهداف مرتبطة أشد الارتباط بطريق الرعاة وطريق المجلس الملى ، ومركزة على نواح معينة من أعمال الطرفين اللذين يحتاجان إلى كثير من الحكمة والمحبة والمعرفة .

وهذه من غير شك وسيلة فعالة لظهور تكاتفنا على تحقيق الهدف الأكبر الذى نرنو إليه بأبصارنا عن بعد وهو « النهضة الحديثة » التى تحتاج إلى دراسات مستفيضة من شأنها دعم الميزان الملى فى دائرة المجمع المقدس ، على أسس عملية ، والعمل على جذب أكبر عدد من الرجالات العاملة فى ميدان التبادل الثقافى ، بعد أن وقفنا على تلك التطورات التى نفشت فى البلاد روحاً جديدة ، أصبح لها رمزاً تحيطه الشخصية المعنوية ، والحقائق التاريخية ، والأعمال الإنتاجية ، والعلوم الفلسفية ، التى تكشف لنا الدوافع النورانية التى تحمس لها ومن أجلها آباؤنا الذين حاول كل منهم المساهمة بكل طاقة وجهد من أجل منطقته التى أقامه الله عليها .

وبالجملة ، علينا جميعاً أن نساهم فى خلق شعور بتقدم محقق للخدمات الاجتماعية التى تصبو إليها الأمة القبطية فى شئونها الداخلية ، والمحافظة على ثبات العقيدة ، ونشر الثقة الدائمة ، لاستمرار زيادة وسائل الأهداف فى العمليات غير المنظورة . وغنى عن البيان إن تقدمنا الطائفى مرهون بما يدعمه من تناسق فى شتى التصرفات ، ومن استقرار على المبادىء السامية ، والأخلاق الراقية ، وفى تدعيم ذلك أكبر حافز ، وأقوى ضمان للتنمية الروحية والثقافية والاجتماعية التى تخطو بنا خطوات جديدة نحو تحرير الآراء وانطلاقها نحو تبسيط نظام العمل حتى نجارى تدريجياً التطورات التقدمية مع نفض غبار الكسل والتقاعد فى هذا الشأن .

وإلى جانب هذا ، يجب أن تبذل جهود جبارة لسد النقص من الناحية الاجتماعية الطائفية ، وذلك بغرس روح التعاون بين الشعب والإكليروس ، بصفة مستمرة لتأخذ المشروعات طريقها نحو التنفيذ بخطوات طبيعية ، وسط هذه الظروف التى يتعذر معها التنبوء بالطلب ، أو مواجهة التقلبات بالوسائل التقليدية ، بسبب ما قد يطرأ من عوامل ليس من العسير التغلب عليها ، وهذا يتطلب وقتاً وصبراً ولباقة .

فعلى كل واحد ، يراقب باهتمام الوسائل التى يستعين بها فى معالجة الشئون القبطية الداخلية ، ويتخذ مسلكا إيجابياً إزاء المشروعات وتسوية النزاع بالطرق السلمية .

وإننى ألتزم جانب الحذر ، لأنه ليس فى نيتى الدخول فى محاولات فى الوقت الحاضر لأننا أحوج الناس إلى الهدوء والسكينة .

نظرة الى الماضى

(١) إن الماضى ليس بمظلم أمامنا ، ولا هو شبح لا صوت له ، إنما هو كتاب مفتوح لتصفحه كل عين ، وتقرأ فيه أعمال المتقدمين ، وتقف على جرائمهم وفضائلهم وعلى مجدهم أو آثارهم وشرورهم .

قد يمكن للعقل البشرى أن يرسل الأشعة من خلال السحب التى تحجب عنا الحقيقة ، غير أن الخطأ يقنعها بنقاب ، والإنسان يتعب فى محاربة ذلك الخطأ ، دون أن ينتصر عليه تماماً ، إلى أن يختفى وراء الأبدية ذلك النور الذى أضاء فوق مهد الإنسان .

وكأنى بك أيها القارىء المبارك ، وقد أمسكت عليك نفسك واحتبست جسمك فى حظيرة لا تنفذ إليها نسمات الحياة ، ولا تمر بها رياح الحرية ، ولا يسطع فيها شعاع من أشعة الشمس ، ففعلت بنفسك ما فعلت بالأنعام السائمة ، حتى لقد صارت رهناً علق فى يدك ، ولو عقلت لفككتها من هذا الرهن .

وقد يمكن للانسان أن يبدد بعض الظلام المكتنف حاضر الزمن وماضيه ، ويرسل أولا أشعة النور إلى الماضى ، فيبصر الله من أعماله ، ويبصر نفسه بخواصها من أفكار ورغبات وشهوات ، ثم يبصر العالم ، إن لم يكن فى مادته ، فعلى الأقل فى شكله ، لأننا كلنا نولد وسط الظلمات التى تتعلق بنا ، وتقتفى خطواتنا ، وتلازم ظلنا ، لتحجب عن أنظارنا رؤية الخالق ، والعالم ، والهيئة البشرية .

فهذه المشاهدات الثلاث ، وإن تكن غير تامة ، تدعى معرفة الله والنفس والكون ، ثم يشاهد الإنسان الهيئة الاجتماعية من أولها إلى

آخرها ، فيرى ماذا يؤسسها ، وماذا يثبتها ، وماذا يتوجها ، ويبحث عن أسباب عظمتها وجمالها وقوتها وحياتها ، وهذه المشاهدات تسمى معرفة الاجتماع .

إن نظرة إلى الماضى ، نقيس بها شأن المستقبل ، فانهما فرسا رهان ابتدءا السير من نقطة واحدة ، وسيصلان إلى غاية واحدة . والغد لا محالة صائر إلى يوم حاضر . واليوم منه إلى يوم أمس غابر ، يتضاعف الماضى بضعف المستقبل ، ثم له حفظ الودائع ، التى يتركها البشر عنده فى صحف أعمالهم ، وكتب آثارهم وأيام حياتهم .

فالإنسان مهما أجهد نفسه وعقله وأرسل رائد بصره فى كل ما يحيط به ، لا يبصر فى حاضره ، سوى معرفة الله والنفس والكون والاجتماع . أما إذا إذا التفت إلى الماضى وأحدق بنظره فى ظلام الأجيال الغابرة ، يرى الإنسانية المندثرة وبماذا كانت تفكر ، وماذا صنعت من جيل إلى جيل حتى يصل إلى مهدها .

لا تقل إن الماضى أصم لا يتكلم لأنى أتمثله أمامى وأستنشق أسراره وأكتشف ضحاياه ، لأنه ما أشبه الزمن بأكر اللاعبين ، يتقاذف ساعة بساعة ، وتمضى أيامه وشهوره وأعوامه منطوية على ما فيها من خير وشر كصحيفة الإنسان تطوى بالإحسان ، أو تنقبض على غواية الشيطان ، إلى يوم معلوم فى كتاب مرقوم .

هو ذا الإنسانية ، متخيلة أمامى ، تقول ماذا فعلت اليوم الفلانى ؟ وها أننى أغادر مصر ، وأمر بفلسطين ، وأعرج على القدس ، وأقدم على النوبة والسودان ، وبعد ذلك أبارح الخرطوم ، وأقف فى وسط الكتل البشرية ، وأنظر إلى الناس شأن المتفرج عليهم اللاهى بسخافاتهم ، لأنى كنت أعلم أن كمال العقل لجابل العقول ، فرأيت أن كل عقل بشرى ناقص مشوه ، وأن كل مخلوق من الوليد فى مهده إلى الشيخ الذى يدب إلى لحده ، مجنون ،

ولقد اختلف ذلك الجنون فى كل عقل ، وتفرق الناس متباينين بالنسبة لتباين الجنون ، وأنكر الإنسان أخاه الإنسان ، وعد كل امرىء أخاه غريباً ونظرت فإذا كبار المجانين ، يخالون أنهم عقلاء ، وأنهم أكبر عقلا من سواهم ولقد كنت أسير فى طريق ، حتى إذا أمعنت النظر فى إنسان ورأيت كيف يسير كشجرة ذات ساقين ، وكيف يحرك ذراعيه ويلتفت إلى هنا وهناك بعينين تنبعث منهما أشعة الحسد والرياء ، وشاهدت ما يرتديه من غريب الأزياء ومختلف الألوان ، وما يخبىء تحتها من نفس أمارة بالسوء ، أغرقت فى الضحك لأنى لم أر وصفاً كهذا ، أفظع ولا أبعث على الرعب أكثر مما وصفت .

إزاء هذا الموقف ، تلتهب بين جنبى شعلة الغيرة ، فأمضى مضطرب الأحشاء من حمى القنوط ، لأن عالمنا ملجم وجاهلنا مكرم ، لا بل نحن بين قوم نومهم سهاد ، وكحلهم دموع .

لذلك نرى الأرض وقد غمرها الجور والعدوان ، والزور والبهتان ، وانبعثت شرور الرذيلة الملطخة بالدماء والملوثة بالشقاء ، وامتلأت بقلوب أقسى من الصخور الصماء .

فانشقى يا حجب الهياكل ، وتهدمى أيتها المعاقل ، اقصفى أيتها الرعود ، وولى أيتها الهاويات ، وارجعى أيتها الأرض الممتلئة بالجرم ، واسقطى أيتها الأجرام السماوية ، حتى يعلم الناس أنهم دول تدول ، وأعراض تزول ، والزمن ساعات ، تجد فى طريق الفناء ، وأيام تمر بغير بقاء . وكم رأت هذه الأرض قبلنا رجالا لا يغلبهم المحال ، غربت شموسهم ، وبليت شخوصهم ، وعفت دورهم ، وبقيت آثارهم ، تعرف بها أقدارهم .

فان كان لا بد أن تفزع الإنسانية من أساطيل هذا العصر وتنزعج من مهلكات المدنية المستحدثة ، فان الدهر لا تزعجه الأساطيل ولا تخيفه الجيوش الأبابيل ، فقدرة هذا إذن لا تخف عند هذا الحد الذى لا يمكن لليد أن

تتناوله ، بل تمتد إلى حيث ترمى إليه أنظار العقل ، لأن شرارة المعرفة ، تنبعث من جبين الإنسان ، فتخترق حجب الظلام ، ثم تتلألأ كالكوكب عند إشراقه ، غير أن الإنسان لا يؤثر فقط على المادة التى تكتنفه ، والقطب الذى يحد هذا العالم ، ليس بالحد الأقصى الذى تقف عنده الأعمال . بل هذه تمتد إلى منطقة أوسع من تلك الحدود ، نورها يخترق ظلام العالم ، وأشعتها تنعكس فى البشرية وتستقر فيها .

فهذه المنطقة ، هى المنطقة العقلية أو عالم الادراك ، فلو أدرك كل منا أن الليل والنهار يتعاقبان أولها آخر ، وآخرهما أول ، لا يعرف سابقهما ، ولا يعلم طرفاهما ، ولكنهما يمضيان بمجد تالد ، وينصرفان بذكر خالد ، ويذهبان بسخط ولعان ، لبغض الإنسان الذى يقف بين هذين العالمين ، المادى الظاهرى ، والعقلى الغير منظور ، فتكون بينهما نقطة الاتصال ومكان التقابل ، لأن الطبيعة تحيط العقل ، والعقل يكتنف الطبيعة ، ويضيئها بضوئه متى اتحد الاثنان بهذا الرباط المتبادل ، تبادل قبلة السلام على قلب الإنسان ، لأن كل باب يفتح ويغلق بمفتاح واحد ، هو يغلقه وهو يفتحه ، إلا باب القلب الإنسانى فقد جعل الله له مفتاحين أحدهما يغلقه ، ثم لا يغلقه سواه ، وهو مفتاح اللذات ، والآخر يفتحه ثم لا يفتحه غيره ، وهو الألم ، لأن ابن آدم يدخل هذا العالم وبيده مشعل العقل ، غير أن هذا الضوء المنبعث منه ضئيل مضطرب .

(٣) قد تأخذ شمس الإدراك بالبزوغ فوق العالم ، تجد فى السير حتى إذا بلغت غايتها ، وظنت أنها طوقت بأشعتها السماء والأرض ، تأتى سحب الأغلاط وتحول بينها وبين العالم ، كما يسدل الشتاء ستار الضباب بين الأرض والسماء ، لأنه من الذى حضر ساعة يقظة الإدراك الإنسانى وشاهد الصراع الهائل الذى قام بين نور العقل وقت تكوينه وبين الظلام الذى يكتنفه ؟؟ قبل البدء فى ذلك يجب ، أولا ، معرفة مواطن الضعف والقوة فى العقل

البشرى ، لأننا فى أيامنا الحاضرة بين أخريات الماضى ، وأوليات المستقبل ، كالغريق بين شاطئى البحر ، يعلم الشاطىء الذى اجتازه إلى لجج الماء ، فيرجو أن يعود إليه ، ويجهل الشاطىء الذى لم يرده ، فيتحاشى الإقدام عليه ، وهو بينهما على كل حال ، سليب الحول قليل الحيلة ، فإما أن يطوياه فى جوفهما المظلم ، وإما أن يلفظاه بالعراء إلى الغبراء ، وحرى بمن يوقن أنه لم يولد بذاته ، أن لاشك فى أنه لم يولد لذاته ، وإنما هى الغاية المقدورة المتعينة ، فلا الخلق يتركونك لنفسك ، ولا الخالق تارك نفسك لك .

إن عواطفى تغلى فى مثل المرجل ، لأن إرادتى عنيفة بل مصبوبة من فولاذ الكبرياء ، ولست أخشى إلا انفجار هذه الإرادة التى هى وعاء النفس الحزينة على ذكريات الماضى ، ماضى الكنيسة المحبوبة التى من أجلها تنفجر الإرادة الإنسانية ، لأنه لم يبق منى إلا جزء ، وهذا الجزء يفسح لى مذاهب النفس ، فأرانى كأنما أستقبل السموات ، وأحتويها فى صدرى ، وأرى بعينى مجموعى الإنسانى يتسامى ، وأشعر أنى عقل من هذه العقول التى تشرف على الكنيسة وتعمل فى نظامها .

فيا أيها القلم ، أستحلفك أن تصف موقفى الذى تناضلت فيه عواطفى ، وتنازعت الاستيلاء على مهجتى ، فكانت عواطف الحب ، والشفقة ، والحنان والرعب ، والحزن والأسف ، والسرور والفرح تتناوب فى نفسى ، وكادت نفسى تتمزق من هول تلك الإحساسات المتباينة نحو ماضى كنيستى . . .

هيهات للقلم أن يصف العواطف ، التى سكبها الله فى قلبى والألم الذى يجعل يدى ترتجف ، وجسدى يرتعش ، وروحى تنتفض ، عندما أرى الناس أغفلوا ماضى الكنيسة ، ذلك الماضى الروحانى الذى ينبثق منه الضياء النفسانى العجيب الذى يجهله أصحاب الغايات الذين أعماهم الهوى ، وغرهم طول الأمل ، غير عالمين أن الدهر يجرى بهم كما جرى بغيرهم ، وكأنهم بالساعة تحدوهم حدو الزاجر بشوله .

أجل إن هذه الكلمات المحزنات تطرح من همى بعض ما يكتظ صدرى . وتخرج من غمى ما يذيب حشاشتى ، غير أنى أسكب على صفحات هذا الكتاب ، عبراتى وأناتى ، كما أنشر عليها تذكارات الماضى الحلوة ، وابتساماته المقدسة التى أدخرها لأيام محنتى وليالى شقوتى ، فكأنى حين أجر شبا قلمى أصور صورة رائعة عميقة المغزى ، ملونة بدم الشهداء ، ومبتلة بدمع القديسين ، لتراها النفس القذرة فتشمئز من قذارتها ، وتتفقهها النفس الجميلة وتعظم سناءها .

لأن الماضى سفر حكيم يقرأ فيه المحدثون ما يفقههم فى حياتهم ويبصرهم فى شئونهم ، فمن لى بحفظ آياته ، ويعى إرشاده ، ويقف موقف البصير الحاذق ليتبين ما خبأته الليالى فى ثنايا عوجه ، وما ادخرته الأيام فى طيات أديمه .

سلوا الماضى ، واستفسروا عن رجاله وتدبروا آثارهم عليكم ، وآثار نعمة الله عليهم ، تجدوهم بررة مفضلين هذه الفضيلة التى صحبتهم أيام عزهم ، حفظوا ودَّ الكنيسة ، وراعوا عهدها ، وصانوا ذمتها ، وقدروا حرمتها ، فساروا بها فى السراء كما سرت بهم فى الضراء ، ولم يشاءوا أن يزعجوها بكفر نعمتها كإزعاجكم لها الآن .

إنى أشعر براحة فى نفسى الحزينة ، حينما أفرغ ما فى صدرى من النفثات والزفرات ، ويخيل لى أن الماضى يبتسم فى وجهى بأنواره الإلهية ، فيبدد غياهب الظلمات التى اكتنفتنى ، كأنها ظلمة الديجور ، ولكن ما من عزاء للكآبة التى تمتلكنى ، وما من دواء لداء الأسى .

ولذلك أتريث لأستمطر الروح الحقيقية الهائمة فى فيافى اللانهاية رذاذاً ، يبل هذا القلم الجاف الجافى ، ليصف الماضى ، ويظهره للحاضر ، ويقدمه للمستقبل المجهول ، الشباب ، ولكن هيهات للنفس أن تكبح وتطيع ، وللقلم أن يرضخ فيسير ، وأن هذه الكلمات المبعثرات من تصوير النفس العاصية :

إلى حبر شكوت بسوء حظى   فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأفهمنى بأن العقل فضل   وفضل الله لا يعطى لعاصى

(٣) نعم إن النفس العاصية التى لم تأتمر بأوامر ربها وتتطهر من أدران معصيتها ، لهى النفس الشقية فى حياتها ومماتها . فلو كانت كل نفس منا ، تنظر إلى سعادة أنفس الذين رحلوا من هذه الدار المملوءة بالأكدار ، أولئك الذين خلد لهم التاريخ اسماً تحوطه هالة من النور القدسى جزاء ما بذلوه لإظهار الفضيلة بأجلى معانيها ، لاتعظت ، ونشدت الفضيلة فى كل شىء ، وكيف لا ننشد الفضيلة التى تجعلنا أبناء الإله السماوى الذى يريد إظهارها فى أخلاقنا ليرحم بعضنا بعضاً ، ويغار بعضنا على مصلحة بعض ، فتكون المصلحة العامة من هذه الغيرة العامة ... يريد منا الإله الذى علمنا بأن لا نخرج كلمة رديئة من أفواهنا ... أن نظهر الفضيلة فى كلامنا ، لتكون وقايتنا من النزاع ، وحرز لشملنا من الانصداع ، حتى نكون من الإنسانية أقرب ، وبها أبر ، وعليها أغير . هذه هى الوسيلة إلى الحياة ، وفى الحياة التى تتوجها الفضيلة شفاء من شقائها ، وتطهير لها من معصيتها .

لو أتيح لهذا القلم أن يصف الماضى وصفاً يستكمل أجزاءه ويستوفى جوهره وأعراضه ويدل على مكانه ، حتى لايبقى فى هذا الوجود من يجهل حقيقة الماضى المجيد ، أو ينكر أعمال رجاله الذين لم يألوا جهداً فى خدمة الإنسانية المتشردة ، لسعد قلبى بوصفه .

فإن شئنا الماضى ، الذى تشوه وتنكر حتى لمحبيه ، فأصبحت أتبينه خلف سحابة مظلمة عقدها أمام عينى رياء الناس ، فلا أكاد أستشفه أو أهتدى إليه ... إذا أردنا بياض هذا الماضى وقد اسودت صحائفه بمخازينا ، التى أوجبت الافتراء على الإسم المجيد الذى بيض ماضى الخليقة بأعماله الناطقة فى سفر عهد النعمة ، ورفع شأن المستقبل بسفك دمه الذى به تشفى النية

من كل داء ، ويحكم العقل فى تصريف النفس وتعويدها الإحسان خير من الإمعان فى غواية الشيطان . فلولا ذلك لما انبثق نور الفضيلة فى القلوب ، ولا انصلح الماضى ، فإن لكل إنسان ذنباً ، ولكل نفس زلة ، والإقلاع عن السيئات أصل الحسنات ، وتنكب طريق الضلالة سبيل الهداية . وأن مصير الإنسان ذكر خالد ، إن خيراً فإليه ، وإن شراً فعليه ، وساعته بين يدى ربه ، ساعة حساب بما حضر وغاب ، والله عالم الغيب ، لا يظلم مطيعاً ، ولا ينقذ آثماً جاحداً ، وقد غمرتنا رذائل هذه الدار ، وحملتنا الأطماع على ما لا يقربنا من فطرتنا الإنسانية ، ولذا اسودت صفحات الماضى ، التى كانت قد ابيضت بدم الفادى الحبيب ، وهكذا استبدل النعيم آلاماً ، والسعادة شقاء ، والغنى فقراً ، والشبع جوعاً ، وحلل الديباج أسمالا بالية . وعليه قال ارمياء النبى فى رثائه المشهور «كيف اكدرّ الذهب ، تغير الإبريز الجيد» (مرا ٤ : ١) .

فليت لى قلباً كسائر الناس ، لا تجرحه أنات الماضى ، وأذناً مثلهم لاتسمع زفرات ذكرياته ، أو عيناً كعيونهم لايبكيها مجرى دموع القديسين وجروح الشهداء . ليت هذا القلب كان أصماً لا يسمع ، أو جامداً لا يعطف ، كى لا تجد فيه هذه الأوجاع مكاناً . غير أننى ذو قلب تدميه المصائب ، بقدر ما تساوره الكروب ، لأنه يحس بآلام الزمن الحاضر ، الذى ترك مرآة الماضى ، ولذا أقفرت النفوس ، وغاض فيها معين الإحسان ، فكيف إذاً أصفك أيها الماضى ، لأنى لا أرى لك شبحاً ولا أسمع لك ذكراً .

كلا ، بل ألف كلا ، إن ذكرك مرسوم بأحرف من نور على صفحات التاريخ ، الذى يشهد لرجالك بأنهم كانوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، واشتروا من فان لباق ، وابتاعوا ما بقى لهم بما زال عنهم ، بخلاف رجال الزمن الحاضر ، الذين يفضلون عمل الدنيا

على عمل الآخرة ، ولكنهم لو علموا بأن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، لانتهوا من سهادهم وأحرزوا مايتزودون به غداً ، والغد من اليوم قريب ، ولا بد من أن الدهر يجرى بهم كما جرى بغيرهم ، لايعود ما قد ولّى منه ولا يبقى سرمداً ما فيه . فطوبى لمن نفعه الحق ولم يضره الباطل ، واستقام به الهدى قبل أن يجرى به الضلال الى الردى .

إن أقل تأمل فى حالتنا العامة ، يستنفد ما بالعين من دمع وما بالقلب من صبر ، فقد تمر بنا الأيام والأعوام فنملأ جنباتها صياحاً ، ونفعم ساعاتها بحثاً فيما يلزم جلبه وما يلزم دفعه ، والزمن ينهب أعمارنا ، ونحن لم نتجاوز نقطة البحث الأولى ، ولم ننصرف عن القول الكثير إلى الفعل القليل ، لأن « ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات » ، لأن لكل شيء وقتاً معلوماً ، وأجلا محدوداً ، هذا حق .

ولكن يجب أن نعلم أن هذا الأجل وذلك الوقت يبقيان على بعدهما الشاسع ، ما دمنا لم نقطع مسافة العمل التى تفصلهما عنا بجد ، وكد « اعملوا مادام الوقت يدعى وقتاً » ، لأن اليوم المضمار وغداً السباق ، والسبقة الأبدية الدائمة والغاية التمتع بما كسبت اليد من عمل ، فرحم الله ماضياً كان رجاله إذا سمعوا حكماً وعوا ، وإذا دعوا إلى رشاد دنوا ، راقبوا ذنبهم ، وخافوا ربهم ، ركبوا الطريقة الغراء ، ولزموا المحجة البيضاء ، اتخذوا الصبر مطية نجاتهم ، والتقوى عدة وفاتهم ، ركبوا المهل ، وبادروا الأجل الأسمى حيث ربهم جالس على منصة القضاء ليجازى كل واحد بدون محاباة .

توجيهات خلاصية

وهى خاتمة المطاف

(١) إن العقل البشرى يعرف قليلا ، ويجهل كثيراً ، فلا بد له من معلم يرشده إلى ما يجهله ، ويذكره بما كان ناسياً له ، والمعلم لايوضح غامضاً ، ولا يكشف مستوراً لتلميذ منفصل عنه بجبال شامخة ، ومغاور شاسعة . . . ولنا على هذا الأمر دليل يستحق الاعتبار . وهو ، إن أحكامنا البشرية كثيراً ما تكون فاسدة لصدورها عن المحبة الذاتية التى توهن نظر العقل ، ولا تدعه يرى الشيء كما هو ، فرغبتنا فى الشيء ، وميلنا إليه ، يجعلان عين عقلنا كليلة عن رؤية معايبه ، كما أن كرهنا للشيء يصور لنا فيه مساوىء وهمية لا وجود لها ، وهذا ما لا خلاف فيه البتة ، ولا شيء أسهل من تطبيق هذا المثل على موضوعنا الحاضر ، فإن الغاية التى نقصدها تتصف بالنبل والسمو والشرف : فلا يقصد أحدنا أن يصير أمير بحر ، ولا سيد قومه وولى أمرهم ، بل إنما نقصد أن يفوز بالنعيم الخالد الذى لانعيم بعده ، ونتمتع إلى الأبد بملك سماوى رفيع الشأن وسعادة لاتفوقها سعادة ولا يخطر مثلها على قلب بشر ، ومن ثم هل نخطىء فى القياس ، إذا قلنا إن أمر خلاصنا المعبر عنه بالوسائط ، ينبغى أن يكون كلىَّ الصعوبة ، وافر المشاق ، كثير المخاطر ؟

فلأجل هذا يجب علينا أن نهجر الوسن ونعانى السهر الدائم ، ونتحمل قوارع الدهر وتصادم الأعداء ، ونصبر على قتال الأهواء الكامنة ضمن أحشائنا ونثبت فى ساحة الوغى غير مستسلمين إلى الأعداء ، ولو أفتوا بسفك الدم ، لأن سبيل الخلاص والدخول فى باب الحياة ، وعرة كثيرة

المعاثر والمزالج ، وافرة المضايق والعقبات ، محوطة باللصوص والفخاخ ، وهذا الباب حرج وأضيق من ثقب أبرة الخائط ، ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه » (٢٢ مت ٧ : ١٣) .

فما أصعب أمر الخلاص إذاً وما أكثر مخاطره !!!

لعمرى إن جهل هذه الحقيقة قد ساق إلى الهلاك كثيرين قد توهموا أن الخلاص سهل ينالونه وهم نيام ، فتركوه مرجئين عمله من وقت إلى آخر ، فماتوا ولم يعملوا شيئاً ، وحلت بهم ندامة العاقبة ، وكانوا من الخاسرين الهالكين .

فالخلاص أمنية لا يطمع فى أحسن منها ، ومطلب لا أسمى ولا أعظم منه . وقد ثبت مما قلته ، أن عمل الخلاص هذا ، أى الوسائط الموصلة إلى تلك الغاية هى : عسرة الخطة ، وعرة الملتمس ، صعبة المزاولة . فلا مراء أنك تستنتج من ذلك ، أن الخلاص يقتضى لنيله جهاداً متصلا وكداً وكدحاً ، لأنه إذا كان الخلاص أمراً كبيراً جداً باذخ الشرف ، فمن الضرورة أن نبذل للحصول عليه همة كبيرة وعناية تامة ، وفقاً لقول أحد الحكماء : « إن الكبار من الأمور تنال بالهمم الكبيرة » . وهى حقيقة لا مشاحة فيها ، لأنه لو كانت الأمور العظيمة تنال بسهولة لكان الجميع يحصلون عليها .

(٢) وكفى بشهادة التاريخ والاختبار اليومى دليلا على ذلك ، فمهما يتبين بوضوح أنه لم يحصل أحد على مقام سام ، أو سعادة تذكر ما لم يكن تجشم بداءة بدء مهاول الأتعاب ومضنيات المصاعب . فأرسطو مثلا لم يحرز تسمية الفيلسوف ، وإمام الفلاسفة ، إلا بعد أن صرف السنين الطويلة فى الدرس المتحصل بالبحث والتفكير ليلا ونهاراً . ولا يخفى ما فى ذلك من التعب العقلى المفرط الذى هو أشد من التعب الجسدى كما قال هو نفسه : « إن علل الأفهام أشد من علل الأجسام » .

فإذا كانت أمجاد هذه الدنيا ومراتبها الوشيكة الزوال ، لا تنال إلا بعد

تجشم الصعاب ، وتحمل الأذى والويلات ، فأى جهد إذاً يجب بذله لنيل ذلك المجد الأزلى ، والسعادة الأبدية ؟ لعمرى إننا إذا جدنا لأجله بدمائنا ، فلا نكون بلغنا حد الإفراط ولا جاوزنا الجهد الواجب علينا ، ولكن هلم نقابل بين اجتهادنا واجتهاد هؤلاء الأشخاص الذين ذكرتهم لك . . . فقل لى هل تعبت الليل والنهار فى درس الكتب المقدسة ، والسير الروحية ، وتمعنت فى مبادىء الآداب ، وقواعد الفضيلة ، لتكسب لنفسك ، لا إسماً عالمياً كما كان يبتغى أرسطو ، بل إسم فيلسوف حقيق قد أدرك أسرار الحكمة السماوية الحقة ، هل حاربت بعناية تامة ممالك الشيطان ، والعالم ، والجسد ، أعداءك الألداء ؟ وهل خضت بحر التأملات فى الحقائق السماوية ، واستسلمت للأخطار والويلات ، لا لتكشف بقعة من الأرض ، وتتركها بالموت ، شئت أو أبيت ، كما فعل خريستوف كولومب مثلا ، بل لتكشف القارة السماوية البديعة المشتهاة ، وتملك فيها أبد الآبد ؟ لأنه أين الذين يفتشون بعناية وكد عن الأدوية الفعالة ليشفوا بها ، لا الأسقام البدنية كما صنع جالينوس وأبقراط ، بل الأسقام النفسية ، والعلل الروحية المزمنة الرديئة ، فإذا كنت لم تفعل شيئاً من ذلك فيحق لى أن أندب تهاونك ، وعدم مبالاتك بأمر خلاصك ، وأن أحسبك فى عداد المزدرين بهذا الأمر ، الساعين بأرجلهم وراء التهلكة .

وإذا تصفحنا حقيقة الأمر ، فنجد أن نور العقل وحده كاف ليرشدنا إلى علة هذه المباينة ، الكائنة بين فرح الصالحين ، وفرح الطالحين ، لأنه من المعلوم أن الإنسان لا يرتاح إلا بالوصول إلى الغاية المطلوبة منه ، والشىء لا يسكن إلا بالوصول إلى مركزه الطبيعى . فالمسافر مثلا لا يزال فى قلق واضطراب إلى أن يصل إلى المحل المقصود ، والغاية المطلوبة . والحجر المرشوق إلى العلو ، لا يفتأ مضطرباً ومرتجاً إلى أن يصل إلى الأرض التى هى مركزه . والعضو المكسور لا يمكن أن يسكن ألمه ما لم يوضع فى مركزه

الحقيقى . فهكذا نحن الذين خلقنا لأجل أن نكون سعداء باتحادنا بالله لن نزال معذبين إلى أن نستريح به ، إما بالاتحاد الابتدائى فى هذه الحياة ، أو بالاتحاد الكامل فى الحياة المقبلة .

(٣) فلهذا السبب نفسه ، لا يمكن للخطاة المبتعدين عن أن يكونوا فى راحة بال ، مهما انغمسوا فى أوحال اللذات الأرضية ، وتفننوا فى نوع اكتسابها لأنهم لم يخلقوا لأجلها ، وليست هى غايتهم ، فكما أن الجائع لا يشبع بشربه كمية كبيرة من الماء ، والظمآن لا يرتوى بأخذه مقداراً قليلا من الطعام ، هكذا النفس البشرية الظمآنة والجائعة إلى التمتع بالخير السامى غير المتناهى ، لا ترتوى من مياه ومسرات هذا العالم الممزوجة بالمرارة ، ولا تشبع بأطعمته ولذاته العابرة ، فهى الحجر المرشوق من اليد العلوية فى فضاء هذا العالم ، فلن تبرح قلقة مضطربة ، إلى أن تتجه إلى مركزها الحقيقى الذى هو الله ، بل هى المسافر فى غربة هذه الحياة ، فلا تجد تعزية وسلواناً ، إلا بوصولها إلى الوطن المشتهى ، أو بمواصلة السير فى الطريق الموصلة إليه .

فعليك إذن وأنت جندى المسيح ، أن لا تهتم إلا بمحاربة الأعداء الذين يريدون أن يمنعوك من الاستيلاء على الملك الذى يريد المسيح أن يملكك إياه ، وهو ملكوت السماء الذى لأجله يقف عدوك اللدود يريد حرمانك منه ، فإياه يجب أن تحارب وتقاتل أشد المقاتلة ، لتبعده عنك ، وتتغلب عليه غلبة لا يجد بعدها سبيلا إلى الرجوع . ولست أنكر ، أن مثل هذه الحرب تقتضى إنفاق ما يعز عليك ، ولا تظفر فيها إلا بعد جهد ومعاناة طويلة ، ولكنك إذا علمت أن وراءها فتحاً مبيناً ، وملكا ثميناً ، هانت عليك مصاعبها ولم تبالى بشقائها ، لأن طاعة أهواء النفس هى التى ألقت أكثر الناس فى المهالك ، وأوردتهم موارد التلف ، ومن جاهد فى إذلال هذه الأعداء الباطنية ، مهد لنفسه سبيل عيش ، وأمكنه أن يرضى الله والناس .

فدونك إذن بمجاهدة أعدائك ولا سيما الباطنيين منهم ، واستأصل من قلبك جذور المفاسد ، والشهوات المتسلطة عليك واختن نفسك بالختانة الجديدة ، ليصبح لك ملك الفضيلة ، وتفوز برضى الله تعالى ، الذى هو وحده موجود بالذات ، وهو غير محدود وغير متناه ، فالحائز على المعرفة الحقة هو الذى يعرفه ويتحد به بالمحبة . أما الأشياء الأرضية كالعلوم الرياضية والفلك والطب والزراعة وغيرها ، فمهما أتقنها الإنسان لا تعود عليه بالنفع إذا أعطاها فوق ما تستحق من الاعتبار . وهى وإن كانت ذات فائدة ، تصير له إذا مال إليها كل الميل ، إذ بذلك يكون قد فضل المخلوق على الخالق ، وكم هم حمق وأغبياء أولئك المسيحيون الذين وإن كانوا قد عرفوا الله بواسطة الإيمان يبذلون كل جهدهم فى الأشياء الدنيوية تاركين وراء ظهورهم كيفية الإيمان به تعالى وحفظ وصاياه وممارسة أسراره .

(٤) إن الأمور التى هى معرفة الله الحقيقية يتعلمها الإنسان بالوعظ والإرشاد الناطق به الله — جل جلاله — بواسطة الكهنة والوعاظ ، لأنه كما قال بولس الرسول « فكيف يدعون بمن لا يؤمنوا ، وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ، وكيف يسمعون بلا كارز » (رو ١٠ : ١٤) الذى بدونه لا يستطيع الإنسان وحده تفسير الآيات المقدسة فقال « كيف يمكننى إن لم يرشدنى أحد . وطلب إلى فيلبس أن يجلس معه » ، لكى يظهر له ما أغمض عن عينيه من أمور جوهرية لا تظهر إلا فى أوقاتها المعلومة بحسب إرشاد الله كما قال بولس الرسول « وإنما أظهر كلمته فى أوقاتها الخاصة بالكرازة التى أؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله » (تى ١ : ٣) الذى ينقذ عبده فى أحلك الأوقات وأصعبها لمجد اسمه المبارك ، وانتشار كلمته التى بواسطتها تتسع الكرازة ، وهذا ما شهد به الكتاب المقدس « ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى تتم بى الكرازة وتسمع جميع الأمم فأنقذت من فم الأسد » (٢تى ٥ : ١٧) المزمجر الذى يريد تعطيل امتداد كلمة الله التى لا تقيد مهما قامت العواصف ووضعت العراقيل أمامها ، فإنها تحطم كل قوة المعتزين بأنفسهم

وتغير الطريق من حالك الظلام لإعلان سر الله فى خلاص النفوس وهذا ما كان يطلبه الرسول بقوله « وللقادر أن يثبتكم حسب انجيلى والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذى كان مكتوباً فى الأزمنة الأزلية » (رو ١٦ : ٢٥) وقال أيضاً « الذى به خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى يسوع المسيح قبل الأزمنة الأزلية » (٢ تى ١ : ٩) وهذه الدعوة هى على رجاء القيامة التى تعقبها حياة أبدية حسبما قال بولس الرسول « على رجاء الحياة الأبدية التى وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية » (تى ١ : ٢).

فإرادة الإنسان لا يشفيها وينقيها من الفساد إلا كلام الله الذى ينير العينين ، ويفقه العقول ، ويعطى الجهال فهماً يسيرون به فى هذه الحياة ، برزانة وتعقل كما قال الحكيم « لأن الوصية مصباح والشريعة نور وتوبيخات الأدب طريق الحياة » (ام ٦ : ٢٢) « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » (مز ١١٩ : ١٠٥).

فالعناية الإلهية التى تسوس المخلوقات وتسوقها إلى غايتها ، وهى تشمل جميع المخلوقات بلا استثناء ، لأنه سبحانه وتعالى يعتنى بها كلها لأنها صنعة يديه كما ورد فى سفر الحكمة « إنك تشفق على جميع الأكوان لأنها لك أيها الرب المحب النفوس » (١١ : ٢٧) وذلك لأنه لا يليق بحكمة الله وجودته أن لا يعتنى ببراياه ، وأن يدع مخلوقاته وشأنها ، وما أحسن قول القديس امبروسيوس فى هذا المعنى « إن الله إذا لم يبدع شيئاً فلا يكون ذلك ظلماً ، وأما إذا لم يعتن بما أبدعه فذلك قساوة شديدة ، فكما إنه لا يثبت شىء فى الوجود بدون الحفظ الإلهى ، هكذا لا يستقيم حال البرايا ولا تتجه إلى غايتها بدون عناية الله . ولذلك نرى الجنس البشرى بأسره قد اتفق على الإقرار بالعناية الإلهية قولا وفعلا ».

أليس لرفع أيدينا إلى السماء عند حلول البلايا دليل على هذا الاعتقاد

الذى لأجله قد ألف الناس أن يشكروا الله عن فوزهم ونجاحهم ويلتمسوا عونه فى آونة المحن والضيق ؟ أو ليس أن افتراء الآثمين ضد عدل الله لدى حلول الأسواء عليهم ، هى برهان على هذا الاعتقاد ؟ وأى أحمق يرى انتظام العالم وترتيبه البديع وسيره على سنن معلومة بلا تشويس ، ويقول ليس من يعتنى به !! سبحانه يعتنى إذن بخلائقه اعتناء أب رحيم ويوجهها إلى غاياتها بتدابير حكمته السامية ، لأنه لم يفعل شيئاً عبثاً ، وقد خلق الإنسان ، وآتاه قوة العقل التى تصغر عندها كل لذة دنيوية ، ولا تقف غايتها عند حد منها مهما علت رتبته ، فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه فى هذه الحياة ، وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها ، فهذا الباعث الفطرى لم يوجده الله تعالى عبثاً ، بل هو الدليل الوجدانى المرشد إلى ما وراء هذه الحياة .

فإن أردت اللحاق بمن كانوا فى هذه الدنيا ، وكأنهم لم يكونوا فيها ... عليك أن تخفف من أثقال الشهوات وأوزار العناء فى تحصيل اللذات العالمية ، وتقفز بنفسك عن هذه الفانيات ، فتلحق بالذين فازوا بعقبى الدار ، لأن الله لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى ، وما بين أحدنا وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به لأن حياتنا غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة ، فهى جديرة بقصر المدة ، لأن كل لحظة تمر هى نقص فى الأمد الذى بيننا وبين الأجل ، والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد ؛ وما كان كذلك فهو جدير بزوال الحياة . زد على ذلك أن حياتنا يترصدها غائب « الموت » يحدوه الجديدان الليل والنهار اللذان بكرورهما علينا يسوقان ذلك المنتظر « الموت » ، ولو كانت حياتنا ألف سنة وما أسرع أوبة ذلك الغائب « الموت » الذى يسوقانه إلينا — الموت القادم ، إما بفوز وإما بشقوة ، وعدته الأعمال الصالحة والملكات الفاضلة ، لأن من أراد السلامة من محنة الدنيا ، فليهيىء وسائل النجاة وهو فيها ، لأنه بعد الموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم .

(٥) فوسائل النجاة ، إما عمل صالح ، أو إقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح وكلاهما لا يكونان إلا فى دار التكاليف وهى دار الدنيا التى قد أوضح لنا الله فيها سبيل الحق ، وأنار طرقه بابنه الوحيد الذى خرج من حضنه وجاء إلى العالم «مادمت فى العالم فأنا نور العالم» (يو ٩ : ٥) فشقوة لازمة « . . . ولكن الآن تقولون إننا نبصر فخطيتكم باقية » أو سعادة دائمة « وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى » .

ذلك ما يحدثنا به إنجيلنا ، ويتلوه علينا إحساسنا ، فإنا إذا سمعنا ، وقلما نسمع الآن ، حيث لا من يسمع عظة أو أمراً إلهياً يحث على فضيلة ، وينهى عن رذيلة ، لانفعلت نفوسنا وتأثرت أرواحنا وعملنا بما أمرنا به . على أنا كثيراً ما تمر على مسامعنا كل نهار أوامر صارمة وزواجر رادعة لخلاص نفوسنا ، ولا تعلق بأرواحنا بل تمر علينا مر السحاب فى الهواء .

وما دام الإنسان بهذا التركيب المخالف للحياة الطبية ، لن يفلح إلا إذا وازن بين بيئته التى يوجهها وبين طباعه التى هى توجهه « . . . كطريقهم أصنع بهم وكأحكامهم أحكم عليهم فيعلمون أنى أنا الرب » (خر ٧ : ٢٧) فقيّد أشياء ، وأطلق أشياء من قيودها ، وجمع فى متبوأ نفسه حداً بحريته ودِيناً بعلم « فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » .

بيد أن طغيان العلم فى هذه المدنية ، قد غمر طباع الإنسان وشمائله فى كل موضع من الحياة لا تكافئه فيه قوة الدين « لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا » فإذ هو يزين الشهوات ، وإذ الشهوات تطوع المغامرة ، وإذ المغامرة تجلب المنازعة « من أين الحروب والخصومات بينكم أليست من هنا من لذاتكم المحاربة فى أعضائكم » وإذ المنازعة تدفع إلى الحرص ، وإذ الحرص يتصرف بالحيلة ، وإذ الحيلة تهلك التقوى ، فإن فى تقوى الإنسان إيمانه ،

وفى إيمانه رحمته ، وفى رحمته الأثير الإنسانى الذى تعيش فيه الروح « نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس » .

(٦) لو تأمل الإنسان فى عالم العقل ، لوجده عالماً لا حدّ له . فالعقل دائماً توجد فيه مناحٍ للنمو لا ترى لها حداً . ففى الحياة العقلية توجد شهوة متزايدة للمعرفة ، تزداد مع مرور الزمن ، لأنه كلما تقدم الإنسان فى المعرفة يرى الأفق يتسع أمامه ، وميادين جديدة تفتح ، ومرتفعات عليه أن يتسلقها . فكل خطوة يتقدمها إلى الأمام ، هى بمثابة محرك يدفعه إلى التقدم أكثر ، وكلما زاد التقدم تباعد المرمى « فإنى إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين » (١ كو ٩ : ١٩) والعقل يدرى أنه يمكنه أن يصل إلى أبعاد لا حد لها ، ولذا تراه دائم التشوق إلى حياة بعد هذه الحياة ، حيث يثبت تحقيق غاياته « إذاً يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) « الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد » ولكن إن اعتسفتم ولم تسلكوا السبيل الذى نهجه لكم يسوع المخلص كان عقابكم شراً من عقاب الكافرين الذين لم تستضىء أذهانهم بتعليم الإنجيل ، وذقتم فى الدنيا مرارة الاعتساف ، وفى الآخرة عذاب الأشرار الذين عرفوا الحق ونبذوه ، وسبيل الصلاح فلم يسلكوه ، تراءت لهم السعادة الحقيقية فأعرضوا عنها .

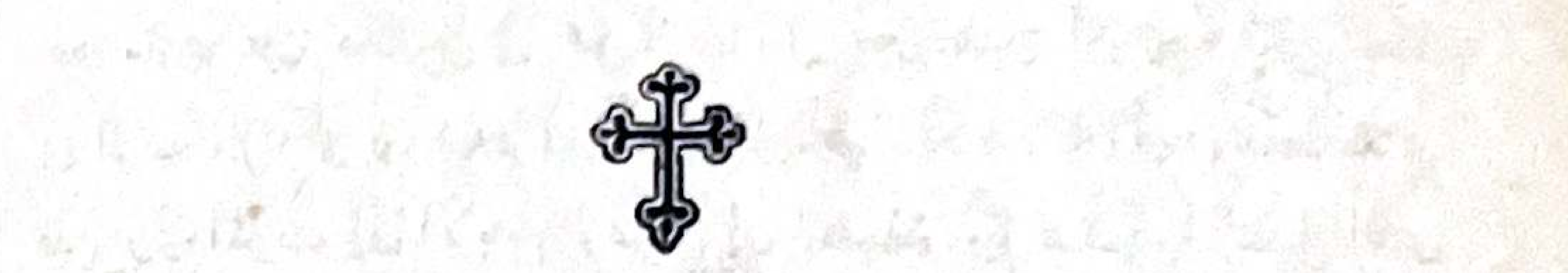
وإذا كنا نشعر بضرورة حياة أخرى ، حيث يتسنى للعقل والأخلاق أن يتقدما فى سبيل النمو الروحى ، فكل ما فينا يصرخ طالباً ، عالماً آخر فيه يتيسر لكل ما فينا من قوى المحبة الكامنة أن تظهر وتعمل ، والروابط والصداقة ، التى تتكون هنا على الأرض ليست إلا فى عهد البداءة ، فكل ما عملناه فى هذه الحياة ، هو أننا بدأنا نتعرف الواحد على الآخر .

وإذا كان هذا الكلام ينطبق على العقل فهو ينطبق على الأخلاق


أيضاً ، لأن الحياة هنا ، هى عبارة عن صراع عنيف دائم بين الخير والشر ، ولا نجد أنه من الممكن أن نحيا ونعمل كل ما نشعر ، أنه فى مقدورنا أن نعمله ، ونكوّنه فنرفع أصواتنا طالبين حياة فيها نتمكن من إتمام نمونا فى عمل الخير ، حيث تتهيأ لنا فرص للظفر التام ، لأن الاختبارات الروحية التى تبدأ هنا ، تستدعى حياة أخرى كى تكمل وينمو نضوجها .

(إلى هنـــا أعاننا الرب)

(١ صم ٧ : ١٢)



فهرس



المطبعة العالمية - ١٦ شارع ضريح سعد بالقاهرة